



إعداد وتنظيم

السيد محمد السيد حسين الحكيم

إشراف وتقديم

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه



الجزء الثاني

إعداد وتنظيم

السيد محمد السيد حسين الحكيم

إشراف وتقديم





اسم الكتاب:....الإمام المهدي عجل الله فرجه وطول العمر في الكتب والمصنفات

....الجزء الثاني

إعداد وتنظيم: .... السيد محمد السيد حسين الحكيم

إشراف وتقديم:.......مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه

رقم الإصدار:.. ٢٨٣

الطبعة:..الأولى ١٤٤٤هـ

عدد النسخ:.................................طبعة محدودة

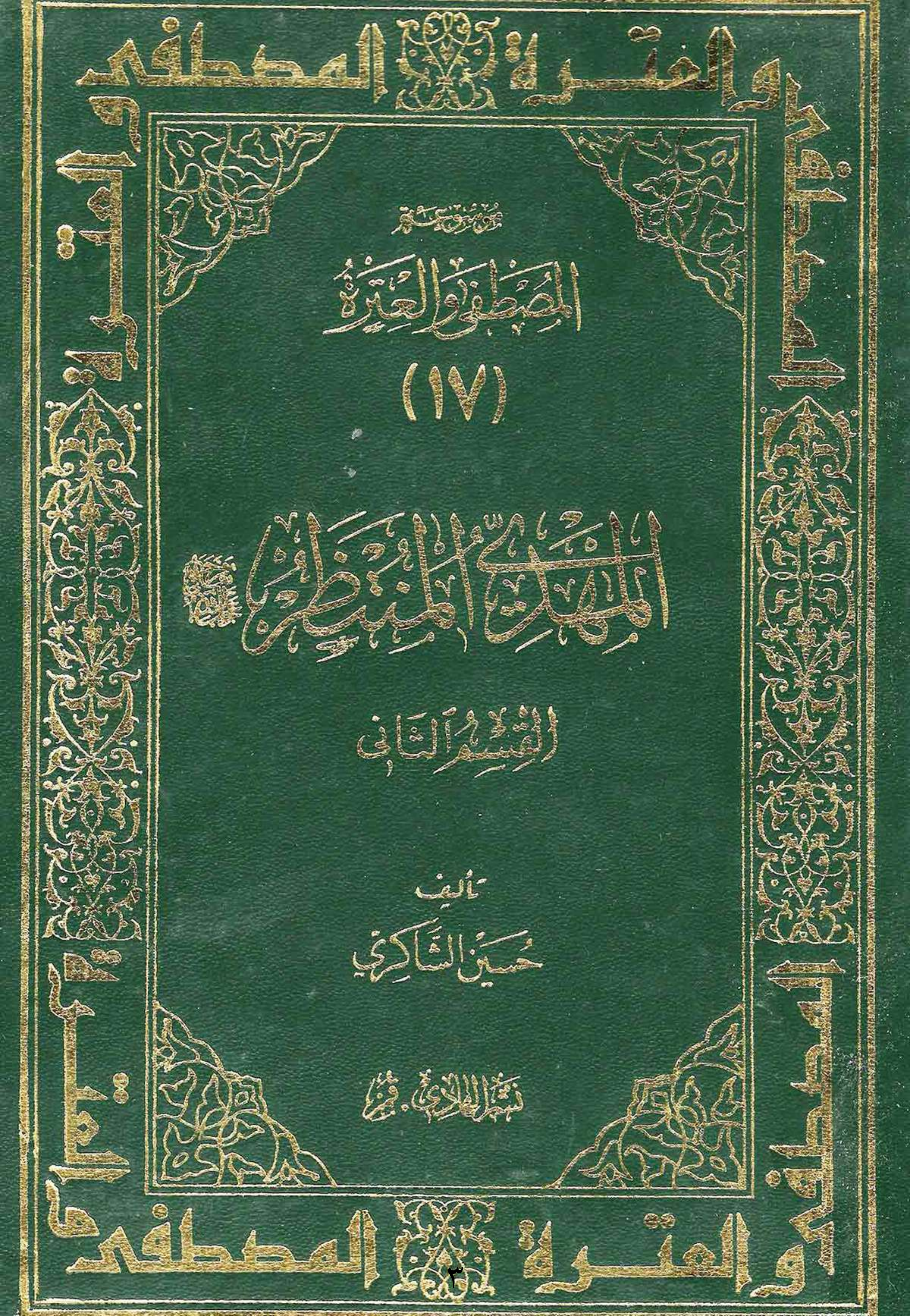
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

العراق- النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٩٧٤٤٤٧٤ - ٠٧٨١٦٧٨٧٢٢٦

www.m-mahdi.com

info@m-mahdi.com


موسوعة
المصطفى والعترة
(١٧)
المهدي المنتظر
القسم الثاني
تأليف
حسين الشاكري
نشر الهادي . قم
المصطفى والعترة

حقوق الطبع محفوظة
الترجمة مجازة ـ بعد إذن المؤلف



الكتاب : .... المهديّ المنتظر عليه‌السلام / القسم الثاني

المؤلف : .... حسين الشاكري

الناشر : .... نشر الهادي

الطبعة : .... الأولىٰ ـ ١٤٢١ هـ. ق.

المطبعة : .... ستارة

العدد : .... ٣٠٠٠ نسخة

صفّ الحروف : .... محمّد الخازن

الألواح الحساسة : .... ليتوغرافي تيزهوش

التجليد : .... صحافي بيروت

عنوان المؤلّف

الجمهورية الإسلامية في إيران / قم المقدّسة

زنبيل آباد ـ ٣٠ متري آستانة ـ بلاك ٧٦ ـ كد ٣٧١٦٦

هاتف : ٩٢٦٩٩٠ ـ تلفاكس ٩٢٧٨٧١ ـ كد ٠٠٩٨٢٥١

الفصل الخامس عشر

الشبهات المثارة حول عقيدة المهدي عليه السلام

لا يخفى أنّه لا يكاد يوجد حقّ يخلو من شبهة تعارضه، ولقد تعرّضت عقائد الإسلام الحقّة لبعض إثارات المعاندين والمتطفّلين على التراث الإسلامي العريق على طول مسيرة التأريخ، وقد تذرّعوا بحجج هي أوهى من بيت العنكبوت كما سيتّضح لك من خلال الجواب عنها.

ولقد كانت تلك الإثارات وبحمد الله مجالاً رحباً لدراسات واسعة وخصبة حول إثبات هذه العقيدة الراسخة، والدفاع عنها والاحتجاج عليها بما يزيل الشكّ والريب، ويشدّد من دواعي الاطمئنان إلى عقيدة المهدي عليه السلام الذي بشّر به من لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى، وفيما يلي نعرض تلك الإثارات والتساؤلات ونبيّن الجواب عنها:

أوّلاً

قالوا: إنّ طول العمر بهذه المدّة مستبعد بل غير واقع عادة، كيف وقد مضى عليه الآن ما يزيد عن ألف سنة؟

الجواب : إنّ الاستبعاد ليس دليلاً، ولا يعارض الدليل، وقد عرفت قيام الأدلة العقلية والنقلية على ولادته وغيبته، فهل يجوز أن ندفعها بالاستبعاد، مع أنّه لا استبعاد في ذلك بعد نصّ القرآن العظيم على مثله في نوح، وأنّه لبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً[1]، ونقل أنّه عاش ألفاً وثلاثمائة سنة. وفي رواية عن أنس ابن مالك عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه عاش ألفاً وأربعمائة وخمسين سنة، وعاش آدم تسعمائة وثلاثين سنة كما هو مذكور في التوراة، وعاش شيث تسعمائة واثنتي عشرة سنة، وجاءت الروايات ببقاء الخضر إلى الآن، وكذلك إلياس وإدريس.

ونصّ القرآن الكريم على بقاء عيسى ورفعه إلى السماء[2]، وجاءت الروايات المتّفق عليها بين الفريقين على أنّه ينزل عند خروج المهدي عليه السلام ويصلّي خلفه، فكيف جاز بقاء المأموم طول هذه المدّة وحياته، وامتنع بقاء الإمام؟ هذا مع ما صحّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: كلّ ما كان في الأُمم السالفة يكون في هذه الأُمّة حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة.

وجاءت روايات الفريقين بحياة الدجّال، وهو كافر معاند مضلّ، وبقائه إلى خروج المهدي عليه السلام، فيقتله المهدي عليه السلام، فكيف امتنع في وليّ الله ما وقع مع عدوّ الله؟ ونسب معتقده إلى الجهل وسخافة العقل.

ونصّ الكتاب العزيز على بقاء إبليس إلى يوم القيامة[3] وهو غاوٍ مضلّ، وقد

---

(١) العنكبوت : ١٤.

(٢) النساء / ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٣) سورة الحجر : ٣٧ ـ ٣٨، وسورة ص : ٨٠ ـ ٨١.

صنّف أبو حاتم السجستاني كتاباً خاصّاً بالمعمّرين[١].

وقد نصّ القرآن الكريم على بقاء أهل الكهف أحياءً وهم نيام، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد[٢]، فلبثوا في رقدتهم الأُولى ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، كما نطق به القرآن العظيم، فأيّهما أعجب وأغرب وأبعد، بقاء رجل يأكل ويشرب ويمشي وينام ويستيقظ ويتنظّف مدّة طويلة، أم بقاء أشخاص نيام في مكان واحد لا يأكلون ولا يشربون ولا يتنظّفون؟

وقد نصّ القرآن الكريم على إماتة عزير مائة عام ثمّ إحيائه وطعامه لم يتسنّه ولم يتغيّر وحماره معه[٣]، فأيّهما أعجب وأدعى للاستغراب والاستبعاد، هذا أم بقاء المهدي عليه السلام؟

وقد نصّ الكتاب العزيز على بقاء أهل الجنّة والنار[٤]، وجاءت الأخبار بلا خلاف بأنّ أهل الجنّة لا يهرمون ولا يضعفون ولا يحدث بهم نقصان في الأنفس والحواسّ.

قال السيّد محسن الأمين (عليه الرحمة): وقد شاهدنا في زماننا بقاء الأجسام بعد الموت محفوظة بالأدوية اُلوفاً من السنين في الملك الذي اُخرج من صيدا وهو في تابوت مغموراً بالماء لم يُفقَد من جسمه شيء، ونقل بتابوته إلى القسطنطينية في عهد السلطان عبد الحميد العثماني، وتأريخه قبل المسيح عليه السلام،

(١) كتاب (المعمّرون) طبع أوّل مرّة في مصر سنة ١٣٢٣ هـ.

(٢) الكهف: ١٨.

(٣) البقرة: ٢٥٩.

(٤) الأمثلة القرآنية حول خلود أهل الجنّة والنار كثيرة.

وشاهدنا في مصر أجسام الفراعنة محنّطة باقية من عهد موسى عليه السلام أو قبله بأكفانها والتماسيح المحنّطة والمعزى والحنطة والخبز وغير ذلك، وبهذه السنين استخرج في مصر أحد الفراعنة المسمّى (توت عنخ آمون) وجسمه لم يبل ومائدته أمامه عليها الفواكه، فإذا جاز على الله تعالى أن يلهم عباده معرفة الأدوية الحافظة لأجسام الموتى والحيوانات وغيرها أُلوفاً من السنين، أما يجوز عليه أن يطوّل عمر شخص ويبقيه حيّاً زماناً طويلاً؟

وقد ضرب السيّد ابن طاووس رحمه الله في كتاب (كشف المحجّة) مثلاً لرفع استبعاد بقاء المهدي حيّاً بين الناس مدّة طويلة وهم لا يعرفونه، حين حصلت بينه وبين بعض علماء بغداد من أهل السنّة مناظرة في ذلك، فقال: لو أنّ رجلاً حضر إلى بغداد وادّعى أنّه يستطيع المشي على الماء، وضرب لذلك موعداً، أترى أنّ أحداً من أهل بغداد كان يتخلّف عن ذلك الموعد؟ لا شكّ أنّه لا يتخلّف أحد أو يتخلّف النادر، ثمّ إذا حضر في اليوم المعيّن ومشى على الماء، وقال: إنّه في اليوم الثاني يريد أن يفعل مثل ذلك، أفكان يحضر من الناس مثلما حضر في اليوم الأوّل؟ لا شكّ أنّ الحاضرين يكونون أقلّ من اليوم الأوّل بكثير، وإذا قال إنّه في اليوم الثالث يريد أن يفعل مثل ذلك، فلا شكّ أنّه لا يحضره أحد أو يحضره النادر، وإذا تكرّر ذلك منه كثيراً لا ينظر إليه أحد، ولا يستغرب منه ذلك، فكذلك المهدي عليه السلام لمّا كان بقاء مثله زمناً طويلاً قليل يستغربه الناس، ولو نظروا إلى تكرّر وقوعه في الأعصار السابقة يرتفع الاستغراب.

وأقول: إنّه في زماننا ونحن بدمشق جاء خبر بأنّ طيّارة عثمانية تريد المجيء إلى دمشق، ولم تكن الناس رأت الطائرات، فلم يبقَ بدمشق أحد إلّا خرج للنظر إليها، فلمّا جاءت ثانياً وثالثاً قلّ المتفرّجون، إلى أن صارت الطائرات اليوم بمنزلة

الطيور لا ينظر إليها أحد ولا يستغرب أمرها[١].

جواب العلّامة الطبرسي :

وأجاب العلّامة الطبرسي عن مسألة طول عمر الإمام المهدي عليه السلام بعد أن طرح التساؤل التالي :

قالوا : لا يمكن أن يكون في العالم بشرٌ له من السنّ ما تصفونه لإمامكم، وهو مع ذلك كامل العقل، صحيح الحسّ ؟ وأكثروا التعجّب من ذلك، وشنّعوا به علينا.

والجواب : أنّ من لزم طريق النظر، وفرّق بين المقدور والمحال، لم ينكر ذلك، إلّا أن يعدل عن الإنصاف إلى العناد والخلاف.

وطول العمر وخروجه عن المعتاد لا اعتراض به لأمرين :

أحدهما : إنّا لا نسلّم أنّ ذلك خارق للعادة، لأنّ تطاول الزمان لا ينافي وجود الحياة، وإنّ مرور الأوقات لا تأثير له في العلوم والقدر، ومن قرأ الأخبار ونظر فيما سطّر في الكتب من ذكر المعمّرين علم أنّ ذلك ممّا جرت العادة به، وقد نطق القرآن بذكر نوح وأنّه لبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً. وقد صنّفت الكتب في أخبار المعمّرين من العرب والعجم، وقد تظاهرت الأخبار بأنّ أطول بني آدم عمراً الخضر عليه السلام، وأجمعت الشيعة وأصحاب الحديث بل الأُمّة بأسرها ـ ما خلا المعتزلة والخوارج ـ على أنّه موجود في هذا الزمان، حيّ كامل العقل، ووافقهم على ذلك أكثر أهل الكتاب.

---

(١) أعيان الشيعة ٢ : ٦١ ـ ٦٢، في رحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام ٥ : ٦٩.

ولا خلاف في أنّ سلمان الفارسي أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قارب من عمره أربعمائة عام.

وهب أنّ المعتزلة والخوارج يحملون أنفسهم على دفع الأخبار، فكيف يمكنهم دفع القرآن وقد نطق بدوام أهل الجنّة والنار، وجاءت الأخبار بلا خلاف بين الأُمّة فيها بأنّ أهل الجنّة لا يهرمون ولا يضعفون، ولا يحدث بهم نقصان في الأنفس.

ولو كان ذلك منكراً من جهة العقول لما جاء به القرآن، ولا حصل عليه الإجماع، ومن اعترف بالخضر عليه السلام لم يصحّ منه هذا الاستبعاد، ومن أنكره حجّته الأخبار، وجاءت الرواية عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لمّا بعث الله نوحاً إلى قومه بعثه وهو ابن خمسين ومائتي سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً، وبقي بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة، فلمّا أتاه ملك الموت عليه السلام قال له: يا نوح، يا أكبر الأنبياء، ويا طويل العمر، ويا مجاب الدعوة، كيف رأيت الدنيا؟

قال: مثل رجل بني له بيت له بابان فدخل من واحد وخرج من الآخر»[١].

وكان لقمان بن عاد الكبير أطول الناس عمراً بعد الخضر، وذلك أنّه عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة. ويقال: إنّه عاش عمر سبعة أنسر، وكان يأخذ فرخ النسر الذكر فيجعله في الجبل فيعيش النسر منها ما عاش، فإذا مات أخذ آخر فربّاه، حتّى كان آخرها لبد وكان أطولها عمراً فقيل: أتى أبد على لبد[٢].

---

(١) راجع كتاب المقنع في الغيبة للسيّد المرتضى رحمه الله تعالى: ١٥٥.

(٢) كمال الدين: ٥٥٩.

وعاش الربيع بن ضبع الفزاري ثلاثمائة سنة وأربعين سنة، وأدرك النبيّ ﷺ وهو الذي يقول:

هـا أنـا ذا آمـلُ الخـلودَ وقـد أدركَ عـمري ومـولدي حـجرا
أمّا امرئ القـيس قـد سمـعتُ بـه هـيهات هـيهات طـال ذا عـمرا

وهو القائل:

إذا عـاش الفـتى مـائتين عـاماً فـقد أودى المـسرّة والغـناء

وله حديث طويل مع عبد الملك بن مروان.

وعاش المستوعر بن ربـيعة ثـلاثمائة وثـلاثة وثـلاثين سـنة، وهـو الذي يقول:

ولقد سئمت مـن الحـياة وطـولها وعمّرتُ من بـعد السـنين سـنينا

وعاش أكثم بن صيفي الأسدي ثلاثمائة وستّاً وأربـعين سـنة، وهـو الذي يقول:

وإن امرءاً قد عاشَ تسعين حجّةً إلى مائةٍ لم يسأم العـيشَ جـاهلُ
خـلت مـائتانِ غـير ستٍّ وأربـع وذلك مَـن عـدّ اللـيالي قـلائلُ

وكان ممّن أدرك النبيّ ﷺ وآمن به، ومات قبل أن يلقاه.

وعاش دريد بن زيد أربعمائة سنة وستّاً وخمسين سنة، فلمّـا حضره الموت قال:

ألق عـليّ الدهـر رِجـلاً ويـدا والدهر مـا أصـلحَ يـوماً أفسـدا
يُفسد ما أصلحه اليوم غدا

وعاش دريد بن الصمّة مائتي سنة، وقتل يوم حنين.

وعاش صيفيّ بن رياح بن أكثم مائتي سنة وسبعين سنة، لا يُنكر من عقله

شيئاً وهو ذو الحلم، زعموا فيه ما قال المتلمّس:

لذي الحلمِ قبل اليوم ما يقرعُ العصا ... وما عُلّم الإنسان إلّا ليعلما

وعاش نصر بن دهمان بن سليم بن أشجع مائة وتسعين سنة حتّى سقطت أسنانه، وابيضّ رأسه، فاحتاج قومه إلى رأيه، فدعوا الله أن يردّ إليه عقله، فعاد إليه شبابه واسودّ شعره، فقال في ذلك سلمة بن الخرشب:

لنصر بن دهمان الهنيدة عاشها ... وتسعين حولاً ثمّ قوّم فانصاتا

وعادَ سوادُ الرأس بعد بياضِهِ ... وراجعه شرخُ الشبابِ الذي فاتا

وعاش مملياً في رخاء وغبطةٍ ... ولكنّه من بعد ذا كلّه ماتا

وعاش ضبيرة بن سعيد السهمي مائتين وعشرين سنة، وكان أسود الرأس صحيح الأسنان.

وعاش عمرو بن حممة الدوسي أربعمائة سنة، وهو الذي يقول:

كبرتُ وطالَ العمرُ حتّى كأنّني ... سليمٌ يراعي ليله غير مودعِ

فلا الموتُ أنساني ولكن تتابعتْ ... عليّ سنونٌ من مصيفٍ ومرتعِ

ثلاث مئاتٍ قد مررنَ كواملاً ... وها أنا ذا أرتجي مرّ أربعِ

وروى الهيثم بن عديّ، عن مجاهد، عن الشعبي قال: كنّا عند ابن عبّاس في قبّة زمزم وهو يفتي الناس، فقام إليه أعرابي: فقال قد أفتيت أهل الفتوى فافتِ أهل الشعر.

فقال: قل.

قال: ما معنى قول الشاعر:

لذي الحلمِ قبل اليوم ما يقرعُ العصا ... وما عُلّم الإنسان إلّا ليعلما

قال: ذلك عمرو بن حممة الدوسي، قضى على العرب ثلاثمائة سنة. فلمّا كبر

ألزموه السادس أو السابع من ولد ولده، فقال: إنّ فؤادي بضعة منّي، فربما تغيّر عليّ في اليوم مراراً، وأمثل ما أكون فهماً في صدر النهار، فإذا رأيتني قد تغيّرت فاقرع العصا، فكان إذا رأى منه تغيّر أقرع العصا فراجعه فهمه.

وعاش زهير بن حُبَاب بن عبد الله بن كنانة بن عوف أربعمائة سنة وعشرين سنة، وكان سيّداً مطاعاً شريفاً في قومه.

وعاش الحارث بن مضاض الجرهمي أربعمائة سنة، وهو القائل:

كأن لم يكن بين الحجونِ إلى الصفا ... أنيسٌ ولم يسمرْ بمكّة سامرُ

بلى نحنُ كنّا أهلها فأبارنا ... صروفُ الليالي والجدودُ العواثرُ

وعاش عامر بن الظرب العدوانيّ مائة سنة، وكان من حكماء العرب، وله يقول ذو الأصبع:

ومنّا حكم يقضي ... ولا ينقض ما يقضي[1]

فهذا طرف يسير ممّا ذكر من المعمّرين، وفي إيراد أكثرهم إطالة في الكتاب، وإذا ثبت أنّ الله سبحانه قد عمّر خلقاً من البشر ما ذكرناه من الأعمار، وبعضهم حجج الله تعالى وهم الأنبياء، وبعضهم غير حجّة، وبعضهم كفّار، ولم يكن ذلك محالاً في قدرته، ولا منكراً في حكمته، ولا خارقاً للعادة، بل مألوفاً على الأعصار، معروفاً عند جميع أهل الأديان، فما الذي ينكر من عمر صاحب الزمان أن يتطاول إلى غاية عمر بعض من سمّيناه، وهو حجّة الله تعالى على خلقه، وأمينه على سرّه، وخليفته في أرضه، وخاتم أوصياء نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم؟ وقد صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «كلّ ما كان في الأمم السالفة فإنّه يكون في هذه الأمّة مثله حذو النعل بالنعل،

---

(١) أنظر: كمال الدين: ٥٤٩.

والقذّة بالقذّة»[١].

هذا وأكثر المسلمين يعترفون ببقاء المسيح عليه السلام حيّاً إلى هذه الغاية، شابّاً قويّاً، وليس في وجود الشباب مع طول الحياة ـ إن لم يثبت ما ذكرناه ـ أكثر من أنّه نقض للعادة في هذا الزمان، وذلك غير منكر على ما نذكره.

والأمر الآخر: أن نسلّم لمخالفينا أنّ طول العمر إلى هذا الحدّ مع وجود الشباب خارق للعادات ـ عادة زماننا هذا وغيره ـ وذلك جائز عندنا وعند أكثر المسلمين، فإنّ إظهار المعجزات عندهم وعندنا يجوز على من ليس بنبيّ، من إمام أو وليّ، لا ينكر ذلك من جميع الأُمّة إلّا المعتزلة والخوارج، وإن سمّى بعض الأُمّة ذلك كرامات لا معجزات، ولا اعتبار بالأسماء، بل المراد خرق العادات، ومن أنكر ذلك في باب الأئمة فإنّا لا نجد فرقاً بينه وبين البراهمة في إنكارهم إظهار المعجزات ونقض العادات لأحد من البشر، وإلّا فليأتِ القوم بالفصل، وهيهات[٢].

جواب السيّد الشهيد الصدر الأوّل رحمه الله:

وأجاب السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر رحمه الله حول مسألة طول عمر الإمام المهدي عليه السلام من جهة الإمكان العملي والعلمي والفلسفي، وهو جواب متين نورده من بحثه حول المهدي عليه السلام المنشور في مقدّمة كتاب (البرهان في علامات مهدي آخر الزمان) للمتّقي الهندي صاحب كنز العمّال.

قال رحمه الله: كيف تأتّى للمهدي هذا العمر الطويل؟

---

(١) كمال الدين: ٥٧٦، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٠١ / ١.

(٢) إعلام الورى: ٤٧١، كشف الغمّة ٣: ٣٥١ ـ ٣٥٦.

وبكلمة أُخرى هل بالإمكان أن يعيش الإنسان قروناً كثيرة كما هو المفترض في هذا القائد المنتظر لتغيير العالم، الذي يبلغ عمره الشريف فعلاً أكثر من ألف ومائة وأربعين سنة، أي حوالي (١٤) مرّة من عمر الإنسان الاعتيادي الذي يمرّ بكلّ المراحل الاعتيادية من الطفولة إلى الشيخوخة؟

وكلمة الإمكان هنا تعني أحد ثلاثة معانٍ: الإمكان العملي، والإمكان العلمي، والإمكان المنطقي أو الفلسفي. وأقصد بالإمكان العملي، أن يكون الشيء ممكناً على نحو يتاح لي أو لك أو لإنسان آخر فعلاً أن يحقّقه، فالسفر عبر المحيط، والوصول إلى قاع البحر، والصعود إلى القمر، أشياء أصبح لها إمكان عملي فعلاً. فهناك من يمارس هذه الأشياء فعلاً بشكل وآخر.

وأقصد بالإمكان العلمي، أنّ هناك أشياء قد لا يكون بالإمكان عملياً لي أو لك، أن نمارسها فعلاً بوسائل المدنية المعاصرة، ولكن لا يوجد لدى العلم ولا تشير اتجاهاته المتحرّكة إلى ما يبرّر رفض إمكان هذه الأشياء ووقوعها وفقاً لظروف ووسائل خاصّة، فصعود الإنسان إلى كوكب الزهرة لا يوجد في العلم ما يرفض وقوعه، بل إنّ اتجاهاته القائمة فعلاً تشير إلى إمكان ذلك، وإن لم يكن الصعود فعلاً ميسوراً لي أو لك، لأنّ الفارق بين الصعود إلى الزهرة والصعود إلى القمر ليس إلّا فارق درجة، ولا يمثّل الصعود إلى الزهرة إلّا مرحلة تذليل الصعاب الإضافية التي تنشأ من كون المسافة أبعد، فالصعود إلى الزهرة ممكن علمياً، وإن لم يكن ممكناً عملياً فعلاً.

وعلى العكس من ذلك الصعود إلى قرص الشمس في كبد السماء فإنّه غير ممكن علمياً، بمعنى أنّ العلم لا أمل له في وقوع ذلك إذ لا يتصوّر علمياً وتجريبياً إمكانية صنع ذلك الدرع الواقي من الاحتراق بحرارة الشمس، التي تمثّل أتوناً هائلاً

مستعراً بأعلى درجة تخطر على بال إنسان.

وأقصد بالإمكان المنطقي أو الفلسفي أن لا يوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين قبلية ـ أي سابقة على التجربة ـ ما يبرّر رفض الشيء والحكم باستحالته.

فوجود ثلاث برتقالات تنقسم بالتساوي وبدون كسر إلى نصفين ليس له إمكان منطقي، لأنّ العقل يدرك ـ قبل أن يمارس أيّ تجربة ـ أنّ الثلاثة عدد فردي وليس زوجاً، فلا يمكن أن تنقسم بالتساوي، لأنّ انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجاً فتكون فرداً وزوجاً في وقت واحد وهذا تناقض، والتناقض مستحيل منطقياً. ولكن دخول الإنسان في النار دون أن يحترق وصعوده للشمس دون أن تحرقه الشمس بحرارتها ليس مستحيلاً من الناحية المنطقية، إذ لا تناقض في افتراض أنّ الحرارة لا تتسرّب من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقلّ حرارة، وإنّما هو مخالف للتجربة التي أثبتت تسرّب الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقلّ حرارة إلى أن يتساوى الجسمان في الحرارة.

وهكذا نعرف أنّ الإمكان المنطقي أوسع دائرة من الإمكان العلمي، وهذا أوسع دائرة من الإمكان العملي.

ولا شكّ في أنّ امتداد عمر الإنسان آلاف السنين ممكن منطقياً، لأنّ ذلك ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقلية تجريدية، ولا يوجد في افتراض من هذا القبيل أيّ تناقض، لأنّ الحياة كمفهوم لا تستبطن الموت السريع ولا نقاش في ذلك.

كما لا شكّ أيضاً ولا نقاش في أنّ هذا العمر الطويل ليس ممكناً إمكاناً عملياً على نحو الإمكانات العملية للنزول إلى قاع البحر أو الصعود إلى القمر، ذلك لأنّ

العلم بوسائله وأدواته الحاضرة فعلاً، والمتاحة من خلال التجربة البشرية المعاصرة، لا تستطيع أن تمدّد عمر الإنسان مئات السنين، ولهذا نجد أنّ أكثر الناس حرصاً على الحياة وقدرةً على تسخير إمكانات العلم، لا يتاح لها من العمر إلّا بقدر ما هو مألوف.

وأمّا الإمكان العلمي فلا يوجد علمياً اليوم ما يبرّر رفض ذلك من الناحية النظرية، وهذا بحث يتّصل في الحقيقة بنوعية التفسير الفسلجي لظاهرة الشيخوخة والهرم لدى الإنسان، فهل تعبّر هذه الظاهرة عن قانون طبيعي يفرض على أنسجة جسم الإنسان وخلاياه بعد أن تبلغ قمّة نموّها أن تتصلّب بالتدريج وتصبح أقلّ كفاءة للاستمرار في العمل، إلى أن تتعطّل في لحظة معيّنة، حتّى لو عزلناها عن تأثير أيّ عامل خارجي، أو أنّ هذا التصلّب وهذا التناقص في كفاءة الأنسجة والخلايا الجسمية، للقيام بأدوارها الفسيولوجية نتيجة صراع مع عوامل خارجية كالميكروبات أو التسمّم الذي يتسرّب إلى الجسم من خلال ما يتناوله من غذاء مكثّف، أو ما يقوم به من عمل مكثّف، أو أيّ عامل آخر ؟

وهذا سؤال يطرحه العلم اليوم على نفسه، وهو جادّ في الإجابة عليه، ولا يزال للسؤال أكثر من جواب على الصعيد العلمي. فإذا أخذنا بوجهة النظر العلمية التي تتّجه إلى تفسير الشيخوخة والضعف الهرمي، بوصفه نتيجة صراع واحتكاك مع مؤثّرات خارجية معيّنة، فهذا يعني أنّ بالإمكان نظرياً، إذا عزلت الأنسجة التي يتكوّن منها جسم الإنسان على تلك المؤثّرات المعيّنة أن تمتدّ بها الحياة وتتجاوز ظاهرة الشيخوخة، وتتغلّب عليها نهائياً.

وإذا أخذنا بوجهة النظر الأُخرى التي تميل إلى افتراض الشيخوخة قانوناً طبيعياً للخلايا والأنسجة الحيّة نفسها، بمعنى أنّها تحمل في أحشائها بذرة فنائها

المحتوم، مروراً بمرحلة الهرم والشيخوخة وانتهاءً بالموت.

وإذا أخذنا بوجهة النظر هذه، فليس معنى هذا عدم افتراض أيّ مرونة في هذا القانون الطبيعي، بل هو على افتراض وجوده قانون مرن، لأنّنا نجد في حياتنا الاعتيادية ولأنّ العلماء يشاهدون في مختبراتهم العلمية أنّ الشيخوخة كظاهرة فسيولوجية لا زمنية، قد تأتي مبكّرة، وقد تتأخّر ولا تظهر إلّا في فترة متأخّرة، حتّى أنّ الرجل قد يكون طاعناً في السنّ ولكنّه يملك أعضاء ليّنة، ولا تبدو عليه أعراض الشيخوخة كما نصّ على ذلك الأطباء. بل إنّ العلماء استطاعوا عملياً أن يستفيدوا من مرونة ذلك القانون الطبيعي المفترض، فأطالوا عمر بعض الحيوانات مئات المرّات بالنسبة إلى أعمارها الطبيعية، وذلك بخلق ظروف وعوامل تؤجّل فاعلية قانون الشيخوخة.

وبهذا يثبت علمياً أنّ تأجيل هذا القانون بخلق ظروف وعوامل معيّنة أمر ممكن علمياً، ولئن لم يتح للعلم أن يمارس فعلاً هذا التأجيل بالنسبة إلى كائن معقّد معيّن كالإنسان. فليس ذلك إلّا لفارق درجة بين صعوبة هذه الممارسة بالنسبة إلى الإنسان وصعوبتها بالنسبة إلى أحياء أُخرى.

وهذا يعني أنّ العلم من الناحية النظرية وبقدر ما تشير إليه اتجاهاته المتحرّكة لا يوجد فيه أبداً ما يرفض إمكانية إطالة عمر الإنسان سواءً فسّرنا الشيخوخة بوصفها نتاج صراع واحتكاك مع مؤثّرات خارجية، أو نتاج قانون طبيعي للخليّة الحيّة نفسها يسير بها نحو الفناء.

ويتلخّص من ذلك: أنّ طول عمر الإنسان وبقاءه قروناً متعدّدة أمر ممكن منطقياً وممكن علمياً، ولكنّه لا يزال غير ممكن عملياً، إلّا أنّ اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الإمكان عبر طريق طويل.

وعلى هذا الضوء نتناول عمر المهدي عليه الصلاة والسلام وما أُحيط به من استفهام أو استغراب.

ونلاحظ أنّه بعد أن ثبت إمكان هذا العمر الطويل منطقياً وعلمياً، وثبت أنّ العلم سائر في طريق تحويل الإمكان النظري إلى إمكان عملي تدريجاً، لا يبقى للاستغراب محتوى إلّا استبعاد أن يسبق المهدي العلم نفسه، فيتحوّل الإمكان النظري إلى إمكان عملي في شخصه قبل أن يصل العلم في تطوّره إلى مستوى القدرة الفعليّة على هذا التحويل، فهو نظير من يسبق العلم في اكتشاف دواء ذات السحايا أو دواء السرطان.

وإذا كانت المسألة هي أنّه كيف سبق الإسلام ـ الذي صمّم عمر هذا القائد المنتظر ـ حركة العلم في مجال هذا التحويل ؟

فالجواب : أنّه ليس ذلك هو المجال الوحيد الذي سبق فيه الإسلام حركة العلم، أوَ ليست الشريعة الإسلامية ككلّ قد سبقت حركة العلم والتطوّر الطبيعي للفكر الإنساني قروناً عديدة ؟ أوَ لم تنادِ بشعارات طرحت خططاً للتطبيق لم ينضج الإنسان للتوصّل إليها في حركته المستقلّة إلّا بعد مئات السنين ؟ أوَ لم تأتِ بتشريعات في غاية الحكمة لم يستطع الإنسان أن يدرك أسرارها ووجه الحكمة فيها إلّا قبل برهة وجيزة من الزمن ؟ أوَ لم تكشف رسالة السماء أسراراً من الكون لم تكن تخطر على بال إنسان، ثمّ جاء العلم ليثبتها ويدعمها ؟ !

فإذا كنّا نؤمن بهذا كلّه فلماذا نستكثر على مرسل هذه الرسالة سبحانه وتعالى أن يسبق العلم في تصميم عمر المهدي عليه السلام ؟ وأنا هنا لم أتكلّم إلّا عن مظاهر السبق التي نستطيع أن نحسّها نحن بصورة مباشرة، ويمكن أن نضيف إلى ذلك مظاهر السبق التي تحدّثنا بها رسالة السماء نفسها.

ومثال ذلك أنّها تخبرنا بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أُسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. وهذا الإسراء، إذا أردنا أن نفهمه في إطار القوانين الطبيعية فهو يعبّر عن الاستفادة من القوانين الطبيعية بشكل لم يتح للعلم أن يحقّقه إلّا بعد مئات السنين، فنفس الخبرة الربانية التي أتاحت للرسول صلى الله عليه وآله التحرّك السريع قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك، أتاحت لآخر خلفائه المنصوصين العمر المديد قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك.

نعم، هذا العمر المديد الذي منحه الله تعالى للمنقذ المنتظر يبدو غريباً في حدود المألوف حتّى اليوم في حياة الناس وفي ما أُنجِز فعلاً من تجارب العلماء. ولكن أوَ ليس الدور التغييري الحاسم الذي أُعدّ له هذا المنقذ غريباً في حدود المألوف في حياة الناس وما مرّت بهم من تطوّرات التأريخ؟ أوَ ليس قد أُنيط به تغيير العالم، وإعادة بنائه الحضاري من جديد على أساس الحقّ والعدل؟ فلماذا نستغرب إذا اتّسم التحضير لهذا الدور الكبير ببعض الظواهر الغريبة والخارجة عن المألوف كطول عمر المنقذ المنتظر؟ فإنّ غرابة هذه الظواهر وخروجها عن المألوف، مهما كان شديداً، لا يفوق بحال غرابة نفس الدور العظيم الذي يجب على اليوم الموعود إنجازه.

فإذا كنّا نستسيغ ذلك الدور الفريد تأريخياً على الرغم من أنّه لا يوجد دور مناظر له في تأريخ الإنسان، فلماذا لا نستسيغ ذلك العمر المديد الذي لا نجد عمراً مناظراً له في حياتنا المألوفة؟

ولا أدري هل هي صدفة أن يقوم شخصان فقط بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد وبنائها من جديد، فيكون لكلّ منهما عمر مديد يزيد على أعمارنا الاعتيادية أضعافاً مضاعفة؟

أحدهما مارس دوره في ماضي البشرية، وهو نوح عليه السلام، الذي نصّ القرآن الكريم على أنّه مكث في قومه ألف عام إلّا خمسين سنة، وقدّر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من جديد؟

والآخر يمارس دوره في مستقبل البشرية، وهو المهدي عليه السلام، الذي مكث في قومه حتّى الآن أكثر من ألف عام، وسيقدّر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد، فلماذا نقبل نوح عليه السلام الذي ناهز ألف عام على أقلّ تقدير ولا نقبل المهدي عليه السلام؟

المعجزة والعمر الطويل:

لقد عرفنا حتّى الآن أنّ العمر الطويل ممكن علمياً، ولكن لنفترض أنّه غير ممكن علمياً، وأنّ قانون الشيخوخة والهرم قانون صارم، لا يمكن للبشرية اليوم ولا على خطّها الطويل أن تتغلّب عليه، وتغيّر من ظروفه وشروطه، فماذا يعني ذلك؟

إنّه يعني أنّ إطالة عمر الإنسان ـ كنوح أو كالمهدي ـ قروناً متعدّدة، هي على خلاف القوانين الطبيعية التي أثبتها العلم بوسائل التجربة والاستقراء الحديثة، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطّلت قانوناً طبيعياً في حالة معيّنة للحفاظ على حياة الشخص الذي أُنيط به الحفاظ على رسالة السماء.

وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها، أو غريبة على عقيدة المسلم، المستمدّة من نصّ القرآن والسنّة، فليس قانون الشيخوخة والهرم أشدّ صرامة من قانون انتقال الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقلّ حرارة حتّى يتساويا، وقد عطّل هذا القانون لحماية حياة إبراهيم عليه السلام حين كان الأسلوب

الوحيد للحفاظ عليه تعطيل ذلك القانون، فقيل للنار حين أُلقي فيها إبراهيم: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾[1]، فخرج منها كما دخل سليماً لم يصبه أذىً، إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عطّلت لحماية أشخاص من الأنبياء وحجج الله على الأرض، ففلق البحر لموسى عليه السلام، وشُبّه للرومان أنّهم قبضوا على عيسى عليه السلام، ولم يكونوا قد قبضوا عليه، وخرج النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله من داره وهي محفوفة بحشود قريش التي ظلّت ساعات تتربّص به لتهجم عليه، فستره الله تعالى عن عيونهم وهو يمشي بينهم.

كلّ هذه الحالات تمثّل قوانين طبيعية عطّلت لحماية شخص، كانت الحكمة الربانية تقتضي الحفاظ على حياته، فليكن قانون الشيخوخة والهرم من تلك القوانين.

وقد يمكن أن نخرج من ذلك بمفهوم عام، وهو أنّه كلّما توقّف الحفاظ على حياة حجّة الله في الأرض على تعطيل قانون طبيعي، وكانت إدامة حياة ذلك الشخص ضرورية لإنجاز مهمّته التي أُعدّ لها، تدخّلت العناية الربانية في تعطيل ذلك القانون لإنجاز ذلك، وعلى العكس إذا كان الشخص قد انتهت مهمّته التي أُعدّ لها ربانياً، فإنّه سيلقى حتفه ويموت أو يستشهد وفقاً لما تقرّره القوانين الطبيعية.

ونواجه عادة بمناسبة هذا المفهوم العام السؤال التالي: كيف يمكن أن يتعطّل القانون؟ وكيف تنفصم العلاقة الضرورية التي تقوم بين الظواهر الطبيعية؟ وهل هذه إلّا مناقضة للعلم الذي اكتشف ذلك القانون الطبيعي، وحدّد هذه العلاقة

---

(١) الأنبياء: ٦٩.

الضرورية على أُسس تجريبية واستقرائية ؟

والجواب : أنّ العلم نفسه قد أجاب على هذا السؤال بالتنازل عن فكرة الضرورة في القانون الطبيعي. وتوضيح ذلك : أنّ القوانين الطبيعية يكتشفها العلم على أساس التجربة والملاحظة المنتظمة، فحين يطّرد وقوع ظاهرة طبيعية عقيب ظاهرة أُخرى، يستدلّ بهذا الاطّراد على قانون طبيعي، وهو أنّه كلّما وجدت الظاهرة الأُولى وجدت الظاهرة الثانية عقيبها، غير أنّ العلم لا يفترض في هذا القانون الطبيعي علاقة ضرورية بين الظاهرتين نابعة من صميم هذه الظاهرة وذاتها، وصميم تلك وذاتها، لأنّ الضرورة حالة غيبية، لا يمكن للتجربة ووسائل البحث الاستقرائي والعلمي إثباتها، ولهذا فإنّ منطق العلم الحديث، يؤكّد أنّ القانون الطبيعي ـ كما يعرفه العلم ـ لا يتحدّث عن علاقة ضرورية، بل عن اقتران مستمرّ بين ظاهرتين، فإذا جاءت المعجزة وفصلت إحدى الظاهرتين عن الأُخرى في قانون طبيعي لم يكن ذلك فصماً لعلاقة ضرورية بين الظاهرتين.

والحقيقة أنّ المعجزة بمفهومها الديني، قد أصبحت في ضوء المنطق العلمي الحديث مفهومة بدرجة أكبر ممّا كانت عليه في ظلّ وجهة النظر الكلاسيكية إلى علاقات السببية، فقد كانت وجهة النظر القديمة تفترض أنّ كلّ ظاهرتين اطّرد اقتران إحداهما بالأُخرى، فالعلاقة بينهما علاقة ضرورة، والضرورة تعني أنّ من المستحيل أن تنفصل إحدى الظاهرتين عن الأُخرى، ولكن هذه العلاقة تحوّلت في منطق العلم الحديث إلى قانون الاقتران أو التتابع المطّرد بين الظاهرتين دون افتراض تلك الضرورة الغيبية.

وبهذا تصبح المعجزة حالة استثنائية لهذا الاطراد في الاقتران أو التتابع دون أن تصطدم بضرورة أو تؤدّي إلى استحالة.

وأمّا على ضوء الأُسس المنطقية للاستقراء، فنحن نتّفق مع وجهة النظر العلمية الحديثة في أنّ الاستقراء لا يبرهن على علاقة الضرورة بين الظاهرتين، ولكنّا نرى أنّه يدلّ على وجود تفسير مشترك لاطراد التقارن أو التعاقب بين الظاهرتين باستمرار، وهذا التفسير المشترك كما يمكن صياغته على أساس افتراض الضرورة الذاتية، كذلك يمكن صياغته على أساس افتراض حكمة دعت منظّم الكون إلى ربط ظواهر معيّنة بظواهر أُخرى باستمرار، وهذه الحكمة نفسها تدعو أحياناً إلى الاستثناء فتحدث المعجزة.

لماذا هذا الحرص على إطالة عمره عليه السلام ؟

ونتناول الآن السؤال الذي يقول: لماذا كلّ هذا الحرص من الله سبحانه وتعالى على هذا الإنسان بالذات، فتعطّل من أجله القوانين الطبيعية لإطالة عمره؟ ولماذا لا تترك قيادة اليوم الموعود لشخص يتمخّض عنه المستقبل، وتنضجه إرهاصات اليوم الموعود فيبرز على الساحة ويمارس دوره المنتظر.

وبكلمة أُخرى: ما هي فائدة هذه الغيبة الطويلة، وما المبرّر لها؟

وكثير من الناس يسألون هذا السؤال وهم لا يريدون أن يسمعوا جواباً غيبياً، فنحن نؤمن بأنّ الأئمة الاثني عشر مجموعة فريدة لا يمكن التعويض عن أيّ واحدٍ منهم، غير أنّ هؤلاء المتسائلين يطالبون بتفسير اجتماعي للموقف، على ضوء الحقائق المحسوسة لعملية التغيير الكبرى نفسها والمتطلّبات المفهومة لليوم الموعود.

وعلى هذا الأساس نقطع النظر مؤقّتاً عن الخصائص التي نؤمن بتوفّرها، في هؤلاء الأئمة المعصومين ونطرح السؤال التالي:

إنّنا بالنسبة إلى عملية التغيير المرتقبة في اليوم الموعود، بقدر ما تكون مفهومة على ضوء سنن الحياة وتجاربها، هل يمكن أن نعتبر هذا العمر الطويل لقائدها المدّخر، عاملاً من عوامل إنجاحها وتمكّنه من ممارستها وقيادتها بدرجة أكبر؟

ونجيب على ذلك بالإيجاب، وذلك لعدّة أسباب منها ما يلي:

إنّ عملية التغيير الكبرى تتطلّب وضعاً نفسياً فريداً في القائد الممارس لها مشحوناً بالشعور بالتفوّق والإحساس بضآلة الكيانات الشامخة، التي أُعدّ للقضاء عليها، ولتحويلها حضارياً إلى عالم جديد، فبقدر ما يعمر قلب القائد المغيّر من شعور بتفاهة الحضارة التي يصارعها وإحساس واضح بأنّها مجرّد نقطة على الخطّ الطويل لحضارة الإنسان، يصبح أكثر قدرة من الناحية النفسية على مواجهتها والصمود في وجهها ومواصلة العمل ضدّها حتّى النصر.

ومن الواضح أنّ الحجم المطلوب من هذا الشعور النفسي يتناسب مع حجم التغيير نفسه، وما يراد القضاء عليه من حضارة وكيان، فكلّما كانت المواجهة لكيان أكبر ولحضارة أرسخ وأشمخ، تطلّبت زخماً أكبر من هذا الشعور النفسي المفعم.

ولـمّا كانت رسالة اليوم الموعود تغيير عالم مليء بالظلم بالجور، تغييراً شاملاً بكلّ قيمه الحضارية وكياناته المتنوّعة، فمن الطبيعي أن تفتّش هذه الرسالة عن شخص أكبر في شعوره النفسي من ذلك العالم كلّه، عن شخص ليس من مواليد ذلك العالم الذين نشأوا في ظلّ تلك الحضارة التي يراد تقويضها واستبدالها بحضارة العدل والحقّ، لأنّ من ينشأ في ظلّ حضارة راسخة، تعمر الدنيا بسلطانها وقيمها وأفكارها، يعيش في نفسه الشعور بالهيبة تجاهها لأنّه ولد وهي قائمة، ونشأ صغيراً

وهي جبّارة، وفتح عينيه على الدنيا فلم يجد سوى أوجهها المختلفة، وخلافاً لذلك شخص يتوغّل في التأريخ، عاش الدنيا قبل أن ترَ تلك الحضارة النور، ورأى الحضارات الكبيرة سادت العالم الواحدة تلو الأُخرى، ثمّ تداعت وانهارت، رأى ذلك بعينيه ولم يقرأه في كتاب تأريخ، ثمّ رأى الحضارة التي يقدّر لها أن تكون الفصل الأخير من قصّة الإنسان قبل اليوم الموعود، رآها وهي بذور صغيرة لا تكاد تتبيّن، ثمّ شاهدها وقد اتّخذت مواقعها في أحشاء المجتمع البشري تتربّص الفرصة لكي تنمو وتظهر، ثمّ عاصرها وقد بدأت تنمو وتزحف وتصاب بالنكسة تارة، ويحالفها التوفيق تارةً أُخرى، ثمّ واكبها وهي تزدهر وتتعملق وتسيطر بالتدريج على مقدّرات عالم بكامله.

فإنّ شخصاً من هذا القبيل عاش كلّ هذه المراحل بفطنة وانتباه كاملين، ينظر إلى هذا العملاق ـ الذي يريد أن يصارعه ـ من زاوية ذلك الامتداد التأريخي الطويل الذي عاشه بحسّه لا في بطون كتب التأريخ فحسب، ينظر إليه لا بوصفه قدراً محتوماً، ولا كما كان ينظر (جان جاك روسو) إلى الملكية في فرنسا، فقد جاء عنه أنّه كان يرعبه مجرّد أن يتصوّر فرنسا بدون ملك، على الرغم من كونه من الدعاة الكبار فكرياً وفلسفياً إلى تطوير الوضع السياسي القائم وقتئذٍ، لأنّ (روسو) هذا نشأ في ظلّ الملكية وتنفّس هواءها طيلة حياته.

وأمّا هذا الشخص المتوغّل في التأريخ، فله هيبة التأريخ وقوّة التأريخ والشعور المفعم بأنّ ما حوله من كيان وحضارة، وليد يوم من أيام التأريخ، تهيّأت له الأسباب فوُجِد، وستتهيّأ الأسباب فيزول، فلا يبقى منه شيء، كما لم يكن يوجد منه شيء بالأمس القريب أو البعيد، وأنّ الأعمار التأريخية للحضارات والكيانات مهما طالت، فهي ليست إلّا أياماً قصيرة في عمر التأريخ الطويل.

هل قرأت سورة الكهف ؟ وهل قرأت عن أُولئك الفتية الذين آمنوا بـربّهم وزادهم الله هدى ؟ وواجهوا كياناً وثنياً حاكماً، لا يرحـم ولا يـتردّد في خـنق أيّ بذرة من بذور التوحيد والارتفاع عـن وحـدة الشرك، فـضاقت نـفوسهم، ودبّ إليها اليأس، وسدّت منافذ الأمل أمام أعينهم، ولجأوا إلى الكهف يطلبون من الله حلاً لمشكلتهم بعد أن أعيتهم الحلول، وكبر في نفوسهم أن يظلّ الباطل يحكـم ويظلم ويقهر الحقّ ويصفّي كلّ من يخفق قلبه للحقّ، هل تعلم ماذا صنع الله تعالى بهم ؟

إنّه أنامهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين في ذلك الكهف، ثمّ بعثهم من نومهم، ودفع بهم إلى مسرح الحياة، بعد أن كان ذلك الكيان الذي بهرهم بـقوّته وظـلمه، قـد تداعى وسقط، وأصبح تأريخاً لا يرعب أحداً ولا يحرّك ساكناً، كلّ ذلك لكي يشهد هؤلاء الفتية مصرع ذلك الباطل الذي كبر عليهم امتداده وقوّته واستمراره، ويروا انتهاء أمره بأعينهم ويتصاغر الباطل في نفوسهم.

ولئن تحقّقت لأصحاب الكهف هذه الرؤية الواضحة بكـلّ مـا تحـمل مـن زخم وشموخ نفسيين من خلال ذلك الحدث الفريد الذي مـدّد حـياتهم ثـلاثمائة سنة، فإنّ الشيء نفسه يتحقّق للقائد المنتظر من خلال عمره المديد الذي يتيح له أن يشهد العملاق وهو قزم والشجرة الباسقة وهي بذرة، والإعصار وهـو مجـرّد نسمة.

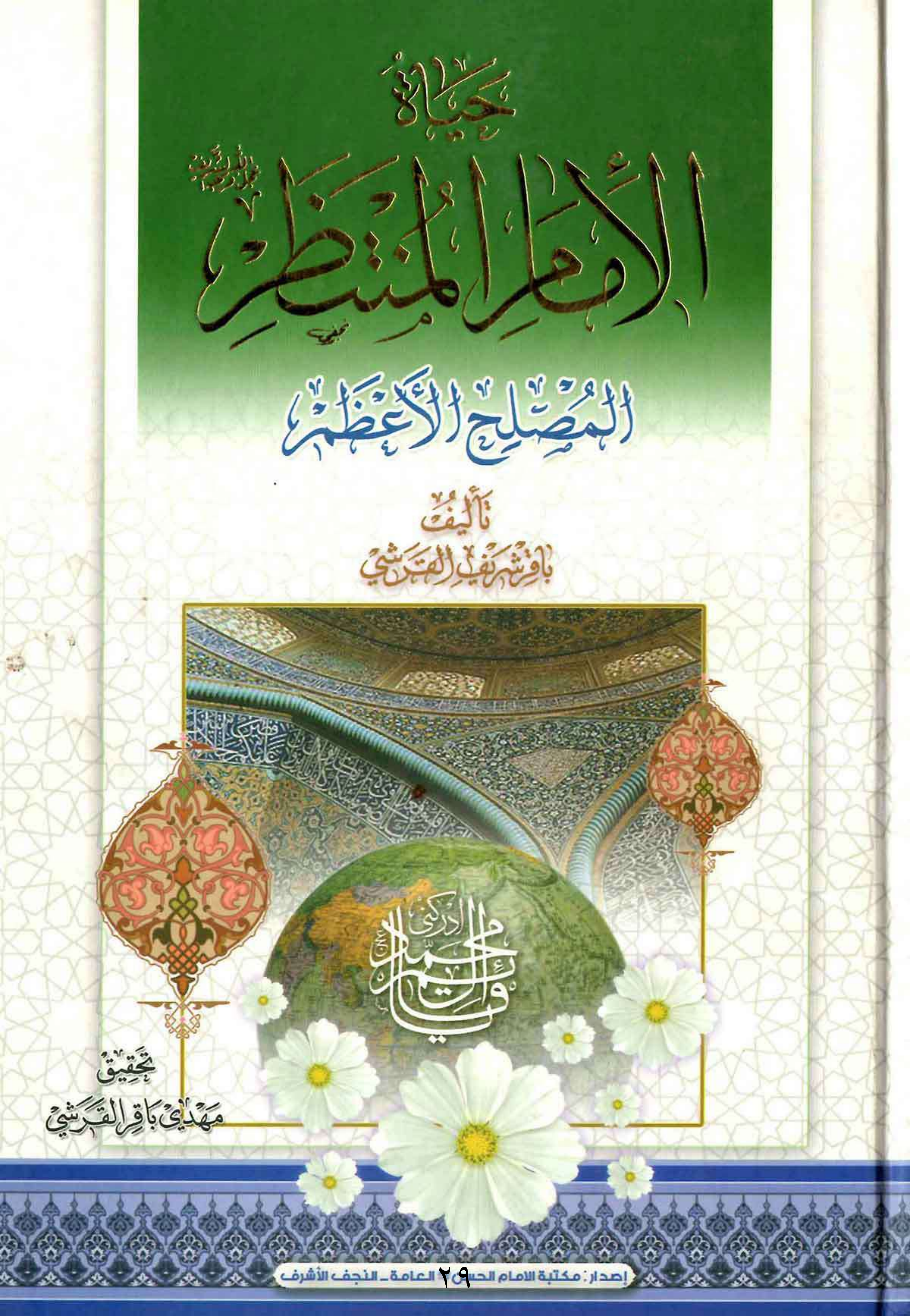
أضف إلى ذلك : أنّ التجربة التي تتيحها مواكبة تلك الحـضارات المـتعاقبة والمواجهة المباشرة لحركتها وتطوّراتها، لها أثر كبير في الإعداد الفكـري وتـعميق الخبرة القيادية لليوم الموعود، لأنّها تضع الشخص المدّخر أمام ممارسات كـثيرة للآخرين بكلّ ما فيها من نقاط الضعف والقـوّة، ومـن ألوان الخـطأ والصـواب،

وتعطي لهذا الشخص قدرة أكبر على تقييم الظواهر الاجتماعية بالوعي الكامل على أسبابها، وكلّ ملابساتها التأريخية.

ثمّ إنّ عملية التغيير المدّخرة للقائد المنتظر تقوم على أساس رسالة معيّنة، هي رسالة الإسلام، ومن الطبيعي أن تتطلّب العملية في هذه الحالة قائداً قريباً من مصادر الإسلام الأُولى، قد بنيت شخصيته بناءً كاملاً بصورة مستقلة ومنفصلة عن مؤثرات الحضارة التي يقدّر لليوم الموعود أن يحاربها، وخلافاً لذلك الشخص الذي يولد وينشأ في كنف هذه الحضارة، وتتفتّح أفكاره ومشاعره في إطارها، فإنّه لا يتخلّص غالباً من رواسب تلك الحضارة ومرتكزاتها، وإن قاد حملة تغييرية ضدّها، فلكي يضمن عدم تأثّر القائد المدّخر بالحضارة التي أُعِدّ لاستبدالها، لا بدّ أن تكون شخصيّته قد بنيت بناءً كاملاً في مرحلة حضارية سابقة، هي أقرب ما تكون في الروح العامّة، ومن ناحية المبدأ إلى الحالة الحضارية التي يتّجه اليوم الموعود إلى تحقيقها بقيادته[1].

---

(١) بحث حول المهدي عليه السلام / الشهيد الصدر: ١١ ـ ٢٦.



حياة
الإمام المنتظر
عجل الله فرجه
المصلح الأعظم
تأليف
باقر شريف القرشي
تحقيق
مهدي باقر القرشي
إصدار: مكتبة الامام الحس ٢٩ العامة ـ النجف الأشرف

الإمام المنتظر عليه السلام

المصلح الأعظم

باقر شريف القرشي

الناشر: مجمع الذخائر الاسلامية

المطبعة: شريعت

الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ ق / ١٣٨٥هـ ش

عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

شابك

ISBN 964 - 8589 - 89 - 5 ٩٦٤ـ٨٥٨٩ـ٨٩ـ٥

حقوق الطبع محفوظة للمؤلّف

٢ ـ امتداد عمره عليه السلام

وكثر التساؤل عن امتداد عمر الإمام عليه السلام، وكيف عاش هذه المدّة الطويلة التي

---

(١) منتخب الأثر: ٢٧١ و ٢٧٢.

(٢) كمال الدين: ٤٣٧ و ٤٣٨. جلاء العيون: ١٥٧/٣ و ١٥٨.

تزيد على ألف ومائة وخمسين عاماً، ولا يخضع لأعراض الشيخوخة والهرم الذي هو ظاهرة طبيعيّة للإنسان، فإنّ أنسجة جسمه وخلاياه تتصلّب بالتدريج، وكلّما امتد عمر الإنسان فإنّها لا بدّ أن تتعطّل، وذلك لصراعها مع الميكروبات أو التسمّم الذي يتسرّب إلى جسم الإنسان من خلال ما يتناوله من غذاء مكثّف أو غيره، الأمر الذي يؤدّي إلى مفارقة الحياة.

للجواب عن هذا السؤال نقول:

أوّلاً: إنّ إطالة عمر الإنسان أمرٌ ممكن عقلاً، وليس مستحيلاً ككون الشيء في آن واحد فرداً وزوجاً، فلنفرضه كصعود الإنسان إلى القمر أو أي كوكب آخر، فإنّه ممكن عقلاً، وقد تحقّق ذلك بعد أن تهيّأت الأسباب الطبيعيّة له، فإطالة عمر الإمام المهدي عليه السلام أمر ممكن علميّاً وخارجيّاً، وذلك بمشيئة الله تعالى بعزله للأنسجة التي يتكوّن منها جسم الإنسان عن المؤثّرات الخارجيّة التي تسبّب هرم الجسم وفناءه، وقد تحقّق ذلك في العالم الخارجي، فإنّ نبيّ الله تعالى نوح عليه السلام قد مكث في قومه ألف عام إلّا خمسين سنة حسب ما نصّ عليه القرآن الكريم، فلماذا نقبل ونؤمن بإطالة عمر نوح ولا نؤمن بإطالة عمر الإمام المنتظر عليه السلام، وكلّ منهما موكّل بالإصلاح الاجتماعي بين الناس؟

ثانياً: إنّا لو سلّمنا مجاراةً أنّ إطالة عمر الإنسان مئات السنين وآلاف السنين أمر غير ممكن عقلاً؛ لأنّ فيه تعطيلاً للقوانين الطبيعيّة التي تقضي بهرم الإنسان وفنائه، إلّا أنّ ذلك أمر ممكن بالنسبة إليه تعالى وحده، فقد جعل النار التي هي علّة تامّة للإحراق برداً وسلاماً على خليله ونبيّه إبراهيم، قال تعالى: ﴿**يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**﴾[1]، وكذلك فلق تعالى البحر لنبيّه موسى عليه السلام، وأنقذه مع المؤمنين من قومه من الغرق، وأغرق فرعون وجنوده، أليس في ذلك تعطيلاً

(١) الأنبياء ٢١: ٦٩.

للقوانين الطبيعيّة ؟ فلتكن قوانين الشيخوخة من هذا القبيل.

إنّ عناية الله تعالى تتدخّل لتجميد القوانين الطبيعيّة ، وإلغاء تأثيرها لإنقاذ أوليائه وأنبيائه ، فقد خرج النبيّ ﷺ من داره حينما أحاطت به قريش لتصفيته جسديّاً ، فستر الله عيونهم عن رؤيته ، وجعل عليها غشاوة ، وكان يمشي بينهم وهم لا يبصرونه.

٣ ـ لماذا هذا العمر المديد؟

وثمّة سؤال آخر طرح على ساحة هذا الموضوع ، وهو : لماذا هذا العمر المديد الذي منحه الله تعالى للإمام المنتظر عليه السلام ؟ ولِمَ لا يكون عمره كعمر جدّه رسول الله ﷺ وعمر آبائه الأئمّة الطاهرين عليهم السلام ؟

والجواب عن ذلك هو أنّ الله تعالى قد خصّ الإمام المنتظر عليه السلام بإصلاح العالم بأسره ، وأوكل إليه إنقاذ الإنسان من التيّارات المظلمة التي تعصف بحياته ، وتجعله في متاهات سحيقة في مجاهل هذه الحياة ، فالإمام المنتظر عليه السلام آخر مصلح اجتماعي.

فلا بدّ أن تمرّ الأدوار المظلمة التي عانى منها الإنسان الخطوب والمآسي ، ليكون هو الفصل الأخير الذي يفجّر النور ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً.

إنّ الإمام المنتظر عليه السلام هو العملاق الذي يغيّر مجرى تاريخ الحياة ، ويقيمها على أساس مزدهر من الحضارة الكبرى التي تعقب الحضارات التي تسود العالم ، والتي هي مليئة بالظلم والجور ، فلا بدّ له من العمر المديد ليطّلع على الدنيا بأسرها ، ويقف على أوجهها المختلفة ليقوم بالإصلاح الشامل لجميع جوانب الحياة.



الحقيقة المهدوية

دراسة وتحليل

مجموعة محاضرات تتناول أبعاداً جديدة في القضية المهدوية

السيد منير الخباز

مركز الدراسات التخصصية
في الإمام المهدي عليه السلام
النجف الأشرف ـ شارع السور ـ قرب جبل الحويش
هاتف: ٢١٨٣١٨ و ٣٧٢٠١١، النقال: ٠٧٨٠٤٧٥٤٥٣٥
ص.ب ٥٨٨
www.m-mahdi.com
info@m-mahdi.com

الحقيقة المهدوية (دراسة وتحليل)
السيّد منير الخبّاز
إعداد وتحقيق
مركز الدراسات التخصصية
في الإمام المهدي عليه السلام
الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ
النجف الأشرف
رقم الإصدار: ١١٩
عدد النسخ: ٣٠٠٠
جميع الحقوق محفوظة للمركز

المحور الثالث: فلسفة طول عمر الإمام المهدي عليه السلام:

وهنا نسأل سؤالاً هو لبُّ الموضوع، وهو أنَّ طول عمر الإمام المهدي عليه السلام بأي معنى من معاني الإرادة؟ فإنّا لا نتكلَّم عن الغيبة بشكل خاصّ، بل نتحدَّث عن فلسفة طول العمر سواء أكان غائباً أم حاضراً، فهل أنَّ طول عمر الإمام المهدي عليه السلام جاء لعامل أرضي بشري بمعنى أنَّه وقع اتّفاقاً من دون أهداف منشودة أو جاء لتخطيط سماوي هادف؟ وبعبارة أخرى هل أنَّ الإمام ولد في ذلك التاريخ وبقى هذا العمر الطويل يقي نفسه من الأمراض استناداً لأسباب طبيعية محضة لا دخل للتخطيط السماوي فيها، أو أنَّ القضية تخضع للإرادة الإلهية والتخطيط السماوي؟

والأقرب هو الثاني، أي إنَّ الله أراد بتخطيط سماوي ولأجل أهداف معيَّنة أن يعيش الإمام هذا العمر الطويل، فإرادة الله هنا بالمعنى

الثالث أي إعداد الأسباب لبقاء عمره الطويل التي منها وقاية الإمام عليه السلام نفسه من الأمراض لعلمه بأسبابها الطبيعية.

ما هي فلسفة بقاء الإمام عليه السلام هذا العمر الطويل؟ وهل لبقائه هدف أم أنَّه من باب الصدفة؟ ما هو الهدف من بقائه؟

إنَّ بقاء الإمام هذا العمر الطويل يعود لثلاثة وجوه:

الوجه الأوّل: الشهادة الحسّية:

ولتوضيح هذا الوجه نذكر أمرين:

الأمر الأوّل:

هناك فرق في علم القانون بين الشهادة العلمية والشهادة الحسّية، فإذا تحرَّك رجل حركة مريبة فتارة تراه بعينك يرتكب جريمة فهذه شهادة حسّية لأنَّك رأيته بعينك، وتارة لم ترَه بعينك ولكن بقرائن حافّة به استنتجت نتيجة قطعية بأنَّه يرتكب جريمة، وهذا الاستنتاج شهادة علمية، وليست شهادة حسّية، لأنَّك لم ترَه بعينك.

وفي علم القانون لا اعتراف بالشهادة العلمية حتَّى ولو كنت قاطعاً مائة بالمائة، فالمعترف به هو الشهادة الحسّية فقط، لأنَّها هي الشهادة القاطعة للعذر والاحتجاج.

لذلك نرى الإنسان حتَّى في يوم القيامة يحاول الهروب، إذ يؤتى المذنب صحيفته فيرى كتابه، ويقال له: هذا عملك لكنَّه لا يقبل، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ (الكهف: ٥٤)، ويقول القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ (النحل: ١١١)، ومع أنَّ الملائكة تشهد، وكتاب عمله يشهد، مع ذلك يجادل الإنسان، فأيّ شيء يفحم الإنسان في يوم القيامة ويسكته؟ الجواب هو الشهادة الحسّية، قال

تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَتُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٦٥)، وقال تعالى: ﴿وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (فصّلت: ٢١)، فإذا قامت الشهادة الحسّية من الجوارح حينئذٍ يصمت الإنسان ويفحم ويسلّم بالأمر. إذن فالشهادة الحسّية هي ذات القيمة القانونية.

الأمر الثاني:

وضع الله في كلّ زمان شاهداً على المجتمع يشهد على أعماله ومظالمه شهادة حسّية، مثلاً: عيسى بن مريم عليه السلام، يقول القرآن الكريم عنه: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ﴾، شهيداً على أعمالهم ومظالمهم، ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (المائدة: ١١٧). ويقول القرآن في حقّ النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ (البقرة: ١٤٣)، فكان الرسول في حياته يشهد على الأمّة شهادة حسّية وبعد وفاته يشهد عليهم شهادة علمية.

وكلّ زمن له إمام يشهد عليه، يقول القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ (الإسراء: ٧١)، يؤتى بإمامهم لكي يشهد عليهم. هذا هو إمامكم الذي كان شاهداً حسّياً على أعمالكم ومظالمكم.

إذن لكلّ جيل ولكلّ زمن حجّة وإمام يشهد على أعمالهم شهادة حسّية، من أجل ذلك ولد الإمام المنتظر عليه السلام في موعده وبقي إلى أن يأذن له الله تعالى له بالظهور ليسجّل الشهادة الحسّية على جميع الجرائم والمظالم الذي ارتكبت في حقّ الأمّة الإسلاميّة منذ يوم وفاة أبيه الإمام العسكري عليه السلام إلى يوم ظهوره، وهو أحد الشهود الحسّيين الذين يشهدون بهذه المظالم.

ولذلك ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان: ٤)، قال عليه السلام: «تلك ليلة القدر يكتب فيها وفد الحاجّ وما يكون فيها من طاعة أو معصية أو موت أو حياة ويحدث الله في الليل والنهار وما يشاء ثمّ يلقيه إلى صاحب الأرض»، قال الحرث بن المغيرة البصري، قلت: ومن صاحب الأرض؟ قال: «صاحبكم»[١]، كلّ ذلك تلقى إلى النبيّ ثمّ إلى الأئمّة حتّى تنتهي إلى صاحب الزمان.

وهذا المعنى هو الذي نقرأه في دعاء ليلة النصف من شعبان: «اللّهُمَّ بِحَقِّ لَيْلَتِنا وَمَوْلُودِها... سَيْفُ الله الَّذِي لا يَنْبُو وَنُورُهُ الَّذِي لا يَخْبُو وَذُو الحِلْمِ الَّذِي لا يَصْبُو مَدارُ الدَّهْرِ وَنَوامِيسُ العَصْرِ وَوُلاةُ الأَمْرِ وَالمُنَزَّلُ عَلَيْهِمْ مَا يَتَنَزَّلُ فِي لَيْلَةَ القَدْرِ»[٢].

الوجه الثاني: التكامل اليقيني في المقام الروحي:

تحدّث الشهيد السعيد المفكّر الكبير الإمام السيّد محمّد باقر الصدر قدس سره في كتابه (بحث حول المهدي عليه السلام) عن بقاء الإمام هذا العمر الطويل وذكر عبارة أصبحت مثاراً للجدل ومضمونها أنَّ السرَّ في بقاء الإمام العمر الطويل أنَّ ضخامة الدور يقتضي الضخامة في الكفاءة، فأبقى الله الإمام هذا العمر الطويل لكي تكون معاصرته للحضارات المختلفة والدول المتباينة رصيداً نفسياً له يعدّه ويؤهّله للقيام بدوره وهو إقامة الدولة العادلة على الأرض كلّها، وهذا المطلب أصبح مثاراً للتأمّل، لأنَّ الإمام منذ ولادته إمام يمتلك الطاقات والمواهب التي تؤهّله للقيام

(١) بصائر الدرجات: ٢٤١/ باب ما يلقى إلى الأئمّة في ليلة القدر.../ ح ٤.
(٢) مصباح المتهجّد: ٨٤٢ و٨٤٣/ الرقم (٢٣/٩٠٨).

بدوره، فجاهزيّته للقيام بدوره لا تحتاج إلى أن يعاصر الحضارات المختلفة والدول المتباينة حتَّى يكتسب منها رصيداً يؤهّله إلى القيام بدوره، إذن ما معنى كلامه قدس سره؟

الجواب: من المحتمل جدًّا أن يكون مقصوده توجيه بقاء الإمام عليه السلام العمر الطويل بالنسبة لمن لا يؤمن بالإمامة والأهلية الغيبية لشخصية الإمام عليه السلام كما هو ظاهر بعض عباراته، لذلك علَّل طول البقاء بكونه عاملاً مهمّاً في اكتساب الرصيد النفسي الذي يؤهّل الإمام عليه السلام للقيام بدوره القيادي.

كما يمكن لنا أن نوجّه كلامه قدس سره بالتكامل اليقيني في المقام الروحي، ومحصَّل الفكرة ما ذكره بعض الشعراء في الإمام علي عليه السلام:

قد حباه بكلّ فضل عظيم وبمقدار ما حباه ابتلاه

فإنَّ مضمونه أنَّ هناك تعادلاً بين النعم والمواهب وبين المحن والابتلاء، فما يعطيه عزّ وجلّ من النعم والمقامات قد يكون جزاءاً لما امتحن به عبده من البلاء، وما يبتلي به الله المعصومين عليهم السلام قد يكون عوضاً وبدلاً عمَّا أفاض عليهم من النعم، فبمقدار ما أُعطي أمير المؤمنين عليه السلام من المقامات امتحن بمثلها من الابتلائات ليكون هذا بهذا، وكذلك الأمر بالنسبة للإمام الحجّة عليه السلام فإنَّه إنَّما أُعطي هذا العمر الطويل ليكون ابتلاءاً له بمقدار ما سيفاض عليه من المقامات عند خروجه، وبيان ذلك:

ما معنى التكامل اليقيني في المقام الروحي؟

هنا أمران:

الأمر الأوّل:

عند الرجوع لتاريخ الأنبياء نجد أنَّ جميعهم قد مرّوا بفترات امتحان وابتلاء، مثلاً إبراهيم عليه السلام، قال تعالى عنه: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ

قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً﴾ (البقرة: ١٢٤)، وقال تعالى في حقّ الأئمّة من بني إسرائيل: ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا﴾ (السجدة: ٢٤)، أي لم نعطهم الإمامة حتّى تجاوزوا الامتحان بالصبر، وقال تعالى في حقّ يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾ (يوسف: ٢٢)، وكذلك قال تعالى في حقّ موسى بن عمران عليه السلام ما يشير لمسألة الامتحان، وكان ذلك الامتحان عنصراً ضرورياً لبلوغهم أعلى مقام يقيني من المقامات الروحية، حيث يتدرَّج النبيّ من درجة علم اليقين إلى درجة عين اليقين، إلى درجة حقّ اليقين بحيث يتكامل في المقامات الروحية تكاملاً يقينياً إلى أن يصبح مؤهّلاً لدرجة الإمامة، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً﴾ (البقرة: ١٢٤).

هل النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام يخضعون للتكامل أيضاً؟ بمعنى أنَّهم هل يسيرون مسار التكامل في المقامات الروحية؟

الجواب: إنَّ الأئمّة عليهم السلام أئمّة منذ ولادتهم ولديهم الجاهزية التامّة للقيام بأيّ دور يراد منهم ولا حاجة لهم للبقاء طويلاً لأجل اكتساب خبرة أو رصيد نفسي أو جاهزية للإمامة، لكنَّهم مع ذلك يتكاملون، على مستوى العلم وعلى مستوى المقام الروحي.

أمَّا على مستوى العلم، فنرجع إلى الجزء السادس والعشرين من كتاب (بحار الأنوار)[1]، ذكر هناك باباً تحت عنوان: (أنَّهم عليهم السلام يزادون ولولا ذلك لنفد ما عندهم)، يوجد في هذا الباب رواية قطعية السند قد تعدَّدت طرقها ورواتها، عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّا لنزاد في الليل والنهار ولو لم نزد لنفد ما عندنا».

---

(١) راجع: بحار الأنوار ٢٦: ٨٦ - ٩٧.

ورواية محمّد بن سليمان الديلمي مولى أبي عبد الله عليه السلام، عن سليمان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام، فقلت: جُعلت فداك سمعتك وأنت تقول غير مرَّة: «لولا أنّا نزاد لأنفدنا»، قال: «أمَّا الحلال والحرام فقد والله أنزله الله على نبيّه بكماله ولا يزاد الإمام في حلال وحرام»، قال: فقلت: فما هذه الزيادة؟ فقال: «في سائر الأشياء سوى الحلال والحرام»، أي إنَّ التشريع مكتمل من زمن النبيّ لا زيادة فيه، إنَّما يزاد في المعلومات الأخرى غير التشريعية.

قال: قلت: فتزادون شيئاً يخفى على رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: «لا، إنَّما يخرج الأمر من عند الله فتأتيه[1] به الملك رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقول: يا محمّد ربّك يأمرك بكذا وكذا، فيقول: انطلق به إلى علي، فيأتي علياً عليه السلام، فيقول: انطلق به إلى الحسن، فيقول: انطلق به إلى الحسين، فلم يزل هكذا ينطلق واحداً بعد واحد حتَّى يخرج إلينا»، قلت: فتزادون شيئاً لا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: «ويحك كيف يجوز أن يعلم الإمام شيئاً لم يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام من قبله؟»[2].

إذن الإمام مع أنَّه منذ ولادته أعلم الناس وفي كلّ لحظة تمرُّ عليه هو أفضل الخلق علماً وعملاً وإلاَّ لم يكن إماماً، إلاَّ أنَّه في نفس الوقت يخضع لتكامل علمي لا في علم التشريع ولا غيره من العلوم الاجتماعية والطبيعية لانكشاف الواقع أمامه، وإنَّما التكامل في علمهم ومعرفتهم بالله عزَّ وجلَّ، فالإمام في إطار تكامل علمي بالله سبحانه في كلّ لحظة وفي كلّ آنٍ، مع أنَّه في كلّ لحظة هو أكمل الناس، ولا تمرُّ لحظة على الإمام وهناك من هو أعلم منه، بل هو في

(١) هكذا في المصدر، وفي الاختصاص وبحار الأنوار: (فيأتي به الملك).
(٢) بصائر الدرجات: ٤١٣/ باب ما تزاد الأئمّة.../ ح ٥.

كلّ لحظة أعلم الناس وأكمل الناس، ولو لم يكن أكمل لما جاز أن يكون إماماً لقبح تقديم المفضول على الفاضل.

والنبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام يخضعون للتكامل على مستوى المقامات الروحية أيضاً، قال تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ﴾ (هود: ١٢٠)، وقال في آية أخرى: ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ﴾ (الفرقان: ٣٢)، فما معنى تثبيت الفؤاد؟

ليس معناه أنَّ النبيّ ينتقل من الشكّ إلى اليقين أو من القلق إلى الاطمئنان، أو كانت المعلومة مشوّشة ثمّ تصبح واضحة.

بل معنى تثبيت الفؤاد هو التكامل في المقام الروحي بحيث ينتقل من مقام روحي إلى مقام روحي آخر في كلّ لحظة وفي كلّ آنٍ، وكذلك بالنسبة لأهل البيت عليهم السلام.

مثلاً: بقاء الإمام علي عليه السلام مظلوماً في داره خمساً وعشرين سنة امتحان وابتلاء بهدف تكامل في مقامه الروحي الذي هو سبب مقاماته الأخروية العالية.

كما أنَّ تعرّض الإمام الحسن عليه السلام لهذه الهجمة الشرسة ابتلاء للتكامل في مقامه الروحي.

كما أنَّ تعرّض الإمام الحسين عليه السلام لهذه المجزرة البشعة ابتلاء وتكامل في المقام الروحي.

الأمر الثاني:

إنَّ التكامل في المقام الروحي للأئمّة الطاهرين عليهم السلام ليس دخيلاً في إمامتهم، فهم أئمّة منذ ولادتهم كما ورد في روايات عالم الأنوار(١)،

(١) راجع: بصائر الدرجات: ٩٩ - ١٠١.

وكما ورد في الزيارة الجامعة: «خَلَقَكُمُ اللَّهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقِينَ»(١). ومن كان نوراً قبل خلق الوجود كيف تكون إمامته محتاجة إلى التكامل في المقام الروحي؟

وكما أنَّه ليس دخيلاً في إمامتهم، فإنَّه ليس دخيلاً في جاهزيتهم وصلاحيتهم للقيام بأدوارهم كدور المهدي عليه السلام.

فلماذا التكامل في المقام الروحي؟

إنَّ الهدف من جعل الحجج عليهم السلام في إطار التكامل الروحي تفضيلهم على سائر الخلق، وإعداد المقامات الأخروية لهم، كما أنَّ الهدف من ابتلائهم بمختلف المحن والنوائب المعدّة للتكامل الروحي أن تكون عوضاً عمَّا وهب لهم من المقامات الملكوتية الدنيوية، مثلاً نرى في كتاب بحار الأنوار روايات متعدّدة تقول: «إنَّ الله تعالى عوَّض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذرّيته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره»(٢).

يقول كثير من علمائنا: إنَّ الحسن أفضل من الحسين، لأنَّ الحسين كان مأموماً للحسن، ومع ذلك فإنَّ الله جعل الإمامة في ذرّية الحسين، لأنَّه مرَّ بامتحان عسير لم يمرّ به إمام آخر، وهو تعرّضه لهذه المجزرة العظيمة، وهذا الامتحان الذي تعرَّض له كما كان تكاملاً في مقامه الروحي، فإنَّه عوَّض عنه بأن جُعلت الإمامة في ذرّيته و الشفاء في تربته والإجابة عند قبره.

إذن فمن المحتمل أن يكون مقصود السيّد الشهيد الصدر قدس سره أنَّ الإمام المنتظر أُعطي هذا العمر الطويل امتحاناً وابتلاءً له، وبذلك يكون طريقاً من طرق

---

(١) المزار لابن المشهدي: ٥٢٩.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٢٢١/ باب ٢٩/ ح ١، عن أمالي الطوسي: ٣١٧/ ح (٩١/٦٤٤).

التكامل الروحي وعوضاً وبدلاً مكافئاً لما أُعطي ووُهب من المقامات الشرفية آخر الزمان التي لم تُعط لحجّة من الحجج قبله. وبعبارة أخرى إنَّ الإمام المهدي عليه السلام نتيجة طول عمره يتحمَّل آلاماً ثلاثة:

١ ـ **ألم الغيبة:** وهي تعني عدم القدرة على نشر وتطبيق العلوم والمعارف كما يريده عليه السلام، فإنَّ ألم العالم أن لا يقدر على نشر علمه ومعارفه، لذلك كان جلوس أمير المؤمنين خمسة وعشرين سنة في داره أكبر ألم له، لأنَّه منع عن نشر معالمه ومعارفه وتطبيقها.

٢ ـ **ألم الجرائم:** التي ترتكب في حقّ الأمّة الإسلاميّة التي يشاهدها الإمام بعينه يومياً، ويتحمَّل غصصها يوماً بعد يوم.

٣ ـ **ألم المعاصي:** التي يرتكبها بعض شيعته فيراهم بعينه فيتألَّم لأجلهم.

وهذه الآلام امتحان للإمام، ولا يكون الامتحان جزافاً ومن دون سبب، لذلك يمكن أن يكون بقاء الإمام هذا العمر الطويل متحمّلاً لهذه الآلام الشديدة له المساوقة للتكامل في المقام الروحي عوضاً عمَّا أنعم الله عليه بأن جعل الدولة الخاتمة على يده، وأن تكون بهجة الدين والمؤمنين تحت لوائه عليه السلام.

إذن البقاء هذا العمر الطويل ليس دخيلاً في الإمامة، وليس دخيلاً في اللياقة والجاهزية للدور، ولكنَّه امتحان عوّض عليه وجوزي عليه بهذا الدور العظيم وبهذه الدولة الخاتمة.

الوجه الثالث: حفظ الشريعة:

إنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥)، ومفادها الغرض

والهدف من نزول الشريعة هو انتشار العدالة والقسط، وانتشار العدالة والقسط يتوقَّف على حفظ الشريعة.

فكما أنَّ حكمة الله شاءت أن ينصب لنا أنبياء وأئمّة، فقد شاءت حكمته أن يحفظ الشريعة بهؤلاء الأنبياء والأئمّة، فوظيفة كلّ إمام حفظ الشريعة في زمانه، والحفظ له ثلاث درجات:

١ _ **حفظ تشريعي،** عبَّر عنه الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، بمعنى حفظ القرآن عن التحريف بيد الإمام المنتظر عليه السلام.

٢ _ **حفظ تعليمي،** وهو ما يقوم به الفقهاء في الحوزات العلمية من حفظ تعليمي للشريعة، وترويج علوم الشريعة تحت نظر الإمام أيضاً.

٣ _ **حفظ عملي،** حيث إنَّ كلّ مجتمع فيه فئة متديّنة تحفظ الشريعة حفظاً عملياً، يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١)، من هؤلاء المؤمنين الذين اشتراهم الله؟ ﴿التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ﴾ (التوبة: ١١٢)، وهؤلاء هؤلاء هم المسؤولون عن حفظ الشريعة حفظاً عملياً.

فهناك حفظ تشريعي يقوم به الإمام بحفظ القرآن في زمن الغيبة عن أيّ تحريف، وهناك حفظ تعليمي يقوم به الفقهاء في الحوزات العلمية استناداً لمدد الإمام وبركته عليه السلام، وهناك حفظ عملي يقوم به

المؤمنون في كلّ مجتمع وبلدة بتسديد وتأييد الإمام المهدي عليه السلام، ﴿أُولَـئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (المجادلة: ٢٢)، والروح التي يؤيّد الله بها المؤمنين هي روح المهدي المنتظر عليه السلام.

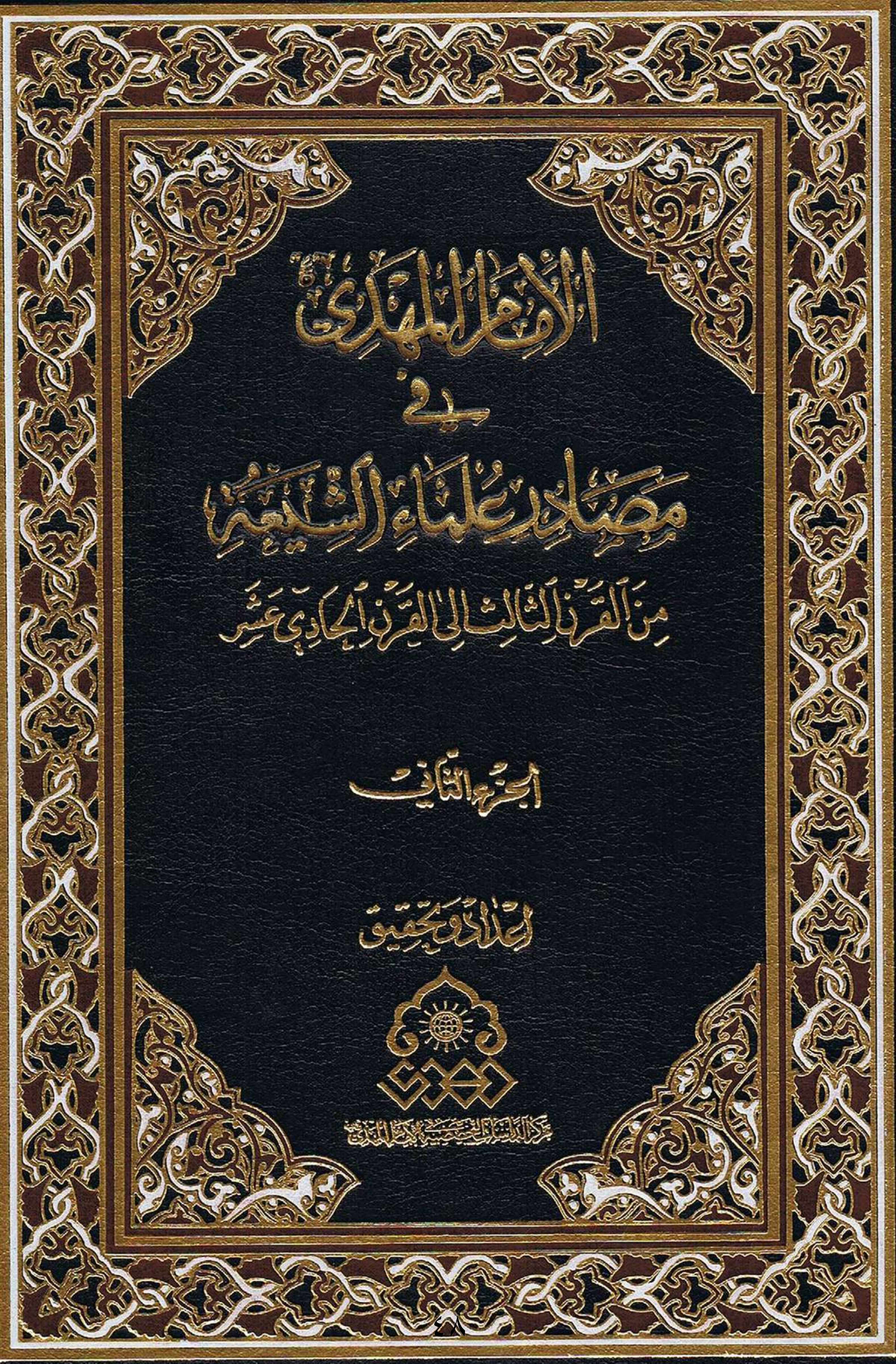
فهو عليه السلام يقوم في عصر الغيبة بحفظ التشريع وحفظ التعليم وحفظ التطبيق والعمل.

والحفظ للدين هو هدف آبائه وأجداده، وهو مسؤولية آبائه وأجداده، فما قام أمير المؤمنين إلاَّ لأجل حفظ الدين، وما قام الحسين بن علي إلاَّ لأجل حفظ الدين، وقال: «وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنَّما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمّة جدّي محمّد صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[1]، وأعطاه الله فتية قام عليهم حفظ الدين منهم القاسم بن الحسن الذي كان عمره أحد عشر سنة لكنَّه كان يفيض شجاعة وبسالة حفظاً لمبادئه ودينه.

والحمد لله ربّ العالمين

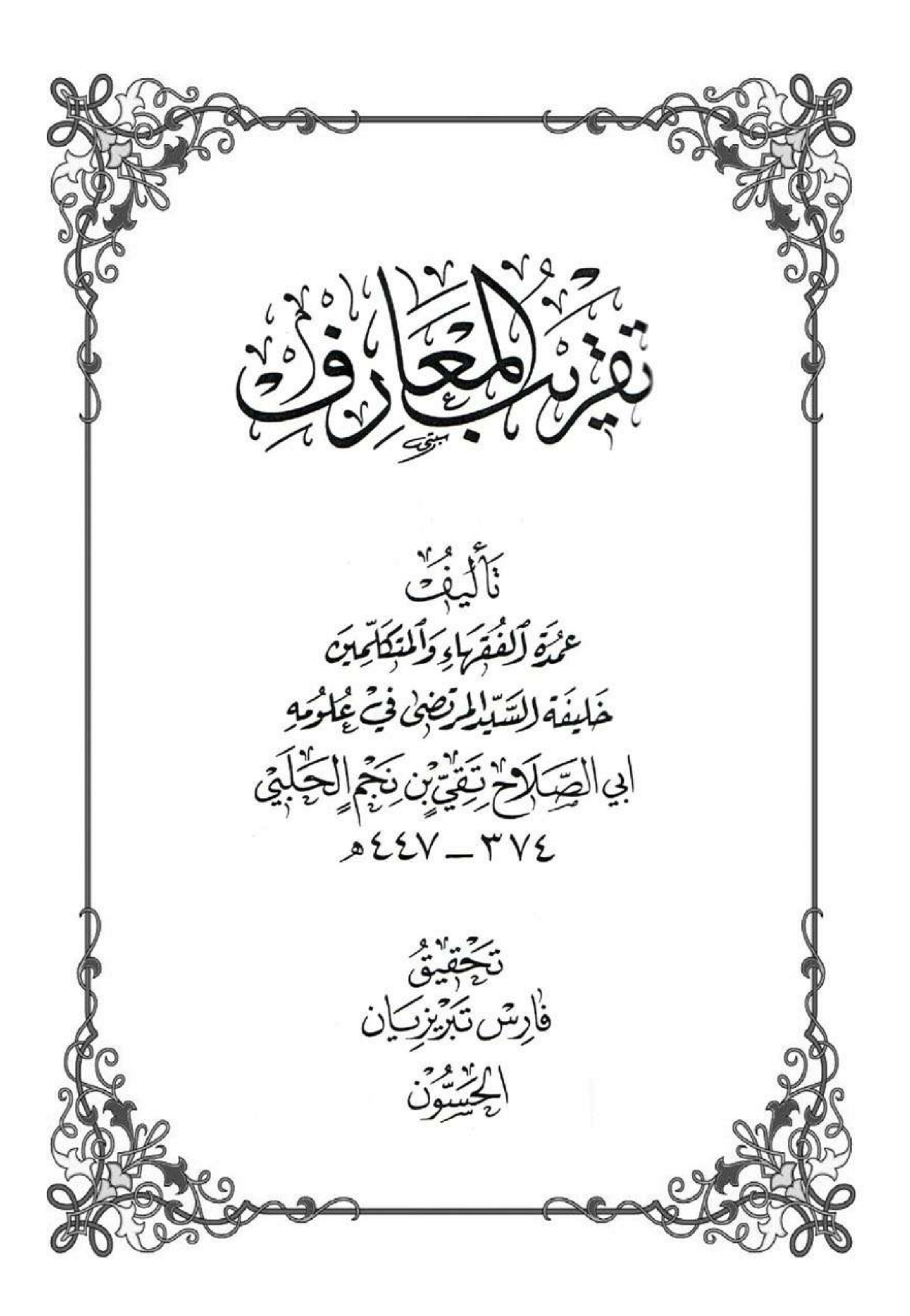
* * *

(١) الفتوح ٥: ٢١؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩.


الإمام المهدي
في
مصادر علماء الشيعة
من القرن الثالث الى القرن الحادي عشر
الجزء الثاني
اعداد وتحقيق
مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

مركز الدراسات التخصصية
في الإمام المهدي عليه السلام
النجف الأشرف ـ شارع السور ـ قرب جبل الحويش
هاتف: ٢١٨٣١٨ و ٣٧٢٠١١، النقال: ٠٧٨٠٤٧٥٤٥٣٥
ص.ب ٥٨٨
www.m-mahdi.com
info@m-mahdi.com

الإمام المهدي عليه السلام في مصادر علماء الشيعة/ ج (٢)
إعداد وتحقيق
مركز الدراسات التخصصية
في الإمام المهدي عليه السلام
الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ
رقم الإصدار: ١١٣
النجف الأشرف
عدد النسخ: ١٥٠٠
جميع الحقوق محفوظة للمركز



تقريب المعارف

تأليف

عمدة الفقهاء والمتكلمين

خليفة السيد المرتضى في علومه

أبي الصلاح تقي بن نجم الحلبي

٣٧٤ ـ ٤٤٧ هـ

تحقيق

فارس تبريزيان

الحسون

مسألة طول الغيبة وطول عمر الحجّة:

وأمَّا طول الغيبة وتراخي الزمان بها، فلثبوت الواجب لها، واستمراره من إخافة الظالمين، وإصرارهم على الظلم والعزم على استيصال الحجّة، وإذا كان ماله وجبت الغيبة مستمراً حسن لذلك استمرارها، وكانت التبعة على موجب ذلك دون الحجّة المضطر إليها.

وأمَّا طول العمر وبقاء الشباب مع كونه خلافاً للعادات، فلا قدح به، لكونه مقدوراً للقديم سبحانه وشائعاً في حكمه، وإنَّما يفعل منه من طول وقصر وشيخوخة وتبقية شباب ما يقتضي المصلحة فعله، لكون ذلك موقوفاً على مقدوره تعالى المعلوم حسن جميعه، وتعلّقه بمقدوره تعالى بغير شبهة على موحد.

وإنَّما استبعد ذلك ملحد يضيف التأثيرات إلى الطبائع أو الكواكب، فأمَّا مَن أثبت صانعاً قادراً لنفسه فشبهته في ذلك ساقطة، ولم يبقَ إلاَّ استبعاده في العادة مع المنع من خرق العادات لغير الأنبياء عليهم السلام، وكلا الأمرين ساقط:

أمَّا استبعاده في العادة، فالمعلوم خلافه.

لإجماع الأمّة على طول عمر نوح عليه السلام، وأنَّه عاش ألفاً ومائتين،

وقد نطق القرآن بنبوّته في قومه داعياً ألف سنة إلاَّ خمسين عاماً، ولا شبهة في وجوده حيّاً قبل الدعوة وبعد الطوفان.

وأجمع العلماء بالنقل على كون الخضر عليه السلام حيّاً باقياً إلى الآن، وهو على ما وردت الروايات به من ولد الثاني[1] من ولد نوح عليه السلام، ويكفي كونه صاحباً لموسى بن عمران عليه السلام باقياً إلى الآن.

وقد تواتر الخبر وأجمع أهل السيرة على طول عمر لقمان الحكيم عليه السلام، وأنَّه عاش عمر سبعة أنسر، وفيه يقول الأعشى، شعر:

لنفسك أن تختار سبعة أنسر ... إذا ما مضى نسر خلوت إلى نسر

فعمَّر حتَّى خال أنَّ نسوره ... خلود وهل تبقى النفوس على الدهر

وقال لأدناهنَّ إذ حلَّ ريشه ... هلكت وأهلكت ابن عاد وما تدري[2]

وإنَّما اختلفوا في عمر النسر، ففيهم من قال: ألف سنة، وفيهم من قال: خمس مائة سنة، وأقلّ ما روي: أنَّ عمر السبعة الأنسر الذي عاشه لقمان ألف وخمسون ومائة سنة.

وقد تناصرت الروايات بطول عمر سلمان الفارسي رضي الله عنه، وأنَّه لقي من لقي المسيح عليه السلام، وعاش إلى خلافة عمر بن الخطّاب.

ونقل الكلّ من أصحاب الحديث أو من تثبت بنقله الحجّة من الفرق المختلفة أخبار المعمّرين ودوَّنوا أشعارهم وأخبارهم.

فمن ذلك: عمرو بن حممة الدوسي، عاش أربع مائة سنة حاكماً على العرب، وهو ذو الحلم الذي يقول فيه المتلمّس[3] اليشكري، شعر:

---

(١) كذا في النسخة.

(٢) كنز الفوائد: ٢٤٩، المعمّرون: ٤ و٥؛ كمال الدين ٢: ٥٥٩.

(٣) في النسخة المطبوعة: (الملتمس)، والصحيح ما أثبتناه من المصادر.

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ... وما علّم الإنسان إلاّ ليعلما[(١)]

وهو القائل:

كبرتُ وطال العمر حتّى كأنّني ... سليم أفاع ليله غير مودع

فما الموت أفناني ولكن تتابعت ... عليّ سنون من مصيف ومربع

ثلاث مئين قد مررن كواملاً ... وها أنا هذا أرتجي مرّ أربع[(١)]

ومنهم: الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن خالد بن مالك بن أدد المذحجي، وكان من حكماء العرب وفصحائهم، وهو القائل، شعر:

أكلتُ شبابي فأفنيته ... وأمضيتُ بعد دهور دهورا

ثلاثة أهلين صاحبتهم ... فبادوا وأصبحت شيخاً كبيرا

عسير القيام قليل الطعام[(٢)] ... قد ترك الدهر خطوى قصيرا

أبيت أرعى[(٣)] نجوم السما ... أُقلّب أمري بطوناً ظهورا[(٤)]

ومنهم: المستوغر، وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد بن[(٥)] مناة بن تميم بن مرّة بن أدّ بن طلحة[(٦)] بن إلياس بن مضر.

عاش ثلاث مائة، وأدرك أوّل الإسلام، وروي أنّه مات قبل ظهور النبيّ ﷺ، وهو القائل، شعر:

---

(١) المعمرون والوصايا: ٥٨.

(١) كنز الفوائد: ٢٥٠؛ المعمّرون والوصايا: ٥٨.

(٢) في المصادر الأخرى: (قليل الطعام عسير القيام...).

(٣) كذا، وفي المصادر الأخرى: (أُراعي).

(٤) كنز الفوائد: ٢٥١؛ المعمّرون والوصايا: ١٢٤؛ أمالي المرتضى ١: ٢٣٢ و٢٣٣.

(٥) في أمالي المرتضى: (زيد مناة).

(٦) في أمالي المرتضى: (طابخة بن الياس).

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها وعَمِرتُ من عدد السنين مئينا
مائة أتت من بعدها مائتان لي وازددتُ من عدد الشهور سنينا
هل ما بقي إلاَّ كما قد فاتنا يوم يكرّ وليلة تحدوها[(١)]

ومنهم: دويد بن زيد بن نهد بن[(٢)] سود بن أسلم بن ألحاف بن قضاعة بن مالك بن مرّة بن مالك بن حمير.

عاش أربع مائة سنة وستّاً وخمسين سنة، وهو القائل، الشعر:

اليوم يبنى لدويد بيته ....[(٣)]

إلى قوله، شعر:

لو كان للدهر بلىً أبليته أو كان قرني واحداً كفيته[(٤)]

ومن قوله، شعر:

ألقى عليَّ الدهر رجلاً ويدا والدهر ما أصلح يوماً أفسدا
يفسد ما أصلحه اليوم غدا[(٥)]

ومنهم: زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن ألحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة بن زيد بن مالك بن حمير، عاش مائتي سنة، وواقع مائتي وقعة، وكان سيّداً مطاعاً شريفاً في قومه،

(١) المعمّرون: ١٢ - ١٤؛ أمالي المرتضى ١: ٢٣٤؛ كمال الدين ٢: ٥٦١.
(٢) في أمالي المرتضى: (نهد بن زيد بن ليث بن أسود).
(٣) في أمالي المرتضى ١: ١٧١: (يا رب نهب صالح حويته...).
(٤) المعمّرون والوصايا: ٢٦؛ أمالي المرتضى ١: ٢٣٦ و٢٣٧.
(٥) كنز الفوائد: ٢٥٠؛ المعمّرون والوصايا: ٢٥؛ أمالي المرتضى ١: ٢٣٧.

ويقال: كانت فيه عشر خصال، لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه: كان سيّد قومه، وشريفهم، وخطيبهم، وشاعرهم، ووافدهم إلى الملوك، وطبيبهم، وكاهنهم، وفارسهم، وله البيت فيهم، والعدد منهم. وله حِكم ووصايا وأشعار مشهورة. فمن قوله، شعر:

لقد عمَّرت حتَّى ما أُبالي أحتفي في صباحي أو مسائي
وحقّ لمن أتت مائتان عاماً عليه أن يملَّ من الثواء[1]

ومنهم: ذو الأصبع العدواني، واسمه حرثان بن محرّث بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عبّاد بن يشكر بن عدوان، وكان شاعراً فصيحاً ومن حكماء العرب، عاش مائة سنة وسبعين سنة، وفي رواية أبي حاتم أنَّه عاش ثلاث مائة سنة، ومن حسن شعره:

لا يبعدنَّ عهد الشباب ولا لذّاته ونباته[2] النضر
هزئت أثلية أن[3] رأت هرمي وأن انحنى لتقادم ظهري

* * *

أكاشر ذا الطعن[4] المبيّن عنهم وأضحك حتَّى يبدو الناب أجمع
وأهدنه بالقول هدناً ولو يرى سريرة ما أُخفي لبات يفزّع[5]

ومنهم: الربيع بن ضبع الفزاري، روي أنَّه دخل على عبد الملك بن

(١) المعمّرون والوصايا: ٣٤؛ أمالي المرتضى ١: ٢٣٨ – ٢٤١.
(٢) في النسخة: (وبيانه).
(٣) في النسخة: (هربت أثلية إذا).
(٤) كذا في الأصل، وفي أمالي المرتضى وبحار الأنوار: (الضغن).
(٥) أمالي المرتضى ١: ٢٤٤ – ٢٥١.

مروان، فقال له: يا ربيع أخبرني عمَّا أدركتَ من العمر ورأيتَ من الخطوب الماضية؟

فقال: أنا الذي أقول، شعر:

هـا أنـا ذا آمـل الخلـود وقـد　　　أدرك عقلـي ومولـدي حُجـرا

فقال عبد الملك: قد رويت هذا من شعرك وأنا صبيّ، يا ربيع لقد طلبك جدّ غير عاثر ففصّل لي عمرك.

فقال: عشت مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلام وعشرين ومائة في الجاهلية وستّين في الإسلام، وهو القائل، شعر:

إذا كـان الشـتاء فـأدفئوني　　　فـإنَّ الشـيخ يهدمـه الشـتاء

وأمَّـا حـين يـذهب كـلّ قـرّ　　　فسـربالٌ خفيـف أو رداء

إذا عـاش الفتـى مـائتين عامـاً　　　فقـد ذهـب المسـرّة[1] والفتـاء[2]

ومنهم: عبد المسيح بن بقيلة، واسمه ثعلبة بن عمرو بن قيس بن حيّان، عاش ثلاث مائة سنة وخمسين سنة، وأدرك الإسلام فلم يسلم وكان نصرانياً، وبنى له قصراً بالحيرة، وعاش إلى خلافة عمر، ولمَّا نزل خالد بن الوليد بالحيرة صالحه على مائة ألف درهم، فقال في ذلك، شعر:

أبعـد المنـذرين أرى سـوا مـا　　　تـروّح بـالخورنق والسـدير

تحامـاه فـوارس كـلّ قـوم　　　مخافـة ضـيغم علـى الزئيـر

إلى قوله:

(١) في معظم المصادر: (اللذاذة) بدلاً من (المسرة)، وفي بعضها: (فقد أودى المسرة).

(٢) كمال الدين ٢: ٥٤٩ و٥٥٠؛ أمالي المرتضى ١: ٢٥٣ - ٢٥٥؛ المعمّرون: ٨: ١٠.

نؤدّي الخرج بعد خراج كسرى ... وخرج من قريظة والنضير
كذاك الدهر دولته سجال ... فيوم من مساة أو سرور[(١)]

ومنهم: النابغة الجعدي، واسمه قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ويكنّى أبا ليلى، وأدرك الإسلام فأسلم، وهو القائل، شعر:

تذكَّرت والذكرى تهيج على الهوى ... ومن حاجة المحزون أن يتذكّرا
ندامای عند المنذر بن محرق ... أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا[(٢)]
كهول وفتيان كأنَّ وجوههم ... دنانير ممَّا شيف في أرض قيصرا

وله أيضاً:

لبست أُناسا فأفنيتهم ... وأفنيت بعد أُناس أُناساً
ثلاثة أهلين أفنيتهم ... وكان الإله هو المستآسا

يعني المستعاض، وله:

ولقد شهدتُ عكاظ قبل محلّها ... فيها وكنت أُعدّ مفتيان[(٣)]
والمنذر بن محرّق في ملكه ... وشهدت يوم هجائن النعمان
وعمَّرت حتَّى جاء أحمد بالهدى ... وقوارع تتلى من القرآن[(٤)]

ومنهم: أكثم بن صيفي الأسدي، عاش ثلاث مائة سنة وثلاثين

(١) أمالي المرتضى ١: ٢٦٠ - ٢٦٢.
(٢) في أمالي المرتضى: (أقفرا).
(٣) كذا في المصدر، وفي المصادر الأخرى: (من الفتيان)، (ملفتيان)، (م الفتيان)، (في الفتيان).
(٤) أمالي المرتضى ١: ٢٦٣ - ٢٦٦.

سنة، وأدرك النبيّ صلى الله عليه وآله وآمن به قبل أن يلقاه، وله أحاديث كثيرة وحِكم، وهو القائل، شعر:

وإنَّ امرءاً قد عاش تسعين حجَّة إلى مائة لم يسأم العيش جاهل

مضت مائتان بعد عشر وفازها[1] وذلك من عدّ الليالي قلائل[2]

ومنهم: صيفي بن رباح، عاش مائتي سنة وسبعين سنة، لا ينكر من عقله شيء، وهو في بعض الروايات ذو الحلم الذي يقول المتلمّس اليشكري فيه البيت السالف[3].

ومنهم: ضبيرة بن سعد بن سهم بن عمرو، عاش مائتي سنة وعشرين سنة ولم يشب، وأدرك الإسلام ولم يسلم، ومات أسود الشعر صحيح الأسنان، فرثاه ابن عمّه قيس بن عديّ فقال، شعر:

مَن يأمن الحدثان بعد ضبيرة السهمي ماتا

سبقت منيّته المشيب فكان ميتته افتلاتا

فتزوّدوا لا تهلكوا من دون أهلكم خفاتا[4]

ومنهم: شريح بن هاني بن نهيك بن دريد بن سلمة، أدرك الإسلام، وقتل في ولاية الحجّاج، وهو القائل، شعر:

قد عشتُ بين المشركين أعصرا ثمَّت أدركت النبيّ المنذرا

وبعده صدّيقه وعمرا [ويوم مهران ويوم تسترا]

---

(١) في كمال الدين: (خلت مائتان غير ست وأربع).

(٢) كنز الفوائد: ٢٤٩؛ المعمّرون: ١٤ - ٢٥؛ كمال الدين ٢: ٥٧٠.

(٣) كمال الدين ٢: ٥٧٠؛ الوصايا: ١٤٦.

(٤) الغيبة للطوسي: ٨١؛ كمال الدين ٢: ٥٦٥؛ المعمّرون: ٢٥.

هيهاتَ ما أطول هذا عمرا   والجمع من صفّينهم والنهرا[١]

ومنهم: الحارث بن مضاض الجرهمي[٢]، عاش أربع مائة سنة، وأدرك الإسلام ولم يسلم، وقتل يوم حنين، وهو القائل، شعر:

حرب عوان ليتني فيها جدع   ....[٣]

وإذا كان ما ذكرناه من أعمار هؤلاء معلوماً لكلّ سامع للأخبار، وفيهم أنبياء صالحون وكفّار معاندون وفسّاق معلنون، سقط دعوى خصومنا كون عمر الغائب خارقاً العادة، لثبوت أضعاف ما انتهى إليه من المدّة لأبرار وفجّار.

على أنَّ خرق العادة على غير الأنبياء عليهم السلام إنَّما يمنع منه المعتزلة وإخوانها الخوارج إذا تكاملت فيه شروط المعجز، وطول عمر الحجّة عليه السلام خارج من قبيل الإعجاز بغير شبهة، لانفصاله من دعواه، بل هو مستحيل[٤]، لأنَّ تأخّر الدعوى ومضيّ العمر الخارق للعادة لا يؤثّر شيئاً، لوجوب تقدّم الدعوى بخرق العادات المفعول للتصديق عقيبها، وتقدّم الدعوى بطول العمر لا يجدي شيئاً، لتعرّيها من برهان صحَّته، ولوقوعها على ما لم يحصل إلاَّ بعد أزمان.

اللهم إلاَّ أن يجعل جاعل طول عمره عليه السلام مدّة معلومة دلالة على صدقه بعد مضيّ الزمان الذي أخبر به، غير أنَّ هذا المعجز من قبيل الإخبار بالغائبات دون طول العمر.

---

(١) كمال الدين: ٥٥٨.

(٢) راجع ترجمته في تذكرة الخواصّ: ٣٦٥؛ المعمّرون: ٨.

(٣) في المصادر أنَّ هذا البيت لـ(دريد بن الصمة)، والشطر الثاني فيه: (أخب فيها وأضع). أنظر: تفسير القمي ١: ٢٨٦.

(٤) كذا.

أو يجعل جاعل ظهوره عليه السلام بعد طول المدّة شابّاً قويّاً معجزاً، فيصحّ ذلك، إلاَّ أنَّه مختصّ بزمان ظهوره دون زمان غيبته.

وبعد، فلو سلَّمنا أنَّ طول عمر الغائب عليه السلام المدّة التي بلغها أحد مَن ذكرناه من المعمّرين وأضعافها خارقاً للعادة على ما اقترح علينا، وأنَّه من قبيل الإعجاز، لم يقدح ذلك في شيء ممَّا قدَّمناه، لجواز ظهور المعجز عندنا على الأبرار، فضلاً عن الحجج والصالحين حسب ما دللنا عليه في ماضي كتابنا هذا وأوضحناه.



شرح جمل العلم والعمل

للشريف المرتضى علم الهدى

تأليف

شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي قدس سره

(٣٨٥ - ٤٦٠ هـ)

صححه وعلق عليه

الشيخ يعقوب الجعفري المراغي

[طول الغيبة وزيادة عمر الغائب]:

مسألة:

قال السيّد المرتضى رضي الله عنه: وطول الغيبة كقصيرها؛ لأنَّها متعلّقة بزوال الخوف الذي ربَّما تقدَّم أو تأخَّر. وزيادة عمر الغائب على المعتاد لا قدح به، لأنَّ العادة قد تنخرق للأئمّة بل للصالحين.

شرح ذلك:

إذا كان السبب في استتاره وغيبته ما بيّناه من خوفه على نفسه جاز أن يطول زمان غيبته، لاستمرار أسبابها التي أوجبها، لأنّها متعلّقة بها. فلا يجوز ظهوره مع ثبوت السبب الموجب للغيبة، لأنّه يؤدّي ذلك إلى تغريره بنفسه. ولا ينبغي أن يستبعد استمرار أسباب الغيبة، لأنّ ذلك ممكن غير ممتنع.

فأمّا طول الغيبة وخروجه عن العادة فلا اعتراض به أيضاً لأمرين:

أحدهما: إنّا لا نسلّم أنّ ذلك خارق للعادة، لأنّ من قرأ الأخبار ونظر في أحوال من تقدّم ووقف على ما سطر في الكتب من ذكر المعمّرين، علم أنّ ذلك قد جرت العادة بمثله. وقد نطق القرآن ببعض ذلك، قال الله تعالى إخباراً عن نوح النبيّ عليه السلام: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾[1] فأخبر بمقامه بين أظهرهم هذه المدّة، وهو أضعاف ما وجدنا من عمر صاحب الزمان عليه السلام. وما ذكر من أخبار المعمّرين من العرب والعجم قد صنّفت فيه الكتب[2]، وقد أوردنا طرفاً منه في كتاب الغرر والدرر[3] لا يتحمّل هذا الموضع إيراده.

والوجه الأخير: أنّا لو سلّمنا أنّ ذلك خارق للعادات كلّها عادتنا وغيرها، كان أيضاً جائزاً عندنا، لأنّ أكثر ما في ذلك أن يكون معجزاً،

---

(١) العنكبوت: ١٤.

(٢) مثل كتاب المعمّرين لأبي حاتم السجستاني؛ وكتاب المعمّرين لأبي مخنف؛ وكتاب المعمّرين لأبي منذر هشام بن محمّد الكلبي.

(٣) أُنظر ١: ٢٣٢ من كتاب غرر الفوائد ودرر القلائد للسيّد المرتضى المعروف بأمالي المرتضى. وهذا الكتاب من أنفس كتب السيّد، وهو مشحون بالفوائد التفسيريّة والأدبيّة والتاريخيّة والكلاميّة. وقد طبع مرّات.

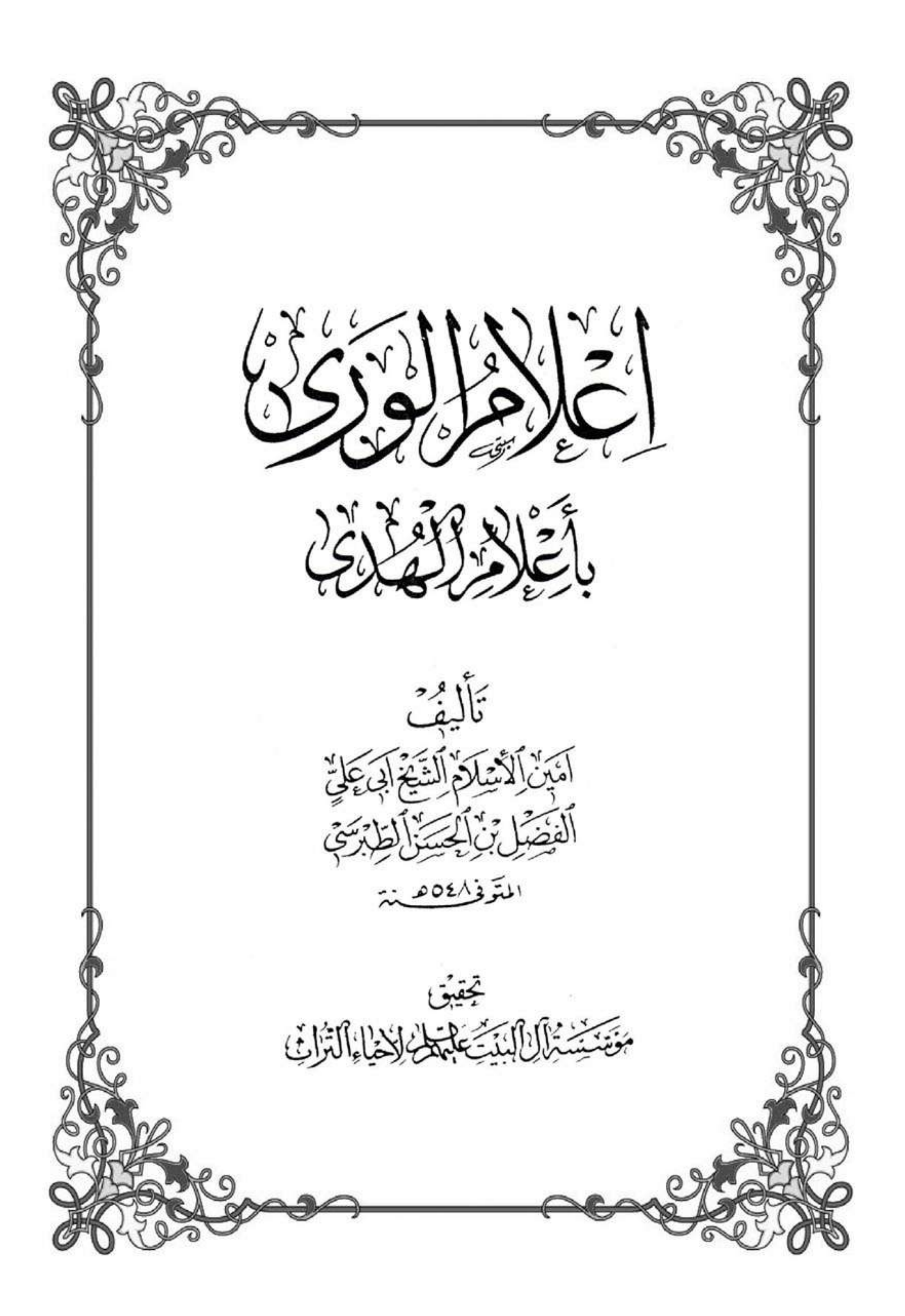
وإظهار المعجزات عندنا يجوز على ما ليس بنبيّ من إمام أو صالح. وهو مذهب أكثر الأُمّة غير المعتزلة والزيديّة والخوارج. وإن سمّى بعضهم ذلك كرامات لا معجزات، ولا اعتبار بالأسماء بل المراد خرق العادات.

وقد دللنا على هذا المذهب في كثير من المواضع ذكرناه في الشافي[1] والذخيرة، وليس هذا موضع ذكره.

وهذا جملة مقنعة في هذا الباب إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) أنظر: الشافي في الإمامة ١: ١٩٦.



إعلام الورى

بأعلام الهدى

تأليف

أمين الإسلام الشيخ أبي علي
الفضل بن الحسن الطبرسي
المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

تحقيق

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

مسألة سادسة: [طول العمر وكمال العقل]:

قالوا: لا يمكن أن يكون في العالم بشر له من السنّ ما تصفونه لإمامكم، وهو مع ذلك كامل العقل، صحيح الحسّ، وأكثروا التعجّب من ذلك، وشنعوا به علينا.

والجواب: أنّ من لزم طريق النظر، وفرّق بين المقدور والمحال، لم ينكر ذلك، إلاّ أن يعدل عن الإنصاف إلى العناد والخلاف. وطول العمر وخروجه عن المعتاد لا اعتراض به لأمرين:

أحدهما: إنّا لا نسلّم أنّ ذلك خارق للعادة، لأنّ تطاول الزمان لا ينافي وجود الحياة، وإنّ مرور الأوقات لا تأثير له في العلوم والقدر، ومن قرأ الأخبار ونظر فيما سطر في الكتب من ذكر المعمّرين علم أنّ ذلك ممّا جرت العادة به، وقد نطق القرآن بذكر نوح وأنّه لبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً.

وقد صنّفت الكتب في أخبار المعمّرين من العرب والعجم، وقد تظاهرت الأخبار بأنّ أطول بني آدم عمراً الخضر عليه السلام، وأجمعت الشيعة وأصحاب الحديث بل الأمّة بأسرها _ ما خلا المعتزلة والخوارج _ على أنّه موجود في هذا الزمان، حيّ كامل العقل، ووافقهم على ذلك أكثر أهل الكتاب. ولا خلاف في أنّ سلمان الفارسي أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قارب من عمره أربعمائة عام.

وهب أنّ المعتزلة والخوارج يحملون أنفسهم على دفع الأخبار، فكيف يمكنهم دفع القرآن وقد نطق بدوام أهل الجنّة والنار، وجاءت الأخبار بلا خلاف بين الأمّة فيها بأنّ أهل الجنّة لا يهرمون ولا يضعفون، ولا يحدث بهم نقصان في الأنفس ولو كان ذلك منكراً من جهة العقول لما جاء به القرآن، ولا حصل عليه الإجماع، ومن اعترف بالخضر عليه السلام لم يصحّ منه هذا الاستبعاد،

ومن أنكره حجّته الأخبار، وجاءت الرواية عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لمَّا بعث الله نوحاً إلى قومه بعثه وهو ابن خمسين ومائتي سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلاَّ خمسين عاماً، وبقي بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة، فلمَّا أتاه ملك الموت عليه السلام قال له: يا نوح، يا أكبر الأنبياء، ويا طويل العمر، ويا مجاب الدعوة، كيف رأيت الدنيا؟

قال: مثل رجل بني له بيت له بابان فدخل من واحد وخرج من الآخر»[1].

وكان لقمان بن عاد الكبير أطول الناس عمراً بعد الخضر، وذلك أنَّه عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة، ويقال: إنَّه عاش عمر سبعة أنسر، وكان يأخذ فرخ النسر الذكر فيجعله في الجبل فيعيش النسر منها ما عاش، فإذا مات أخذ آخر فربّاه، حتَّى كان آخرها لبد وكان أطولها عمراً فقيل: أتى أبد على لبد[1].

وعاش الربيع بن ضبع الفزاري ثلاثمائة سنة وأربعين سنة، وأدرك النبيّ صلى الله عليه وآله وهو الذي يقول:

ها أنا ذا آمل الخلود وقد ... أدرك عمري ومولدي حجرا
أما امرئ القيس قد سمعت به ... هيهاتَ هيهاتَ طال ذا عمرا

وهو القائل:

إذا عاش الفتى مائتين عاما ... فقد أودى المسرة والغناء

وله حديث طويل مع عبد الملك بن مروان.

وعاش المستوعر بن ربيعة ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين سنة، وهو الذي يقول:

---

(١) راجع كتاب المقنع في الغيبة للسيّد المرتضى رحمه الله، والمنشور محقّقاً على صفحات مجلة تراثنا الفصليّة: العدد ٢٧/ الصفحة ١٥٥.

(١) كمال الدين: ٥٥٩.

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من بعد السنين سنينا

وعاش أكثم بن صيفي الأسدي ثلاثمائة وستّاً وثلاثين سنة، وهو الذي يقول:

وإن امرءاً قد عاش تسعين حجّة إلى مائة لم يسأم العيش جاهل

خلت مائتان غير ستّ وأربع وذلك من عدّ الليالي قلائل

وكان ممَّن أدرك النبيّ ﷺ وآمن به، ومات قبل أن يلقاه.

وعاش دريد بن زيد أربعمائة سنة وستّاً وخمسين سنة، فلمَّا حضره الموت قال:

ألقى علي الدهر رجلاً ويدا والدهر ما أصلح يوماً أفسدا

يفسد ما أصلحه اليوم غدا

وعاش دريد بن الصمة مائتي سنة، وقتل يوم حنين.

عاش صيف[١] بن رياح بن أكثم مائتي سنة وسبعين سنة، لا ينكر من عقله شيئاً وهو ذو الحلم، زعموا فيه ما قال المتلمّس:

لذي الحلم قبل اليوم ما يقرع العصا وما علم الإنسان إلاَّ ليعلما

وعاش نصر بن دهمان بن سليم بن أشجع مائة وتسعين سنة حتَّى سقطت أسنانه، وابيضَّ رأسه، فاحتاج قومه إلى رأيه، فدعوا الله أن يرد إليه عقله، فعاد إليه شبابه واسودَّ شعره، فقال في ذلك سلمة بن الخرشب:

لنصر بن دهمان الهنيدة[٢] عاشها وتسعين حولاً ثمّ قوم فانصاتا

(١) في (م): (صيفي).

(٢) الهنيدة: المائة من الإبل وغيرها. (الصحاح ٢: ٥٥٧).

وعاد سواد الرأس بعد بياضه وراجعه شرخ الشباب الذي فاتا
وعاش ملياً في رخاء وغبطة[(١)] ولكنَّه من بعد ذا كلّه ماتا

وعاش ضبيرة بن سعيد السهمي مائتين وعشرين سنة، وكان أسود الرأس، صحيح الأسنان.

وعاش عمرو بن حممة الدوسي أربعمائة سنة، وهو الذي يقول:

كبرت وطال العمر حتَّى كأنَّني سليم يراعي ليله غير مودع
فلا الموت أفناني ولكن تتابعت عليَّ سنون من مصيف ومرتع
ثلاث مئات قد مررن كواملا وها أنا ذا أرتجي مرَّ أربع

وروى الهيثم بن عدي، عن مجاهد، عن الشعبي قال: كنّا عند ابن عبّاس في قبّة زمزم وهو يفتي الناس، فقام إليه أعرابي فقال: قد أفتيت أهل الفتوى فافت أهل الشعر.

فقال: قل. قال: ما معنى قول الشاعر:

لذي الحلم قبل اليوم ما يقرع العصا وما علم الإنسان إلاَّ ليعلما

قال: ذلك عمرو بن حممة الدوسي، قضى على العرب ثلاثمائة سنة، فلمَّا كبر ألزموه السادس أو السابع من ولد ولده، فقال: إنَّ فؤادي بضعة منّي، فربَّما تغيَّر عليَّ في اليوم مراراً، وأمثل ما أكون فهماً في صدر النهار، فإذا رأيتني قد تغيَّرت فاقرع العصا، فكان إذا رأى منه تغيّر أقرع العصا فراجعه فهمه.

وعاش زهير بن حباب بن عبد الله بن كنانة بن عوف أربعمائة سنة وعشرين سنة، وكان سيّداً مطاعاً شريفاً في قومه.

---

(١) كذا في المصدر وكشف الغمّة، وفي كمال الدين وكنز الفوائد وبحار الأنوار: (وراجع عقلاً بعد ما فات عقله...).

وعاش الحارث بن مضاض الجرهمي أربعمائة سنة، وهو القائل:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكّة سامر

بلى نحن كنّا أهلها فأبارنا صروف الليالي والجدود العواثر

وعاش عامر بن الظرب[1] العدواني مائتي سنة، وكان من حكماء العرب، وله يقول ذو الإصبع: ومنّا حكم يقضي ولا ينقض ما يقضي[1].

فهذا طرف يسير ممَّا ذكر من المعمّرين، وفي إيراد أكثرهم إطالة في الكتاب، وإذا ثبت أنَّ الله سبحانه قد عمَّر خلقاً من البشر ما ذكرناه من الأعمار، وبعضهم حجج الله تعالى وهم الأنبياء، وبعضهم غير حجّة، وبعضهم كفّار، ولم يكن ذلك محالاً في قدرته، ولا منكراً في حكمته، ولا خارقاً للعادة، بل مألوفاً على الأعصار، معروفاً عند جميع أهل الأديان، فما الذي ينكر من عمر صاحب الزمان أن يتطاول إلى غاية عمر بعض من سمّيناه، وهو حجّة الله تعالى على خلقه، وأمينه على سرّه، وخليفته في أرضه، وخاتم أوصياء نبيّه ﷺ وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «كلّ ما كان في الأمم السالفة فإنَّه يكون في هذه الأمّة مثله حذو النعل بالنعل، والقذّة بالقذّة»[2].

هذا وأكثر المسلمون يعترفون ببقاء المسيح عليه السلام حيّاً إلى هذه الغاية، شابّاً قويّاً، وليس في وجود الشباب مع طول الحياة _ إن لم يثبت ما ذكرناه _ أكثر من أنَّه نقض للعادة في هذا الزمان، وذلك غير منكر على ما نذكره.

والأمر الآخر أن نسلّم لمخالفينا أنَّ طول العمر إلى هذا الحدّ مع

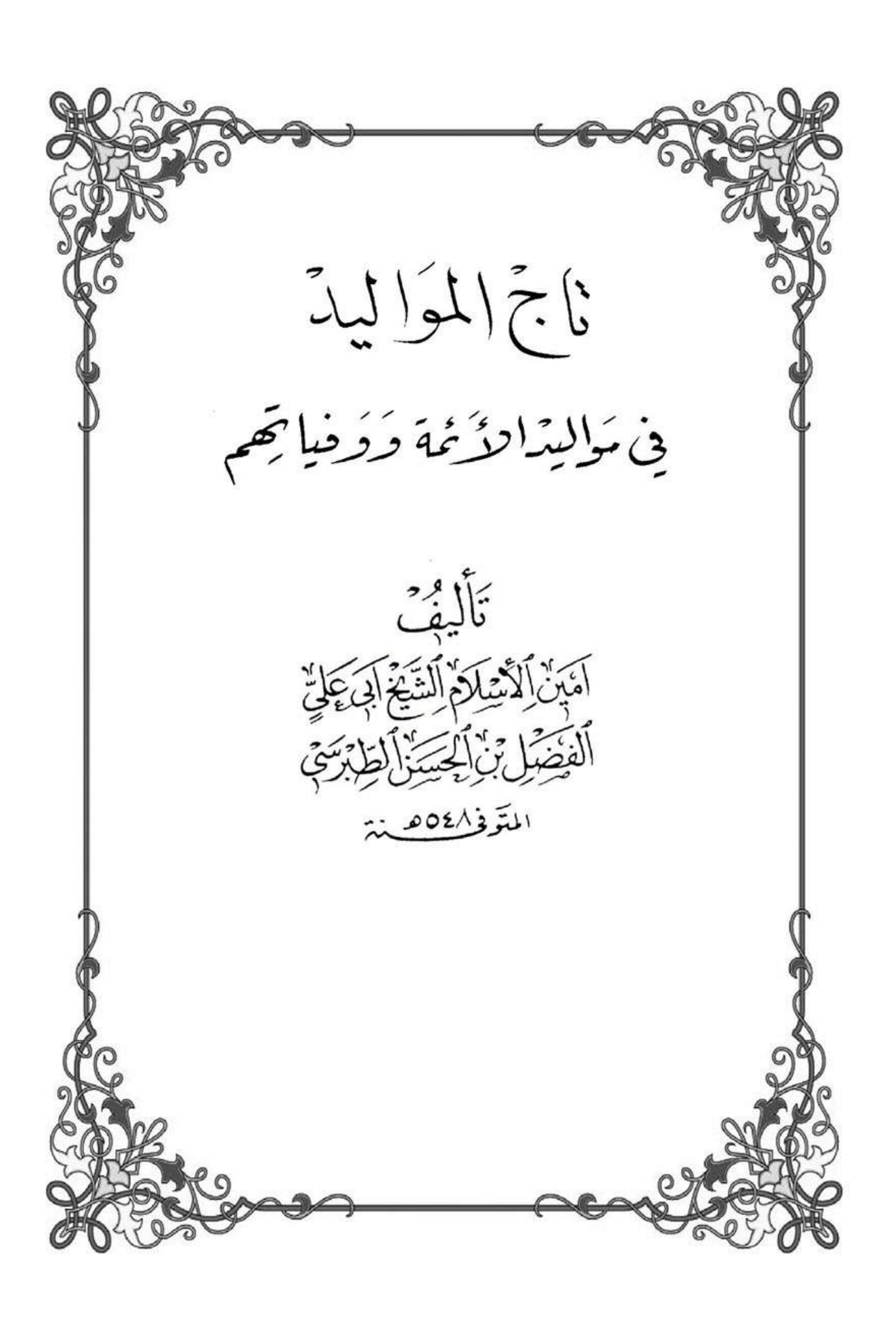
---

(١) كذا في المصدر وكمال الدين، وفي بعض المصادر: (الضرب).

(١) أنظر: كمال الدين: ٥٤٩؛ كشف الغمّة: ٥٤٣.

(٢) كمال الدين: ٥٧٦؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٠١/ ح ١.

وجـود الشـباب خـارق للعـادات _ عـادة زماننـا هـذا وغيـره _ وذلـك جـائز عنـدنا وعنـد أكثـر المسـلمين، فـإنَّ إظهـار المعجـزات عنـدهم وعنـدنا يجـوز علـى مـن لـيس بنبـيٍّ، مـن إمـام أو ولـيٍّ، لا ينكـر ذلـك مـن جميـع الأمّـة إلاَّ المعتزلـة والخـوارج، وإن سـمّي بعـض الأمّـة ذلـك كرامـات لا معجـزات، ولا اعتبـار بالأسـماء، بـل المـراد خـرق العـادات، ومـن أنكـر ذلـك فـي بـاب الأئمّـة فإنّـا لا نجـد فرقـاً بينـه وبـين البراهمـة فـي إنكـارهم إظهـار المعجـزات ونقض العادات لأحد من البشر، وإلاَّ فليأت القوم بالفصل، وهيهاتَ.



تاج المواليد

في مواليد الأئمة ووفياتهم

تأليف

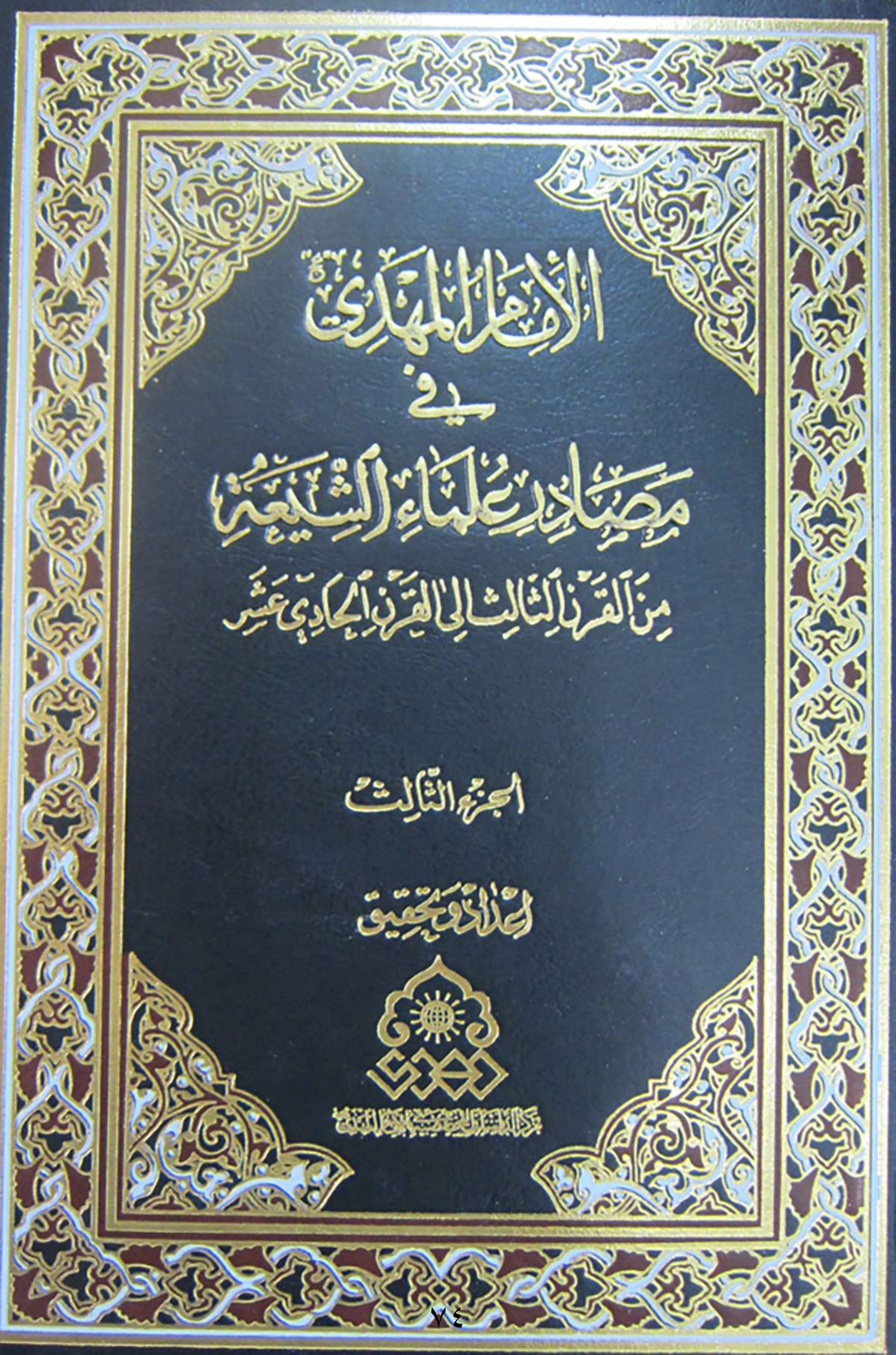
أمين الإسلام الشيخ أبي علي

الفضل بن الحسن الطبرسي

المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

الفصل الثالث: في تفصيل ما مضى من عمره عليه السلام وذكر طرف من العلامات الكائنة قبل خروجه والإشارة إلى شيء من سيره بعد قيامه:

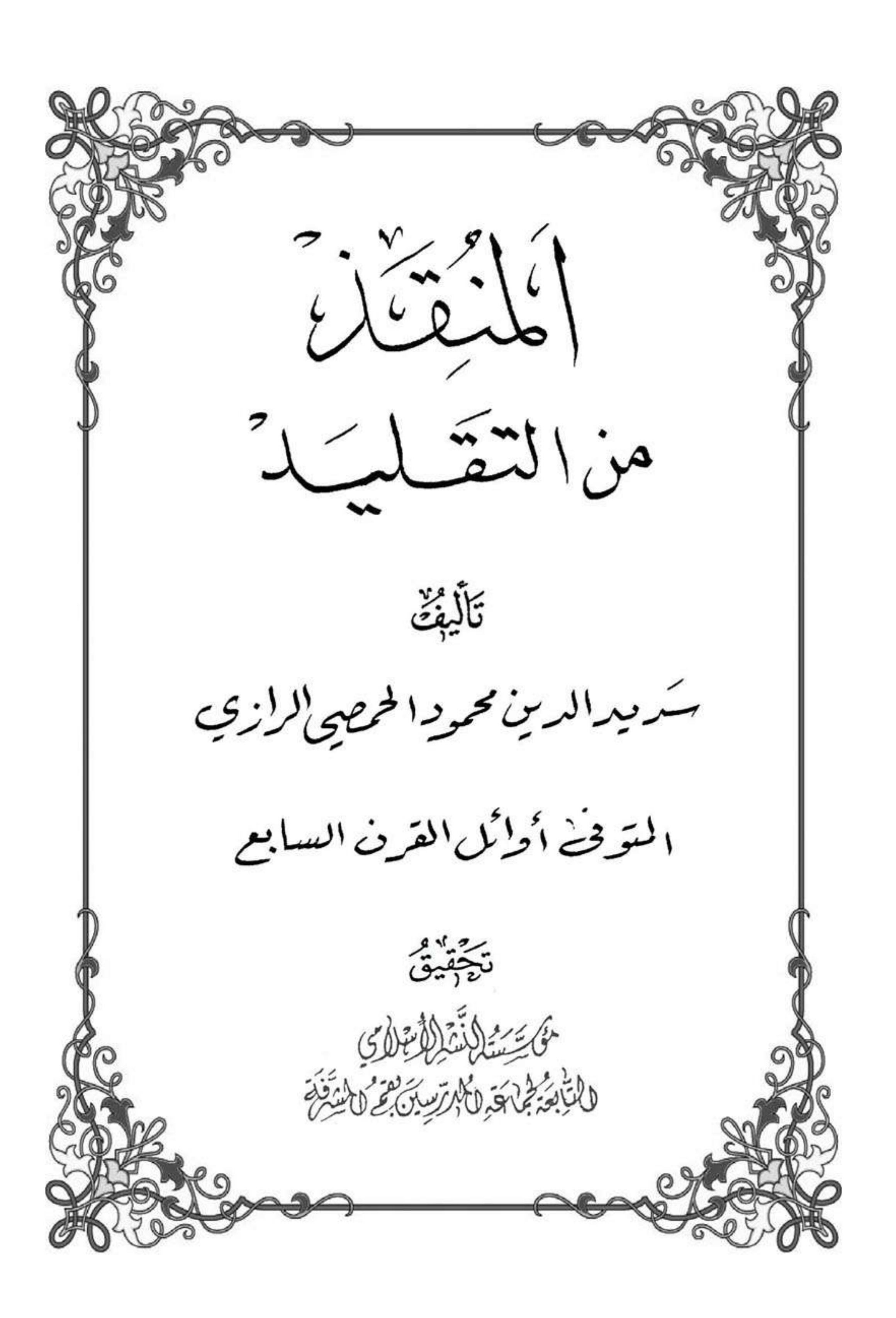
مقدار ما مضى من عمر صاحب الزمان عليه السلام مائتان وأربع وخمسون سنة لأنَّه ولد سنة (٢٥٥) خمس وخمسين ومائتين وتاريخ اليوم سنة (٥٠٩) تسع وخمسمائة، وكان منها مع أبيه أبي محمّد عليه السلام خمس سنين يعرضه فيها كلّ وقت وحين على خواصه وأُمنائه الموثوق بهم من الشيعة الإماميّة، لزوال الشبهة وحصول اليقين لهم وانتشار الخبر بوجود صاحب الأمر صلوات الله عليه فيهم، وقد عرضه عليه السلام في مجلس واحد على أربعين نفساً منهم حتَّى حصل لهم العلم بوجوده عينه وتحقّقوه وشاهدوا منه الآيات والبراهين، فظلَّت أعناقهم لها خاضعين، فلمَّا قبض أبو محمّد عليه السلام وهو ابن خمس سنين، ثار جعفر بن علي أخو أبي محمّد وجاء بظاهر تركة أخيه عليه السلام، وسعى في حبس جواري أبي محمّد عليه السلام واعتقال حلائله، وشنع على أصحابه بانتظارهم ولده وقطعهم بوجوده والقول بإمامته، وأغرى بالقوم حتَّى أخافهم وشرَّدهم، وجرى على مخلفي أبي محمّد عليه السلام بسبب ذلك أمر عظيم من حبس وتهديد واستخفاف وذلّ، فلم يظفر السلطان منهم بطائل، ثمّ جاء إلى الشيعة الإماميّة، واجتهد في القيام عندهم مقام أخيه أبي محمّد عليه السلام فلم يقبل أحد منهم ذلك ولا اعتقدوا فيه...، فضى إلى سلطان الوقت يلتمس مرتبة أخيه وبذل مالاً جليلاً وتقرَّب بكلّ ما ظنَّ أنَّه يتقرَّب به فلم ينتفع بشيء من ذلك، ولجعفر أخبار كثيرة في هذا المعنى لا يحتملها هذا الموضع.



الإمام المهدي
في
مصادر علماء الشيعة
من القرن الثالث إلى القرن الحادي عشر
الجزء الثالث
إعداد وتحقيق

مركز الدراسات التخصصية
في الإمام المهدي عليه السلام
النجف الأشرف ـ شارع السور ـ قرب جبل الحويش
هاتف: ٢١٨٣١٨ و ٣٧٢٠١١، النقال: ٠٧٨٠٤٧٥٤٥٣٥
ص.ب ٥٨٨
www.m-mahdi.com
info@m-mahdi.com

الإمام المهدي عليه السلام في مصادر علماء الشيعة/ ج (٣)
تقديم وتحقيق
مركز الدراسات التخصصية
في الإمام المهدي عليه السلام
الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ
رقم الإصدار: ١١٤
النجف الأشرف
عدد النسخ: ١٥٠٠
جميع الحقوق محفوظة للمركز


المنقذ
من التقليد
تأليف
سديد الدين محمود الحمصي الرازي
المتوفى أوائل القرن السابع
تحقيق
مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

[عدم استحالة طول العمر]:

وأمَّا تعجّبهم من طول بقائه وعمره، ثمّ من طول استتاره، فالكلام عليه أن نقول: التعجّب من طول العمر إمَّا أن يكون من حيث اعتقاد المتعجّب أنَّ ذلك مستحيل، وهو غير مقدور، وإمَّا أن يكون من حيث كونه خارقاً للعادة.

أمَّا الأوّل: فهو قول الدهرية والطبائعيّين الذين لا يقرّون بالصانع المختار العالم، ويكذّبون بما جاء في القرآن من قوله تعالى في نوح: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عاماً﴾[1]، وفي أصحاب الكهف: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً﴾[2] وبما هو مشهور بين الأُمّة من قصَّة المعمّرين من الأنبياء والحكماء والملوك وغيرهم، على ما جاء في التفاسير والآثار والقصص، وليس هذا من مذهب فرقة من فِرَق المسلمين.

وأمَّا الثاني: وهو أنَّه خارق للعادة فلا شكّ فيه، ولكنّا قد بيَّنا في الكلام في النبوّة أنَّ خرق العادة في حقّ غير الأنبياء جائز حسن، وأنَّه ليس فيه وجه قبح، ويوافقنا على ما ذكرناه الصوفيّة وأصحاب الظاهر والأشعرية، فلا وجه للاستعجاب من هذا الوجه أيضاً، والتعجّب من طول استتاره وغيبته وعدم العثور على مستقرّه، فممَّا لا يصحّ التمسّك به في إبطال وجوده، فكم من وليّ لله تعالى يسيح في الأرض يعبده تعالى، وينفرد عن الخلق، لا يعرف أحد لهم مكاناً، ولا يدّعي إنسان لقائهم ولا

(١) العنكبوت: ١٤.

(٢) الكهف: ٢٥.

الاجتماع معهم، أليس الخضر عليه السلام موجوداً قبل زمن موسى عليه السلام وإلى وقتنا هذا بإجماع أهل النقل واتّفاق أهل السير والأخبار؟ سائح في الأرض لا يعرف أحد له مستقرّاً، ولا يدّعي أحد أنَّه صحبه، إلاَّ ما جاء في القرآن في قصَّته عليه السلام مع موسى عليه السلام، وما يقوله...[1] بحيث لا يعرف، ويظنّ من رآه أنَّه بعض الزهّاد، فإذا فارق مكانه، ربَّما كان عليه السلام...[2]، فإنَّ الأُمَّة مجمعة على بقائه، ولا يراه أحد ولا يعرف مكانه، وقد كان من[3] [قصَّة موسى عليه السلام وهجرته عن] وطنه وفراره من فرعون ورهطه ما صرَّح به القرآن، ولم يطَّلع عليه أحد بحيث لو...[4] فيعرف له مكاناً، حتَّى ناجاه الله تعالى وابتعثه نبيّاً.

وكان من قصَّة يوسف بن يعقوب...[5] [عليهما السلام وغيبته عن أبيه وإخوته] وذويه ما جاءت بذكره سورة مفردة وتضمَّنت ذكر استتار خبره عن أبيه، وهو نبيّ الله تعالى يأتيه الوحي من الله تعالى، أمره مطويّ عنه وعن إخوته، وهم يعاملونه ويلقونه فيعرفهم، وهم لا يعرفونه، حتَّى مضى على ذلك الأزمان، وتقضّت فيه السنون، ويلزم حزن أبيه لفقده ويأسه من لقائه ما صرَّح بذكره القرآن، وليس لذلك نظير في زماننا هذا، ولا سمعنا مثله في غيره.

وغيبة يونس عليه السلام نبيّ الله عن قومه وفراره منهم لطول زمان

---

(١) بياض في نسخة (ج) بمقدار ثلاث كلمات.

(٢) بياض في نسخة (ج) بمقدار خمس كلمات.

(٣) بياض في نسخة (ج) بمقدار أربع كلمات.

(٤) بياض في نسخة (ج) بمقدار ثلاث كلمات.

(٥) بياض في نسخة (ج) بمقدار ستّ كلمات.

خلافهم له وإصرارهم على ذلك، بحيث لم يطّلع أحد على مستقرّه إلاَّ الله الذي حبسه في جوف حوت في قعر بحر، ومقامه وبقائه هناك حيّاً، ثمّ إخراجه تعالى إيّاه من بطن الحوت إلى تحت شجرة من يقطين، بحيث لم يكن له معرفة بذلك المكان ولا خطر على قلبه سكناه، كلّ ذلك ظاهر فيما بين الأمّة مجمع عليه، وقد جاء بذكره القرآن، وهو أيضاً خارج عن عادتنا.

وأمر أصحاب الكهف على ما شرحه القرآن أيضاً ظاهر، وهو خارج عن عادتنا وعمَّا نعرفه ونعهده.

وقصَّة صاحب الحمار الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها واستبعاده عمارتها وعودها إلى ما كانت عليه، وإحياء أمواتها بقوله: ﴿أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾[1]، وإحيائه بعد ذلك مع بقاء طعامه وشرابه بحالهم لم يتغيَّر، ومع بقاء حماره حيّاً قائماً على علفه، لم يتَّفق ولم يتغيَّر عن حاله ولم يضرّه طول عمره ولا أضعفه، ثمّ أنشأ الله العظام، وإحياء أولئك الموتى، كلّ ذلك مذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها قالَ أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَشَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلى حِمارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2] ...[3] لنبيّ يقولون: إنَّه

(١) البقرة: ٢٥٩.

(٢) الآية السابقة.

(٣) بياض في نسخة (ج) بمقدار أربع كلمات.

كان نبيّاً من أنبياء الله تعالى، ولا شكّ في أنّ جميع ذلك خارج...[١] في الغيبة اتّفق لكثير من الخلق، وإن لم يكن في القرآن، قد ذكره أصحاب...[٢] لينظروه، وأورده نقلة السير والآثار في كتبهم من غيبات ملوك الفرس عن...[٣] [بلادهم] طويلاً لوجوه من التدبير، بحيث لم يعرف أحوالهم فيها ولا مستقرّاً ولا اطّلع لهم على موضع ومكان، ثمّ...[٤] [رجعوا إلى وطنهم] بعد ذلك وعادوا إلى ملكهم بأحسن حال، وكذلك جماعة من حكماء الروم والهند وملوكهم قد كانت لهم غيبات وأخبار بأحوال تخرج عن العادات، لم يذكر شيئاً من ذلك أكثر أصحابنا، لعلمهم بأنّ الخصوم ينكرونه، لكنّ ما في القرآن لا يمكن دفعه إلاّ بالخروج من الدين. وإذا كان كذلك بطل تعجّب الخصوم، وقولهم: إنّ ما تقولونه وتذهبون إليه من غيبة صاحبكم، ممّا لم يتّفق ولم يكن لأحد قطّ.

ثمّ وكم من الأمور العجيبة التي يعتقدها من دان بالإسلام وأقرّ به ممّا لم يرَ نظيره ولم يعتد مثله، كرفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وإسراء نبيّنا صلى الله عليه وآله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثمّ عروجه إلى السماء وانتهائه إلى الصفيح الأعلى، بحيث لا مكان بعده عى ما جاء جملةً في القرآن، وتفاصيله وتتمّته في الأخبار، فليس ما نقوله ونذهب إليه في الغيبة بأعجب منها.

(١) بياض في نسخة (ج) بمقدار أربع كلمات.
(٢) بياض في نسخة (ج) بمقدار أربع كلمات.
(٣) بياض في نسخة (ج) بمقدار كلمة.
(٤) بياض في نسخة (ج) بمقدار ثلاث كلمات.

ثمّ وإنّي أقول: إنَّ استبطاء خروج صاحب الزمان وظهوره والتمسّك به واتّخاذه وحده طريقاً إلى نفي وجوده يشعر باعتقاد نفي القيامة والبعث والنشور، وذلك لأنَّ الاستبطاء في ذلك أعظم وآكد وأكثر، من حيث إنَّ جميع الأنبياء عليهم السلام من لدن آدم إلى نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم كانوا ينذرون أُممهم بالقيامة والبعث والنشور، وقد قال نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم: «بُعثتُ أنا والساعة كهاتين»[1] وبعد فلم تقم القيامة إلى الآن، والمؤمنون الموقنون لم يشكّوا فيها بسبب تأخّرها، واستبطاء قيامها، فإن كان مجرَّد تأخّر خروج صاحبنا عليه السلام واستبطاء القوم ظهوره طريقاً إلى نفيه، فتأخّر قيام القيامة واستبطاء الخلق ظهورها وقيامها أولى بأن يُتّخذ طريقاً إلى نفيها.

فإن قالوا: لسنا ننكر وجوده لما ذكرتموه، وإنَّما ننكره لعدم الدليل عليه.

قلنا: فاتركوا التعجّب والاستبطاء جانباً، واطلبوا منّا الدلالة والحجّة في ذلك، فإذا طالبونا بذلك فالدلالة ما قدَّمناه من وجوب وجود إمام معصوم مقطوع على عصمته في كلّ عصر يكون...[2] وبطلان إمامة كلّ من يُدّعى له الإمامة في عصرنا هذا، سوى صاحبنا...[3] المدّعون لبقاء واحد من سلفه المعصومين قد انقرضوا، فلا يوجد منهم...[4] ولحصول العلم بموت أولئك السادة المعصومين، على ما بيّناه، وثبوت أنَّ الحقّ...[5] هو الدليل من حيث الاعتبار العقلي، ومن طريق السمع،

(١) صحيح البخاري ٧: ٦٨/ كتاب الطلاق باب اللّعان.

(٢) بياض في نسخة (ج) بمقدار أربع كلمات تقريباً.

(٣) بياض في نسخة (ج) بمقدار أربع كلمات تقريباً.

(٤) بياض في نسخة (ج) بمقدار أربع كلمات تقريباً.

(٥) بياض في نسخة (ج) بمقدار أربع كلمات تقريباً.

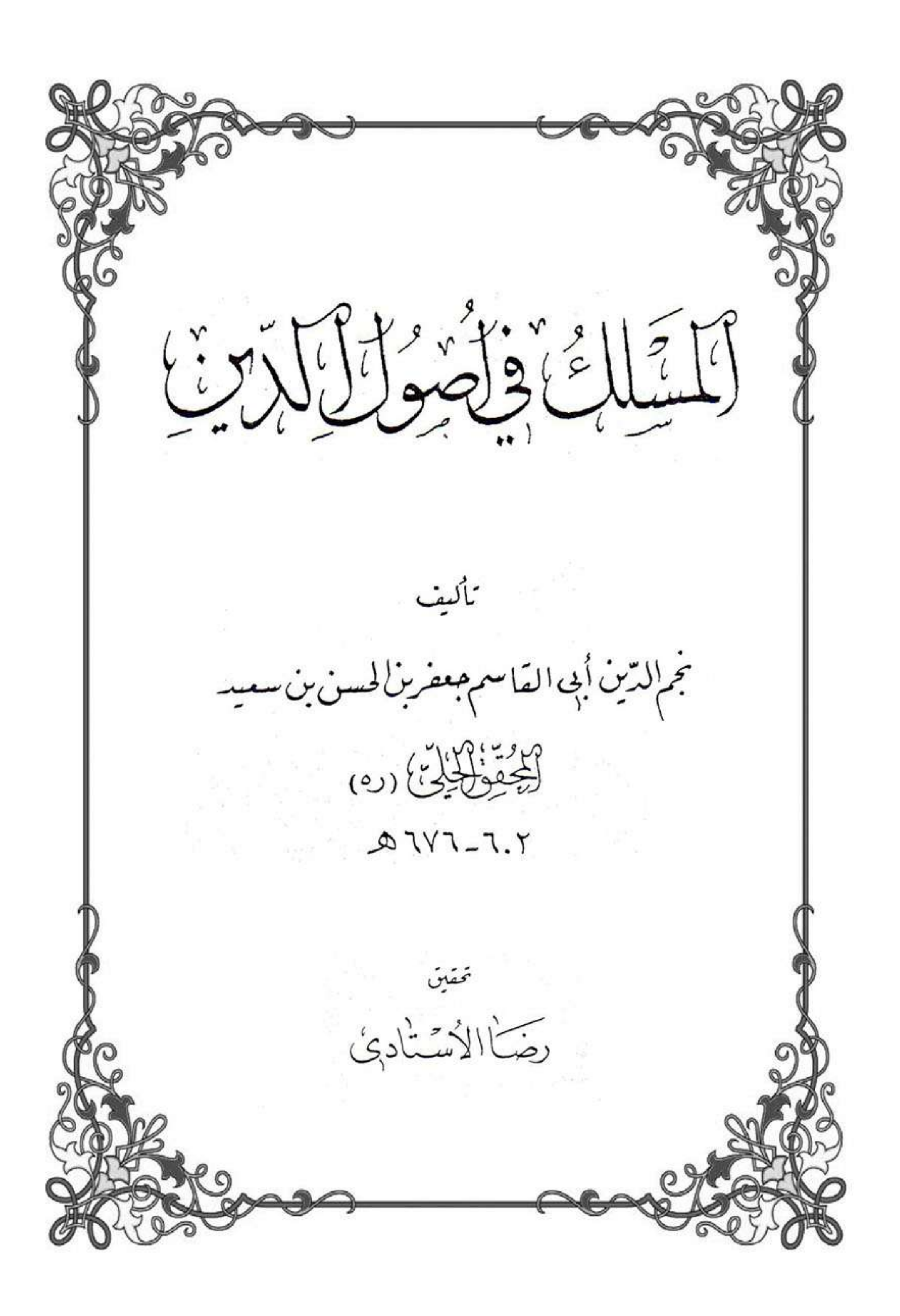
فالتنصيص عليه من جهة...[1] عليه السلام ومن آبائه عليهم السلام، على ما تواترت به الشيعة التي بيّنا صحّة نقلها عند الكلام في النصّ.

ويؤيّد هذه الأدلّة ويؤكّدها ما يرويه مخالفوا الشيعة في نعوت المهدي وصفاته، والرواية الظاهرة المستفيضة عن الرسول من قوله صلى الله عليه وآله: «لو لم يبقَ من الدنيا إلاَّ يوم واحد، لطوَّل الله ذلك اليوم، حتَّى يخرج رجل من ولدي، يواطئ اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً»[2].

* * *

(١) بياض في نسخة (ج) بمقدار أربع كلمات تقريباً.

(٢) الإرشاد: ٣٤٦/ باب ذكر القائم بعد أبي محمّد عليه السلام.



المسلك في أصول الدين

تأليف

نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد

المحقق الحلي (ره)

٦٠٢-٦٧٦ هـ

تحقيق

رضا الأستادي

[شبهة طول العمر]:

وأمَّا استبعاد الخصم بقاءه عليه السلام هذه المدّة، فإنَّما نشأ من ضعف البصيرة، وإلاَّ فكيف يقال ذلك مع العلم بقدرة الله وقيام الدلالة على إمكان فعل الكرامات للأولياء، غاية ما في الباب أن يقال: هو خرق العادة، ونحن نمنع ذلك أوّلاً ثمّ نسلّم ونجعل ذلك معجزاً له عليه السلام.

واعلم أنَّ تطاول الأعمار أضعاف عمر القائم عليه السلام وقع وقوعاً مستمرّاً حتَّى حصل ذلك لجماعة من الملوك والجبابرة، فلا يكون ذلك خرقاً للعادة، بل ممَّا جرت به العوائد[٢]، فإنَّ القرآن المجيد أخبر في طرف الصلحاء أنَّ نوحاً عاش زيادة عن ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عاماً﴾[٣].

وفي نقل أهل التاريخ في طرف غير الصلحاء مثل شداد بن عاد بن إرم أنَّه عاش سبع[٤] مائة سنة، ومن المعلوم بين أهل المذاهب وجود

(١) هنا جملة لا تقرأ.

(٢) جمع العادة.

(٣) العنكبوت: ١٤.

(٤) في (ن خ): (تسع).

الخضـر، وعمـره أضـعاف عمـر القـائم عليه السلام، ولـو حملـت العصـبية علـى إنكـاره، لكـان النقـل مـن طـرقهم مسـاعداً لنـا، ولـو فـرّق بـين المقـامين بـأنَّ الإمـام ينـاط بـه أمـور لا يتعطَّـل مثلهـا لغيبـة الخضـر، كـان فرقـاً فـي غيـر موضـعه، لأنّـا نـتكلَّم علـى اسـتبعادهم طـول العمـر، لا علـى فـوات المصـالح. وقـد أجبنـا علـى العـذر فيمـا يفـوت مـن المصـالح بغيبـة الإمـام بـأنَّ الحـال[1] في ذلك من جهة المخيف لا من جهته عليه السلام.

وبيَّنـا أنَّ الحـال فيـه كالحـال فـي النبـيّ عليه السلام حـين اسـتتر، فمـا وجـه استبعاد ذلك في حقّ القائم عليه السلام؟

* * *

(١) كذا في الأصل، ولعلَّ الصحيح: (الحائل).

مهدي الأمم

البيعة لله وللرسول
اسمعوا وأطيعوا

تأليف
الشيخ عبدالله حسن آل درويش

دار الأولياء
٨٦

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الثاني: طول عمر الإمام المهدي عليه السلام

روى الشيخ الصدوق رحمه الله تعالى عن سعيد بن جبير قال: سمعت سيد العابدين علي بن الحسين عليهما السلام يقول: في القائم سنة من نوح وهو طول العمر[١].

وروى عن أمير المؤمنين قال عليه السلام: إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه[٢].

وروى عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن سنن الأنبياء عليهم السلام بما وقع بهم من الغيبات حادثة في القائم منا أهل البيت حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، قال أبو بصير: فقلت: يا ابن رسول الله ومن القائم منكم أهل البيت؟ فقال: يا أبا بصير هو الخامس من ولد ابني موسى، ذلك ابن سيدة الإماء، يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون، ثم يظهره الله عزَّ وجلَّ فيفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها، وينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلفه وتشرق الأرض بنور ربها، ولا تبقى في الأرض بقعة عبد فيها غير الله عزَّ وجلَّ إلا عبد الله فيها، ويكون الدين كله لله ولو كره المشركون[٣].

هذا وقد أشبع علماؤنا مسألة طول عمر الإمام وبقائه عليه السلام بالأدلة والبراهين العلمية، وعدم المانع من طول عمره[٤]، كما أبقى الله تعالى المسيح

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة الشيخ الصدوق: ٣٢٢ ح ٤.
(٢) كمال الدين وتمام النعمة الشيخ الصدوق: ٣٠٣ ح ١٤.
(٣) كمال الدين وتمام النعمة الشيخ الصدوق: ٣٤٦ ح ٣١.
(٤) ومن الكتب في ذلك مايلي:
- كتاب (البراهين الاثنا عشر على وجود الإمام الثاني عشر عليه السلام)، تأليف السيد طيب الجزائري في ثلاثة أجزاء، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧، نشر مؤسسة دار الكتاب الجزائري، قم - إيران.
- كتاب (البرهان على صحة طول عمر الإمام صاحب الزمان عليه السلام) تأليف

عيسى بن مريم والخضر عليهما السلام من الصالحين، وإبليس والدجال من الشريرين.

قال الشيخ الصدوق عليه الرحمة: إن أهل العناد والجحود يصدقون بمثل هذا الخبر ويروونه في الدجال وغيبته وطول بقائه المدة الطويلة وخروجه في آخر الزمان، ولا يصدقون بأمر القائم عليه السلام وأنه يغيب مدة طويلة، ثم يظهر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، مع نص النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بعده عليه باسمه وغيبته ونسبه، وإخبارهم بطول غيبته إرادة لإطفاء نور الله عزَّ وجلَّ وإبطالاً لأمر ولي الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون، وأكثر ما يحتجون به في دفعهم لأمر الحجة عليه السلام أنهم يقولون: لم نرو هذه الأخبار التي تروونها في شأنه ولا نعرفها.

وهكذا يقول من يجحد نبوة نبينا صلى الله عليه وآله من الملحدين والبراهمة واليهود و النصارى والمجوس أنه ما صح عندنا شيء مما تروونه من معجزاته ودلائله ولا نعرفها، فنعتقد ببطلان أمره لهذه الجهة، ومتى لزمنا ما يقولون لزمهم ما تقوله هذه الطوائف وهم أكثر عدداً منهم، ويقولون أيضاً: ليس في موجب عقولنا أن يعمر أحد في زماننا هذا عمراً يتجاوز عمر أهل الزمان، فقد تجاوز عمر صاحبكم على زعمكم عمر أهل الزمان.

فنقول لهم: أتصدقون على أن الدجال في الغيبة يجوز أن يعمر عمراً يتجاوز عمر أهل الزمان، وكذلك إبليس اللعين ولا تصدقون بمثل ذلك لقائم

أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي (ت ٤٤٩) عن النسخة الخطية من مكتبة الإمام الرضا عليه السلام، تأريخ النسخ سنة ٦٧٧.

- كتاب (عمر الإمام المهدي عليه السلام) تأليف السيد علي السبزواري، تقديم وتحقيق مركز الدراسات التتخصصية في الإمام المهدي عليه السلام، النجف الأشرف.
- كتاب (عمر الإمام المهدي عليه السلام في كفة الحسابات) تأليف الشيخ نجم السبتي، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤ شمسي، نشر دار المجتبى.

آل محمد صلى عليهم السلام؟ مع النصوص الواردة فيه بالغيبة وطول العمر والظهور بعد ذلك للقيام بأمر الله عزَّ وجلَّ وما روي في ذلك من الأخبار التي قد ذكرتها في هذا الكتاب ومع ما صح عن النبي صلى الله عليه وآله إذ قال: كل ما كان في الأمم السالفة يكون في هذه الأمة مثله حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة.

وقد كان فيمن مضى من أنبياء الله عزَّ وجلَّ وحججه عليهم السلام معمرون، أما نوح عليه السلام فإنه عاش ألفي سنة وخمسمائة سنة، ونطق القرآن بأنه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً[1] وقد روي في الخبر الذي قد أسندته في هذا الكتاب أن في القائم عليه السلام سنة من نوح عليه السلام وهي طول العمر فكيف يدفع أمره، ولا يدفع ما يشبهه من الأمور التي ليس شيء منها في موجب العقول، بل لزم الاقرار بها لأنها رويت عن النبي صلى الله عليه وآله.

وهكذا يلزم الاقرار بالقائم عليه السلام من طريق السمع وفي موجب أي عقل من العقول أنه يجوز أن يلبث أصحاب الكهف في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا[2] هل وقع التصديق بذلك إلا من طريق السمع، فلم لا يقع التصديق بأمر القائم عليه السلام أيضاً من طريق السمع، وكيف يصدقون ما يرد من الأخبار عن وهب بن المنبه، وعن كعب الأحبار في المحالات التي لا يصح شيء منها في قول الرسول صلى الله عليه وآله ولا في موجب العقول، ولا يصدقون بما يرد عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام في القائم وغيبته وظهوره بعد شك أكثر الناس في أمره وارتدادهم عن القول به، كما تنطق به الآثار الصحيحة عنهم عليه السلام هل هذا إلا مكابرة في دفع الحق

---

(١) قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} سورة العنكبوت، الآية: ١٤.

(٢) قال تعالى: {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} سورة الكهف، الآية:٢٥.

وجحوده.

كيف لا يقولون: إنه لما كان في الزمان غير محتمل للتعمير وجب أن تجري سنة الأولين بالتعمير في أشهر الأجناس تصديقاً لقول صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله ولا جنس أشهر من جنس القائم صلى الله عليه وآله لأنه مذكور في الشرق والغرب على ألسنة المقرين به و ألسنة المنكرين له.

ومتى بطل وقوع الغيبة بالقائم الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام مع الروايات الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه أخبر بوقوعها به عليه السلام بطلت نبوته لأنه يكون قد أخبر بوقوع الغيبة بمن لم يقع به، ومتى صح كذبه في شيء لم يكن نبياً وكيف يصدق عليه السلام فيما أخبر به في أمر عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه تقتله الفئة الباغية، وفي أمير المؤمنين عليه السلام أنه تخضب لحيته من دم رأسه، وفي الحسن بن علي عليهما السلام أنه مقتول بالسم، وفي الحسين بن علي عليهما السلام أنه مقتول بالسيف؟ ولا يصدق فيما أخبر به من أمر القائم ووقوع الغيبة به والتعيين عليه باسمه ونسبه؟!

بلى هو عليه السلام صادق في جميع أقواله، مصيب في جميع أحواله، ولا يصح إيمان عبد حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما قضى ويسلم له في جميع الأمور تسليما، ولا يخالطه شك ولا ارتياب، وهذا هو الإسلام، والإسلام هو الاستسلام والانقياد {**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**}[١].

ومن أعجب العجائب أن مخالفينا يروون أن عيسى بن مريم عليه السلام مرّ بأرض كربلا فرأى عدة من الظباء هناك مجتمعة، فأقبلت إليه وهي تبكي وأنه جلس وجلس الحواريون فبكى وبكى الحواريون، وهم لا يدرون لم جلس ولم بكى، فقالوا: يا روح الله وكلمته ما يبكيك؟ قال: أتعلمون أي أرض هذه؟

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٨.

قالوا: لا، قال: هذه أرض يقتل فيها فرخ الرسول أحمد وفرخ الحرة الطاهرة البتول شبيهة أمي، ويلحد فيها، هي أطيب من المسك لأنها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا تكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء، وهذه الظباء تكلمني وتقول: إنها ترعى في هذه الأرض شوقاً إلى تربة الفرخ المستشهد المبارك، وزعمت أنها آمنة في هذه الأرض، ثم ضرب بيده إلى بعر تلك الظباء فشمها فقال: اللهم أبقها أبداً حتى يشمها أبوه فيكون له عزاء و سلوة، وإنها بقيت إلى أيام أمير المؤمنين عليه السلام حتى شمها وبكى وأخبر بقصتها لما مر بكربلاء.

فيصدقون بأن بعر تلك الظباء تبقى زيادة على خمسمائة سنة لم تغيرها الأمطار والرياح ومرور الأيام والليالي والسنين عليه، ولا يصدقون بأن القائم من آل محمد عليهم السلام يبقى حتى يخرج بالسيف فيبير أعداء الله عزَّ وجلَّ ويظهر دين الله مع الأخبار الواردة عن النبي والأئمة صلوات الله عليهم بالنص عليه باسمه ونسبه وغيبته المدة الطويلة، وجرى سنن الأولين فيه بالتعمير، هل هذا إلا عناد وجحود للحق؟ نعوذ بالله من الخذلان[١].

كما اعترف أيضاً بعض أعلام السنة بطول عمر الإمام وأنه لاضير في ذلك منهم: أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) قال في: شعب الإيمان، ط ١، دار المعارف – الهند، وقال: اختلف الناس في أمر المهدي فتوقف جماعة وأحالوا العلم إلى عالمه، واعتقدوا أنه واحد من أولاد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله... ولا امتناع في طول عمره، وامتداد أيامه كعيسى بن مريم والخضر[٢].

وقال الشيخ محمد بن يوسف الكنجي الشافعي (ت ٦٥٨) في كتابه (البيان في أخبار صاحب الزمان): في الدلالة على كون المهدي عليه السلام حياً

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ٥٢٩– ٥٣٢.
(٢) حياة الإمام المهدي عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي:٢١٦.

باقياً منذ غيبته إلى الآن، ولا امتناع في بقائه، بدليل بقاء عيسى وإلياس والخضر من أولياء الله تعالى.. الخ [١] وقد تقدم كلامه في الحديث حول الأعلام الذين ذكروا ولادة الإمام المهدي عليه السلام.

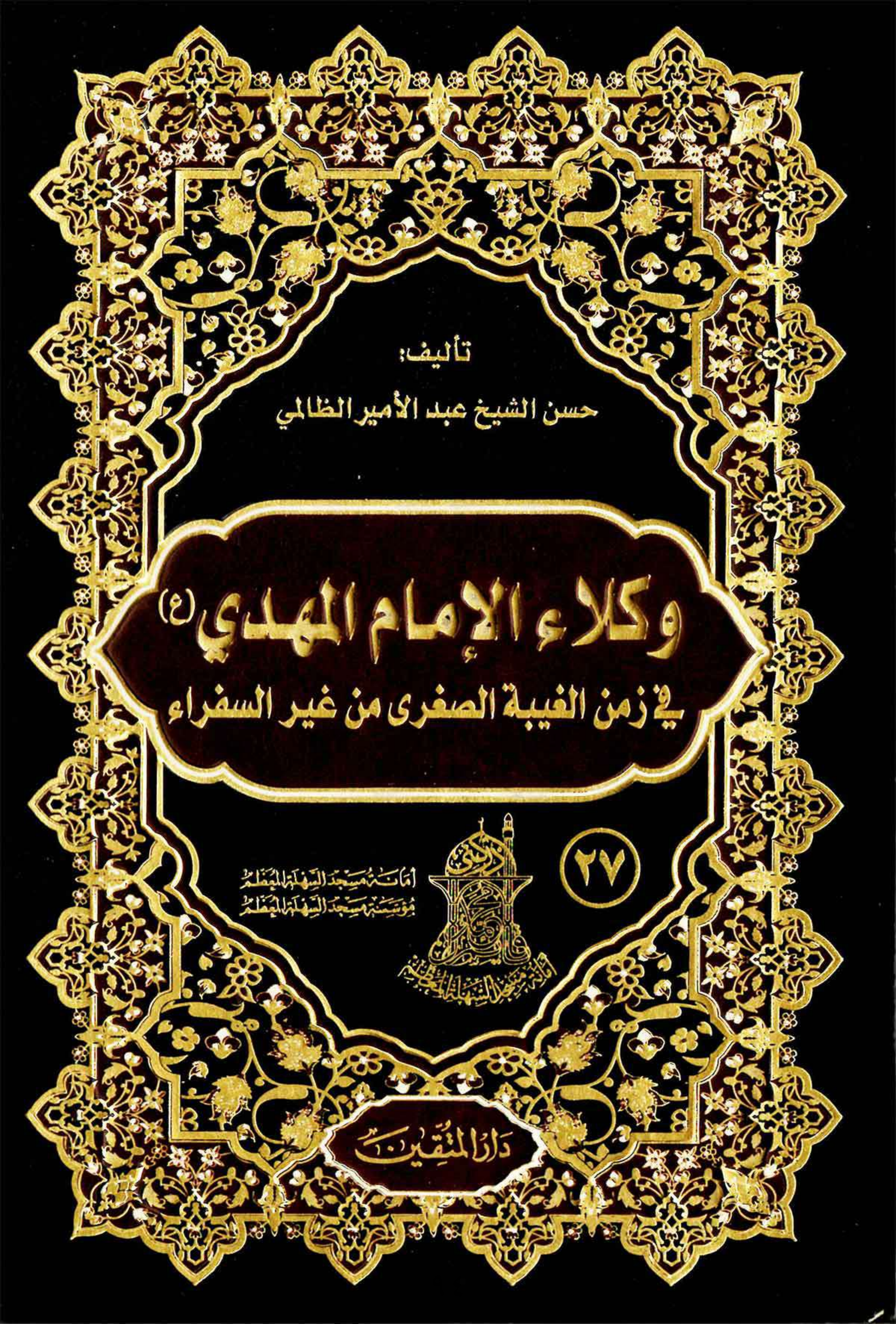
وقال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢هـ) في كتابه (مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام)[٢]: وأما عمره: فإنه ولد في أيام المعتمد على الله، خاف فاختفى وإلى الآن.. وليس ببدع ولا مستغرب تعمير بعض عباد الله المخلصين، ولا امتداد عمره إلى حين، فقد مدّ الله تعالى أعمار جمع كثير من خلقه من أصفيائه وأوليائه ومن مطروديه وأعدائه.. الخ [٣] وغيرهم أيضاً من أعلام السنة.

---

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان، الكنجي الشافعي: ٥٢١، (الباب الخامس والعشرون) الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي: ٢/ ١١١٩.

(٢) مطالب السؤول، ابن طلحة الشافعي: ٢/ ١٥٢، باب ١٢.

(٣) مطالب السؤول، ابن طلحة الشافعي: ٢/ ١٦٠ - ١٦١، باب ١٢.



تأليف:
حسن الشيخ عبد الأمير الظالمي
وكلاء الإمام المهدي (ع)
في زمن الغيبة الصغرى من غير السفراء
٢٧
أمانة مسجد السهلة المعظم
مؤسسة مسجد السهلة المعظم
دار المتقين

تنفيذ طباعي
دار المتقين
للثقافة والعلوم والطباعة والنشر
بيروت لبنان ــ طريق المطار
مفرق مطعم الساحة
بناية شاهين ط ١
٠٠٩٦١٣٩٥٣٦٢٢
Email: walialah@yahow,com

البحث الرابع
إشكالية طول عمر الإمام المهدي عليه السلام

يعتقد الشيعة الإمامية بالإمامة كأصل من أصول الدين عندهم، ويستندون إلى العديد من الآيات القرآنية التي تدلُّ على أنَّ الله سبحانه جعل في كلّ زمانٍ خليفة في الأرض لكي لا تخلو الأرض من حجة بعد الرسل، ولكي لا يقول الناس: ﴿لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزى﴾ (طه: ١٣٤).

وعن هذه العقيدة يقول السيّد محمّد باقر الصدر قدس سره:

(الإمامة إمتداد روحي وعقائدي للنبوّة ووريثٌ لرسالة السماء، وقد مارست باستمرار دورها في تصحيح مسار دولة الرسول صلى الله عليه وآله وإعادتها إلى طريقها النبوي الصحيح، وقدَّم الأئمّة عليهم السلام في هذا السبيل زخماً هائلاً من التضحيات)[1].

ويقول أيضاً: (إنَّ النبيّ والإمام معيّنان من الله تعالى تعييناً شخصياً)[2].

والإمام يجب أن يكون معصوماً أي مجسّداً للرسالة بقيمها وأحكامها في كلّ سلوكه وأفكاره ومشاعره، ولا بدَّ أن تكون هذه

---

(١) الإسلام يقود الحياة: ١٢٨.

(٢) المصدر السابق.

النظافة مطلقة متوفّرة قبل تسلّمه للنبوّة والإمامة لأنَّ النبوّة والإمامة عهد ربّاني إلى الشخص، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤)، والإمام كالنبيّ شهيد وخليفة الله في الأرض من أجل أن يواصل الحفاظ على الرسالة وتحقيق أهدافها[١].

وعضدت تلك الآيات أحاديث شريفة عن النبيّ محمّد ﷺ متواترة سنداً ومتناً يُفصح عن خلفائه من بعده ويُعدّد أسماءهم، رواها علماء ومحدّثون من كلا المدرستين نأخذ منها ثلاثة أحاديث على سبيل المثال:

١ _ عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «الأئمّة بعدي اثنا عشر أوّلهم أنت يا علي وآخرهم القائم الذي يفتح الله عزّ وجلّ على يديه مشارق الأرض ومغاربها»[٢].

٢ _ عن عبد الله بن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيّد النبيّين، وعلي بن أبي طالب سيّد الوصيّين، وإنَّ أوصيائي بعدي اثنا عشر أوّلهم علي بن أبي طالب، وآخرهم القائم»[٣].

٣ _ عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا جابر إنَّ أوصيائي وأئمّة المسلمين من بعدي أوّلهم علي، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ علي بن الحسين، ثمّ محمّد بن علي المعروف بالباقر

(١) الإسلام يقود الحياة: ١٤٤.

(٢) كمال الدين: ٢٨٢/ باب ٢٤/ ح ٣٥.

(٣) كمال الدين: ٢٨٠/ باب ٢٤/ ح ٢٩.

ستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه منّي السلام، ثمّ جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ علي بن موسى، ثمّ محمّد بن علي، ثمّ علي بن محمّد، ثمّ الحسن بن علي، ثمّ القائم اسمه اسمي وكنيته كنيتي محمّد بن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تبارك وتعالى على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن أوليائه غيبة لا يثبت على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان»[1].

وقد وردت آيات من القرآن الكريم تدلُّ على أنَّ الله سبحانه قد وعد أولياءه المؤمنين بأن يستخلفهم في الأرض لينشروا رسالة الإسلام في ربوع المعمورة، ومن هذه الآيات، قوله تعالى:

١ ـ ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥).

٢ ـ ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ (النور: ٥٥).

٣ ـ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

وقد صرّح النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام أنَّ هذا الوعد الإلهي سيتحقّق على يد الإمام الثاني عشر من أئمّة أهل البيت الذي هو الحجّة بن الحسن المهدي عليه السلام، ومن أحاديثه صلى الله عليه وآله:

١ ـ عن الحسين عليه السلام، قال: «دخلت أنا وأخي على جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) ينابيع المودّة ٣: ٣٩٨ و٣٩٩/ ح ٥٤.

فأجلسني على فخذه، وأجلس أخي الحسن على فخذه الأخرى، ثمّ قبّلنا فقال: بأبي أنتما من إمامين صالحين اختاركما الله منّي، ومن أبيكما وأُمّكما، واختار من صلبك يا حسين تسعة أئمّة تاسعهم قائمهم...»[(١)].

٢ _ وقال ﷺ: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»[(٢)].

٣ _ عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، فذلك هو المهدي»[(٣)].

ثمّ توالت الروايات عن الأئمّة عليهم السلام يتحدّثون عن ولدهم المهدي وأنّه هو الذي يخرج في آخر الزمان ليقيم حكم الله في الأرض، ومن تلك الروايات:

١ _ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «للقائم منّا غيبة أمدها طويل»[(٤)].

٢ _ وقال الحسن عليه السلام: «ذلك _ أي القائم عليه السلام _ التاسع من ولد أخي الحسين، ابن سيّدة الإماء، يطيل الله عمره في غيبته، ثمّ يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة...»[(٥)].

٣ _ وقال الإمام الحسين عليه السلام: «قائم هذه الأمّة هو التاسع من ولدي، وهو صاحب الغيبة، وهو الذي يقسّم ميراثه وهو حيّ»[(٦)].

(١) كمال الدين: ٢٦٩/ باب ٢٤/ ح ١٢.

(٢) الغيبة للطوسي: ١٨٦/ ح ١٤٥.

(٣) شرح إحقاق الحقّ ١٣: ١٦٦، عن التذكرة لسبط ابن الجوزي: ٢٠٤/ ط طهران/ ١١٨٥هـ.

(٤) كمال الدين: ٣٠٣/ باب ٢٦/ ح ١٤.

(٥) كمال الدين: : ٣١٦/ باب ٢٩/ ح ٢.

(٦) كمال الدين: ٣١٧/ باب ٣٠/ ح ٢.

٤ _ وقال علي بن الحسين عليه السلام: «تمتدُّ الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله والأئمّة بعده»[١].

٥ _ وقال الإمام الباقر عليه السلام: «المهدي من هذه العترة تكون له حيرة وغيبة»[٢].

٦ _ وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الإمام من بعدي ابني موسى، والخلف المأمول المنتظر (م ح م د) ابن الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى»[٣].

٧ _ وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «إذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم»[٤].

٨ _ وقال الرضا عليه السلام وقد قيل له: يا ابن رسول الله ومن القائم منكم أهل البيت؟ قال: «الرابع من ولدي ابن سيّدة الإماء، يطهّر الله به الأرض من كلّ جور، ويقدّسها من كلّ ظلم، وهو الذي يشكُّ الناس في ولادته، وهو صاحب الغيبة قبل خروجه...»[٥].

٩ _ وقال الإمام الجواد عليه السلام: «إنّ الإمام بعدي ابني علي، أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي، والإمام بعده ابنه الحسن، أمره أمر أبيه، وقوله قول أبيه، وطاعته طاعة أبيه»، ثمّ سكت. فقلت له: يا ابن

---

(١) الاحتجاج ٢: ٥٠.

(٢) كمال الدين: ٣٣٠/ باب ٣٢/ ح ١٤.

(٣) كمال الدين: ٣٣٤/ باب ٣٣/ ح ٤.

(٤) الكافي ١: ٣٣٦/ باب في الغيبة/ ح ٢.

(٥) كمال الدين: ٣٧٢/ باب ٣٥/ ح ٥.

رسول الله فمن الإمام بعد الحسن؟ فبكى عليه السلام بكاءاً شديداً، ثمّ قال: «إنَّ من بعد الحسن ابنه القائم بالحقّ المنتظر»(١).

١٠ _ وقال الإمام الهادي عليه السلام: «إنَّ الإمام بعدي الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»(٢).

١١ _ وقال أحمد بن إسحاق: ... فقلت له _ أي العسكري عليه السلام _: يا ابن رسول الله فمن الإمام والخليفة من بعدك؟ فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت ثمّ خرج وعلى عاتقه غلام كأنَّ وجهه القمر ليلة البدر، من أبناء الثلاث سنين، فقال: «يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله عزّ وجلّ، وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنَّه سميّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكنيه، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»(٣).

فالأحاديث تؤكّد أنَّ الذي تتطلَّع إليه البشرية لينقذها من الظلم والتسلّط هو الإمام محمّد بن الحسن العسكري الثاني عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

وفعلاً فقد وُلد الإمام المهدي عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة (٢٥٥هـ)، فعَقَّ عنه الإمام الحسن عليه السلام ووزَّع اللحم والخبز على الفقراء وكتب إلى ثقاة أصحابه في الأمصار وعرضه على المخلصين منهم وبلغ عددُ من رآه في حياة أبيه (٢٦٢) شخصاً كما أحصى ذلك السيّد

(١) كمال الدين: ٣٧٨/ باب ٣٦/ ح ٣.

(٢) كمال الدين: ٣٨٣/ باب ٣٧/ ح ١٠.

(٣) كمال الدين: ٣٨٤/ باب ٣٨/ ح ١.

البحراني في كتابه (تبصرة الولي)، وكذلك ذكرهم صاحب كتاب (غاية المرام فيمن شاهد الإمام)، وكان آخرُ مرَّة شوهد فيها حينما صلّى على جنازة أبيه وهو مسجّى في صحن الدار وأمام الملأ ثمّ غاب عن الأنظار مدَّة سبعين عاماً يتّصل فيها بشيعته عن طريق سفرائه في بغداد حتّى انقطعت السفارة بوفاة السفير الرابع سنة (٣٢٩هـ) ووقعت الغيبة الكبرى التامّة حتّى يأذن الله بالظهور.

هذه نبذة مختصرة من حياة الإمام المهدي عليه السلام وبيان عقيدتنا فيه كما رسمها القرآن الكريم وأفصح عنها النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وأوصياؤه الطاهرون عليهم السلام.

ولرُبَّ سائل يسأل: لقد بلغَ عمر الإمام عليه السلام الآن (١١٧٦) عاماً وهو خارج عن السنن الطبيعية لبني البشر فكيف يتأتّى لشخص أن يعيش كلّ هذه السنين ولربَّما تطول مدَّةُ غيبته لأكثر منها؟

إنّ الأدلَّة على بقاء الإمام المهدي عليه السلام حيّاً طيلة هذه المدَّة كثيرة نستطيع تلخيصها في الفقرات التالية:

أوّلاً: الدليل الديني من القرآن والسُنّة:

يقول الأستاذ الدكتور محمّد حسين الصغير في كتابه الإمام المهدي المنتظر (ص ٨١):

(المفروض لمن آمن بالله ورسوله الإيمان بما قام على صحَّته البرهان والرجوع إلى ما شرَّعه الإسلام في نصوص القرآن الكريم من التحدّث عن أنباء الغيب والإفادة بما أبقته الأحاديث الشريفة من آثار تدعم هذا الاعتقاد، فقد آمن المسلمون بقيام الكائن الملائكي بمهمّاته

المتعدّدة وآمنوا بنطق المسيح في المهد وبعث يحيى صبياً، وآمنوا بثعبان موسى ويده البيضاء، وآمنوا ببقاء أهل الكهف (٣٠٩) سنة نياماً ثمّ بعثوا من جديد، وآمنوا بعروج عيسى إلى السماء، إلى غير ذلك من المغيّبات، والكتاب والسُنَة هما مصدر التشريع لدى المسلمين وليس لمسلم إنكار ذلك ولا ردُّ ما ورد بهما).

ويضيف السيّد محمّد جمال الهاشمي قائلاً: (الحقيقة أنَّ موضوع الإمام الغائب من مواضيع الدين الغيبية المستورة عن وعلي الفكر البشري لا يعلمها إلاَّ الله الخبير البصير بكلّ الأمور)[1].

ولنرجع إلى القرآن الكريم لنجد الأمثلة شاخصة في كتاب الله على طول عمر العديد من الأشخاص أفصحت عنهم الآيات القرآنية، ومنهم:

١ ـ نبيّ الله نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَهُمْ ظالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ١٤).

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه عاش (٢٣٠٠) سنة منها قبل البعثة وفي البعثة وبعد الطوفان.

٢ ـ النبيّ عيسى عليه السلام حيث أخبرت الآيات بحياته إلى الآن، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (النساء: ١٥٧ و١٥٨).

(١) مجلّة الانتظار/ العدد ٣/ ١٤٢٤هـ.

٣ ـ النبيّ يونس عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (الصافات: ١٣٩ ـ ١٤٤).

واللبث هو البقاء على قيد الحياة، وهي إشارة إلى بقائه وبقاء الحوت إلى يوم القيامة على حالهما، وهو أمر يحتاج من المسلم المنصف أن يفكّر فيه جيّداً، فالآية تثبت إمكانية البقاء حيّاً وإمكانية الاختفاء مع كونه نبيّاً مرسلاً لم تسقط نبوّته.

٤ ـ الخضر عليه السلام، حيث تؤكّد روايات وأحاديث الفِرَق الإسلاميّة أنّه حيّ قبل زمان موسى عليه السلام إلى أن يخرج مع الإمام المهدي عليه السلام في دولته.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «... وأمّا العبد الصالح ـ أعني الخضر عليه السلام ـ فإنّ الله تبارك وتعالى ما طوّل عمره لنبوّة قدّرها له، ولا لكتاب ينزله عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء، ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بل إنّ الله تبارك وتعالى لمّا كان في سابق علمه أن يقدّر من عمر القائم عليه السلام في أيّام غيبته ما يقدّر، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول، طوّل عمر العبد الصالح في غير سبب...»[1].

٤ ـ أصحاب الكهف، قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً﴾ (الكهف: ٢٥).

---

(١) كمال الدين: ٣٥٧/ باب ٣٣/ ح ٥٣.

٥ _ إبليس الذي قال لربّه: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦ قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۝٣٧ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (الحجر: ٣٦ _ ٣٨).

كلّ أولئك الأشخاص وغيرهم ممَّن ذكرهم القرآن الكريم عاشوا مدداً طويلة بلا شكّ هي أطول من عمر الإمام المهدي وبذلك بقدرة الله سبحانه، ولا تتوقَّف تلك القدرة عن إطالة عمر وليٍّ ادَّخره الله لانقاذ العالم ونشر شريعة السماء في الأرض.

ثمّ إنَّنا نستقرئ الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكّد على ذلك البقاء وتلك الحياة، نأخذ منها على سبيل المثال:

١ _ حديث الثقلين، قال النبيّ ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلّوا بعدي، وإنَّهما لن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض»[1].

والحديث صريح في النقاط التالية:

أ _ أنَّ النبيّ ﷺ يترك خليفتين بعده هما: كتاب الله والعترة لهداية الأمّة.

ب _ أنَّهما باقيان لن يفترقا عن بعضهما إلى يوم القيامة.

جـ _ أنَّ الرسول ينصُّ على أنَّ التمسّك بهما يعصم الأمّة من الضلالة.

(١) رواه الخاصّة والعامّة بألفاظ مختلفة، فراجع: بصائر الدرجات: ٤٣٢ - ٤٣٤/ باب ١٧/ ح ١ - ٦؛ أمالي الصدوق: ٥٠٠/ ح (١٥/٦٨٦)؛ تحف العقول: ٤٢٦؛ الغيبة للنعماني: ٥٠/ باب ٢/ ح ٢؛ مسند أحمد ٣: ١٤؛ فضائل الصحابة للنسائي: ١٥؛ مستدرك الحاكم ٣: ١٠٩؛ المعجم الكبير للطبراني ٣: ٦٦/ ح ٢٦٧٩؛ وغيرها من المصادر.

يقول الشيخ محمّد مهدي الآصفي: (والخلاصة من هذا الحديث أنّ الله تعالى لم يطلعنا على أسرار غيبه إلاَّ القليل، وما عرفناه منه قد أخبرنا به الصادق الأمين صلى الله عليه وآله ببقاء حجّةٍ من أهل بيته في الناس على وجه الأرض إلى يوم القيامة، فنتعبَّد بحديثه ونحيل علم ما لا نعلم إلى من يعلم)[١].

٢ ـ حديثه صلى الله عليه وآله: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليةً»[٢]، ورواه أحمد في مسنده: «من مات بغير إمام مات ميتةً جاهليةً»[٣]، ورواه الحاكم في المستدرك: «من مات وليس عليه إمام جماعة فإنَّ موتته موتة جاهليةً»[٤]، ورواه ثقاة أصحابنا، وهو يدلُّ على الآتي:

أ ـ أنَّ الأرض لا تصلحُ إلاَّ بإمام.

ب ـ لا بدَّ في كلّ زمان أن يعرف المسلم إمام زمانه ومعرفته دين والجهل به جاهلية.

ج ـ من يمت وليس في عنقه بيعةٌ لإمام زمانه مات ميتةً جاهليةً.

د ـ لا بدَّ أن يكون في كلّ زمان إمام تجب طاعته.

---

(١) مجلّة الانتظار/ ص ٧/ العدد ٣/ ١٤٢٥هـ.

(٢) رواه الخاصّة والعامّة بألفاظ مختلفة، فراجع: المحاسن للبرقي ١: ٩٢/ ح ٤٦؛ بصائر الدرجات: ٢٧٩/ باب ١٥/ ح ٥؛ الكافي ١: ٣٧١ و٣٧٢/ باب أنَّه من عرف إمامه لم يضرّه تقدَّم هذا الأمر أو تأخَّر/ ح ٥؛ ثواب الأعمال: ٢٠٥؛ مسند أبي داود: ٢٥٩؛ مسند أبي يعلى ١٣: ٣٦٦/ ح ٧٣٧٥؛ صحيح ابن حبّان ١٠: ٤٣٤؛ المعجم الكبير للطبراني ١٩: ٣٨٨؛ وغيرها من المصادر.

(٣) مسند أحمد ٤: ٩٦.

(٤) مستدرك الحاكم ١: ٧٧.

هـ ـ إنَّ التفسير الوحيد لهذه الرواية هو ما تعرفه الإمامية وتعتقد به في استمرار الإمامة في أهل البيت منذ وفاة الرسول ﷺ إلى اليوم وعدم انقطاعها بوفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وإنَّما هي متَّصلة ببقاء ولده المهدي عليه السلام.

٣ ـ حديثه ﷺ: «الأئمّة بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش»[1]، وقد مرَّ ذكره.

٤ ـ حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «لاَ تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً لِئَلاَّ تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ»[2]، وهو واضح الدلالة على بقاء الإمام المهدي عليه السلام الغائب طيلة هذه الفترة.

أمَّا على الصعيد التاريخي، فقد تحدَّثت كتب التاريخ عن أُناس عاشوا فتراتٍ طويلة من السنين، وألَّف السجستاني كتاباً أسماه (المعمّرون)، ومنهم:

١ ـ عوج بن عناق، عمَّر (٣٦٠٠) سنة.

٢ ـ ذو القرنين، عمَّر (٢٠٠٠) سنة.

٣ ـ لقمان الحكيم بن عاد، عمَّر (٣٥٠٠) سنة.

٤ ـ ملك فارس الذي أحدث عيد النوروز، عمَّر (٢٥٠٠) سنة.

٥ ـ أكثم بن صيفي، عمَّر (٣٨٠) سنة.

---

(١) رواه الخاصّة والعامّة بألفاظ مختلفة، فراجع: كفاية الأثر: ٢٧؛ أمالي الصدوق: ١٧٣/ ح (١١/١٧٥)؛ روضة الواعظين: ١٠٢؛ الصراط المستقيم ٢: ١٢٦؛ مسند أحمد ٥: ٨٧؛ صحيح البخاري ٨: ١٢٧؛ صحيح مسلم ٦: ٣؛ سنن أبي داود ٢: ٣٠٩/ ح ٤٢٧٩؛ وغيرها من المصادر.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٣٧/ ح ١٤٧.

٦ _ قس بن ساعدة الأبادي، عمَّر (٦٠٠) سنة.

٧ _ سلمان الفارسي، عمَّر (٣٥٠) سنة.

وذكر الكثير غيرهم الشيخ المفيد في كتابه المسائل العشر في الإمام المنتظر (ص ٨٨)، فليراجع.

هذا هو الدليل الديني الذي يعتمد على الغيب، وإنَّنا ملزمون بالإيمان بالغيب كما في قوله تعالى: ﴿الم ۝١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة: ١ _ ٣).

ثانياً: الدليل العقلي:

يُقسّم المناطقة الموجودات في الكون إلى: واجب، وممكن.

فالواجب: هو علَّة العلل، وهو الله سبحانه، والممكن: ما تساوى وجوده وعدمه، وهناك ما يمتنع وجوده كاجتماع النقيضين.

والسؤال هنا: هل من الممكن أن يعيش الإنسان قروناً كثيرةً كما هو المفترض في هذا القائد المنتظر لتغيير العالم؟

يجيب المفكّر الإسلامي السيّد محمّد باقر الصدر قدس سره فيقول:

(كلمة الإمكان هنا تعني أحد ثلاثة معانٍ: الإمكان العملي، والإمكان العلمي، والإمكان المنطقي أو الفلسفي.

وأقصد بالإمكان العملي: أن يكون الشيء ممكناً على نحو يتاح لي أو لك، أو لإنسان آخر فعلاً أن يحقّقه، فالسفر عبر المحيط، والوصول إلى قاع البحر، والصعود إلى القمر، أشياء أصبح لها إمكان عملي فعلاً. فهناك من يمارس هذه الأشياء فعلاً بشكل وآخر.

وأقصد بالإمكان العلمي: أنَّ هناك أشياء قد لا يكون بالإمكان عملياً لي أو

لك أن نمارسها فعلاً بوسائل المدنية المعاصرة، ولكن لا يوجد لدى العلم ولا تشير اتّجاهاته المتحرّكة إلى ما يبرّر رفض إمكان هذه الأشياء ووقوعها وفقاً لظروف ووسائل خاصّة، فصعود الإنسان إلى كوكب الزهرة لا يوجد في العلم ما يرفض وقوعه، بل إنَّ اتّجاهاته القائمة فعلاً تشير إلى إمكان ذلك، وإن لم يكن الصعود فعلاً ميسوراً لي أو لك، لأنَّ الفارق بين الصعود إلى الزهرة والصعود إلى القمر ليس إلاّ فارق درجة، ولا يمثّل الصعود إلى الزهرة إلاّ مرحلة تذليل الصعاب الإضافية التي تنشأ من كون المسافة أبعد، فالصعود إلى الزهرة ممكن علمياً وإن لم يكن ممكناً عملياً فعلاً...

وأقصد بالإمكان المنطقي أو الفلسفي: أن لا يوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين قبلية _ أي سابقة على التجربة _ ما يبرّر رفض الشيء والحكم باستحالته. فوجود ثلاث برتقالات تنقسم بالتساوي وبدون كسر إلى نصفين ليس له إمكان منطقي، لأنَّ العقل يدرك _ قبل أن يمارس أيّ تجربة _ أنَّ الثلاثة عدد فردي وليس زوجاً، فلا يمكن أن تنقسم بالتساوي، لأنَّ انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجاً، فتكون فرداً وزوجاً في وقت واحد، وهذا تناقض، والتناقض مستحيل منطقياً...

وهكذا نعرف أنَّ الإمكان المنطقي أوسع دائرة من الإمكان العلمي، وهذا أوسع دائرة من الإمكان العملي. ولا شكَّ في أنَّ امتداد عمر الإنسان آلاف السنين ممكن منطقياً، لأنَّ ذلك ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقلية تجريدية، ولا يوجد في افتراض من هذا القبيل أيّ تناقض، لأنَّ الحياة كمفهوم لا تستبطن الموت السريع...)[1].

---

(١) بحث حول المهدي: ٦٥ - ٦٧.

ثالثاً: الدليل العلمي:

وأمَّا الإمكان العلمي فلا يوجد علمياً اليوم ما يبرّر رفض ذلك من الناحية النظرية، بل إنَّ علماء الطبّ منشغلون فعلاً بمحاولات حثيثة لإطالة عمر الإنسان[1].

إنَّ علماء الأنسجة توصَّوا إلى أنَّ كلّ الأنسجة الرئيسية في جسم الكائن الحيّ قابلة للاستمرار إلى ما لا نهاية إذا لم يعرض لها ما يقطع حياتها. وأصبح من المقرَّر عندهم أنَّه لا مانع للإنسان من حياة طويلة إذا تيسَّرت له جميع الظروف المناسبة، بل لقد قرَّروا أنَّ الأجزاء الأوّلية للأنسجة يمكن أن تبقى حيّةً ناميةً ما دام يتوفَّر لها الغذاء اللازم[2].

ونشرت مجلَّة المقتطف القاهرية في عددها الثالث (سنة ١٩٥٩م/ ص ٢٨٣) مقالاً تحت عنوان (هل يخلد الإنسان): قال الأستاذ (بيمن دروف) من أساتذة جامعة (هوبتر): إنَّ كلّ الأجزاء الخلوية الرئيسية في جسم الإنسان قد ثبت خلودها بالقوَّة بل هو مثبت بالامتحان، وأخبر الدكتور (ورون لويس) أنَّه يمكن وضع أجزاء خلوية صناعية في جسم الإنسان. وتوالت التجارب فظهر أنَّ الأجزاء الخلوية في أيّ حيوان وأيّ إنسان يمكن أن تعيش بل يمكن أن تتكاثر ما دام لها الغذاء المناسب. ثمّ شرع في بيان نتائجه الآتية:

١ ـ إنَّ هذه الأجزاء الخلوية تبقى حيّة ما لم يعرض لها عارض يميتها.

---

(١) أنظر: بحث حول المهدي: ٦٧، وهامشه.

(٢) اليوم الموعود لكامل سليمان: ١٢٨.

٢ _ أنَّها لا تكتفي بالبقاء حيّة بل تنمو خلايا وتتكاثر.

٣ _ يمكن نموّها وتكاثرها ومعرفة ارتباطها بالغذاء.

٤ _ لا تأثير للزمن عليها حتَّى أنَّها تشيخ وتضعف بمرور الزمن، فشيخوخة الأحياء ليست سبباً بل هي نتيجة.

وذكر الشيخ الطنطاوي الجوهري في (ج ١٤/ ص ٢٢٤) من تفسيره المسمّى (الجواهر) ما يلي:

في مقالةٍ نشرتها مجلة (كلّ شيء) المصرية تحكي عن إمكان إطالة العمر وتجديد قوى الشيوخ وأنَّ الدكتور (فورونوف) قال بالإمكان إطالة الإعمار إلى ما فوق المئة وبإمكان عودة الشباب، وأجرى تجاربه على الحيوانات وقال: لقد عملت إلى الآن (٦٠٠) تجربة عملية ناجحة. وأقول الآن عن اقتناع: إنَّه لا ينصرم هذا القرن حتَّى يمكن تجديد قوى الشيوخ وإزالة غبار السنين عن وجوههم، ويمكن أيضاً تأخير الشيخوخة ومضاعفة العمر.

ويقول الدكتور عاصم فهيم الأستاذ في كلّية العلوم/ جامعة القاهرية في مقالة بعثها إلى مجلَّة الانتظار ونشرتها في عددها السادس لسنة (٢٠٠٥م):

في مقالة علمية نشرتها مجلَّة العلوم/ جامعة القاهرة/ عدد ٢٩٠/ سنة ٢٠٠٠م: أنَّه تمكَّن العلماء من التحكّم في جين إطالة العمر لذبابة الفاكهة الذي يعتبر شديد الشبه بالجين الآدمي، وتمكَّن العلماء من إطالة أعمار سبعة نماذج من الفئان وراثياً.

وفي مقال لنفس المجلَّة _ أي العلوم _ العدد ٣٠٩/ سنة ٢٠٠٥م:

أثبت العلماء أنَّه أمكن إطالة أعمار الفطريات والديدان إلى ما يوازي مئة وعشرة أعوام من عمر الإنسان، وما زالت التجارب مستمرّةً على الفئران.

وخلال شهر تمّوز (٢٠٠٥م) اهتزَّت الأوساط العلمية المهتمّة بأبحاث إطالة الأعمار بخبر نشر في (س. ن. ن) العلمية قسم الصحَّة، حيث أعلن العالِم (د. جراي) أنَّه بحلول عام (٢٠٢٠) سيكون من الممكن علمياً إطالة عمر البشر ببضع مئات من السنين من خلال التحكّم في الجينات الوراثية المسؤولة عن ذلك.

ويقول الدكتور عاصم أيضاً: إنَّ موضوع الخلايا الجذعية التي اعتبرت ثورةً علميةً في الآونة الأخيرة قد فتح باباً أمام العلماء حيث تستطيع الخلايا الجذعية (وهي خلايا جنينية وغير جنينية غير متخصّصة) أن تعوّض أو تستبدل أيّ نوع من الخلايا الجسدية ممَّا يعني مدّ حياة الخلايا إلى أمد بعيد.

ونشرت جريدة المساء القاهرية بتاريخ (٢٠٠٥/٨/٢٨م) مقالاً عن اكتشاف العلماء لهرمون يطيل العمر في الإنسان.

وقال أيضاً: لقد توصَّل العلماء إلى تحديد الجين الوراثي المسؤول عن التحكّم في إطالة عمر الخلية الحيّة في الفئران وحدَّدوا الأنزيم الوراثي الذي يقوم بالدور الأساس في هذه العملية ما يعرف بقص جزء من الحامض النووي المسؤول عن التجديد الخلوي، وإنَّ توقّف التجديد في الخلية يعني الموت.

وختم مقاله بالقول: هذا ما يستطيعه البشر فكيف بربّ البشر؟ ألا

يستطيع أن يطيل عمر إنسانٍ إلى ما شاء وكيف يشاء وبدون سبب؟ وإذا كان ذلك جائز لمن هو محدود فكيف بصاحب القدرة المطلقة[١]؟

رابعاً: دليلُ المعجزة:

يقول السيّد محمّد باقر الصدر ﵀ في كتابه (بحث حول المهدي)[٢]:

(وقد عرفنا حتّى الآن أنَّ العمر الطويل ممكن علمياً، ولكن لنفترض أنَّه غير ممكن عملياً، وأنَّ قانون الشيخوخة والهرم قانون صارم لا يمكن للبشرية اليوم، ولا على خطّها الطويل أن تتغلَّب عليه، وتغيّر من ظروفه وشروطه، فماذا يعني ذلك؟ إنَّه يعني أنَّ إطالة عمر الإنسان _ كنوح أو كالمهدي _ قروناً متعدّدة، هي على خلاف القوانين الطبيعية التي أثبتها العلم بوسائل التجربة والاستقراء الحديثة، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطَّلت قانوناً طبيعياً في حالة معيَّنة للحفاظ على حياة الشخص الذي أُنيط به الحفاظ على رسالة السماء، وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها، أو غريبة على عقيدة المسلم المستمدّة من نصّ القرآن والسُنّة، فليس قانون الشيخوخة والهرم أشدُّ صرامةً من قانون انتقال الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقلّ حرارة حتَّى يتساويا، وقد عُطّل هذا القانون لحماية حياة إبراهيم عليه السلام حين كان الأسلوب الوحيد للحفاظ عليه تعطيل ذلك القانون. فقيل للنار حين أُلقي فيها

(١) مجلَّة الانتظار/ العدد ٦/ ص ١٦.

(٢) بحول حول المهدي: ٧٧ – ٧٩.

إبراهيم: ﴿قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٩)، فخرج منها كما دخل سليماً لم يصبه أذى، إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عُطّلت لحماية أشخاص من الأنبياء وحجج الله على الأرض، ففلق البحر لموسى، وشُبّه للرومان أنَّهم قبضوا على عيسى ولم يكونوا قد قبضوا عليه، وخرج النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله من داره وهي محفوفة بحشود قريش التي ظلَّت ساعات تتربَّص به لتهجم عليه، فستره الله تعالى عن عيونهم وهو يمشي بينهم.

كلّ هذه الحالات تمثّل قوانين طبيعية عُطّلت لحماية شخص، كانت الحكمة الربّانية تقتضي الحفاظ على حياته، فليكن قانون الشيخوخة والهرم من تلك القوانين).

ويخلص إلى القول: (الحقيقة أنَّ المعجزة بمفهومها الديني قد أصبحت في ضوء المنطق العلمي الحديث مفهومة بدرجة أكبر ممَّا كانت عليه في ظلّ وجهة النظر الكلاسيكية).

والآن لا بدَّ من تذكير موجز بنتائج البحث:

١ ـ أنَّ الإمامة منصب إلهي وأنَّ الله أمر نبيّه بالنصّ على أئمّة اثنا عشر من أهل بيته.

٢ ـ أنَّ الإمام الثاني عشر وهو محمّد بن الحسن العسكري قد غاب عن الأنظار سنة (٢٦٠هـ) ولا زال حيّاً.

٣ ـ أنَّ الاعتقاد الديني يؤمن بقدرة الله على إطالة الأعمال كما أطال أعمار بعض أوليائه.

٤ _ أنّ الاتّجاه العلمي يسير في بحوثه حول إيجاد وسائل إطالة العمر وأنّ ذلك ليس مستحيلاً.

٥ _ أنّ العقل لا ينفي بقاء الإنسان طويلاً فهو ممكن وليس من الممتنع أو المستحيل.

٦ _ أنّ تعطيل القوانين الطبيعية بالمعجزة قد حدثت لبعض الأنبياء للحفاظ عليهم. وأنّ الإمام المهدي عليه السلام مدّخر لمهمّةٍ لم يستطع أحد من الأنبياء إنجازها وهي توحيد العالم تحت شريعة السماء.

* * *

الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في نظرة جديدة

السيد عادل العلوي

علوی، عادل، ١٩٥٥ ـ
الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في نظرة جديدة / تأليف السيّد عادل العلوي. ـ قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٣٧٨.
[١٢٨] ص. ـ (موسوعة رسالات إسلامية)
ISBN 964 - 91907 - 4 - 0 : ٧٠٠٠ ريال
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عنوان ديگر: كتاب الإمام المهدي (ع) وطول العمر في نظرة جديدة.
كتابنامه: ص. ٩٠ ـ ١٢٧؛ همچنين به صورت زيرنويس.
١. محمّد بن الحسن (عج)، امام دوازدهم، ٢٥٦ ق. ـ طول عمر. الف. عنوان. ب. عنوان: كتاب الإمام المهدي..
١٨ الف ٨٤٦ع / ٤ / BP ٢٢٤ ٢٩٧ / ٤٦٢
كتابخانه ملى ايران ١٥٠٧١ ـ ٧٨ م

موسوعة

رسالات إسلامية

كتاب
الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في نظرة جديدة
تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٨ هجري قمري
الكمية المطبوعة ـ ١٠٠٠ نسخة
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ٠ ـ ٤ ـ ٩١٩٠٧ ـ ٩٦٤ ISBN 964 - 91907 - 4 - 0
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد) 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

البرهان علىٰ طول عمر إمام الزمان عليه السلام

لقد استبعد طول عمر صاحب الزمان الإمام المهدي المنتظر الموعود من آل محمّد عليهم السلام حتّىٰ عاب على الشيعة بعض الجهّال من العامّة قولهم ببقائه عليه السلام، وقال بعضهم في كتاب الوصيّة فيما لو وصّىٰ واحد أن يصرف مال لأجهل الناس: (إنّ الوصيّة لأجهل الناس تصرف إلىٰ من ينتظر المهدي ويقول بحياته).

لكن مسألة طول عمر صاحب العصر والزمان تنطبق مع الموازين العقلية والمنطقية كما عليها الأدلّة النقلية، فهي ساطعة البرهان، لا يمكن للمؤمن المنصف إنكارها والتشكيك فيها، ولا قيمة للاستبعاد في الأُمور والمطالب الاعتقادية بعدما قام البرهان ودلّت عليه الأدلّة القطعية من العقل والنقل، وهذا نوع من سوء الظنّ بالقدرة الإلهية، وليس له مبنىٰ إلّا عدم الأُنس وقضاء العادة في الجملة علىٰ خلافه، وإلّا فيتّفق في اليوم والليلة بل في كلّ ساعة وآن آلاف من الحوادث والوقائع العادية في العالم، حتّىٰ في المخلوقات الصغيرة وما لا يرىٰ إلّا بإعانة المكبّرات، ممّا أمره أعجب وأعظم من طول عمر إنسان سليم الأعضاء والقوى العارف بقواعد حفظ الصحّة، العامل بها، بل ليس مسألة طول عمره أغرب من خلقته وتكوينه وانتقاله من عالم الأصلاب إلىٰ عالم الأرحام ومنه إلىٰ عالم الدنيا، وبهذا دفع الله

استبعاد المنكرين للمعاد في قوله تعالىٰ :

﴿ يا أَيُّها النَّاسُ إنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ... ﴾[١].

وقال عزّ وجلّ :

﴿ وَقالوا أَإذا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً ... ﴾[٢].

فلا يمكن إنكار ما قام عليه الدليل والبرهان.

ويمكن تلخيص الأدلّة والبراهين في طول عمر صاحب الزمان ووقوعه بما يلي :

الدليل الأوّل : قدرة الله

إنّ الله سبحانه وتعالىٰ قادر علىٰ كلّ شيء، كما إنّه عالم بكلّ شيء، فلا يعزّ عليه أن يطيل في عمر شخص ويحفظه من آفات الموت وطبيعته، فإنّ النار بطبيعتها تحرق وتفني وتبيد الحرث والنسل، إلّا أنّها كانت بأمر من ربّها برداً وسلاماً علىٰ إبراهيم الخليل عليه السلام :

﴿ يا نارُ كوني بَرْداً وَسَلاماً عَلىٰ إبْراهيم ﴾[٣].

فبالقدرة الإلهية نستدلّ علىٰ طول عمر صاحب الزمان عليه السلام، وبها ينقطع

---

(١) الحجّ : ٥.

(٢) الإسراء : ٤٩.

(٣) الأنبياء : ٦٩.

الإشكال ويتمّ الجواب. فإنّ الله سبحانه قادر علىٰ كلّ شيء، وطول العمر من الممكنات، فليس بالمستحيل ذاتاً، وإنّه لا قابليّة له في ذاته، بل هو ممكن الذات، كما أنّ أدلّ دليل علىٰ إمكان الشيء وقوعه، وإذا طلب المؤمن ودعا ربّه في ذلك فإنّه يستجاب له، كما ورد في الخبر النبويّ الشريف.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو أنّ مؤمناً أقسم علىٰ ربّه عزّ وجلّ أن لا يميته ما أماته أبداً، ولكن إذا حضر أجله بعث الله عزّ وجلّ إليه ريحين: ريحاً يقال له: المنسية، وريحاً يقال له: المسخية، فأمّا المنسية فإنّها تنسيه أهله وماله، وأمّا المسخية فإنّها تسخي نفسه عن الدنيا حتّىٰ يختار ما عند الله تبارك وتعالىٰ[1].

فأيّ مانع لمصالح خفية إلهية وحكمة ربّانيّة أن يطول عمر صاحب الزمان عليه السلام ولا يموت حتّىٰ يأذن الله تعالىٰ في ذلك؟ فإنّه سيّد المؤمنين وإمامهم ولا يردّ دعائه قطعاً.

الدليل الثاني: الإعجاز

إنّ النبوّة والإمامة والوصاية التي هي امتداد خطّ النبوّة، إنّما يصطحبان بالإعجاز، فمن يدّعي النبوّة ـ وكذلك الإمامة ـ وتظهر علىٰ يديه المعجزة ـ ما يعجز عنه الناس ـ فإنّه يدلّ علىٰ صدق دعواه، وإلّا فإنّه يلزم على الله سبحانه التغرير بالكاذب، وهذا أمر قبيح، وإنّ الله سبحانه منزّه عن القبائح، لقدرته المطلقة وعلمه

---

(١) بحار الأنوار ٦: ١٥٣.

المطلق، ومطلق العلم والقدرة.

فكلّ واحد من الأنبياء والأوصياء تظهر المعاجز منهم الدالّة علىٰ صدق دعواهم.

ومن المعاجز لخاتم الأوصياء طول عمره الشريف، فإنّه لا يقاس بهم أحد من الناس، ولا يقاس أعمارهم بالأعمار الطبيعية في العصور المتأخّرة.

وقد أخبر النبيّ المصطفىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومون الأبرار عليهم السلام قبل ولادة الإمام المهدي عليه السلام بمثل هذا الأمر الإعجازي، فالمقتضي موجود والمانع مفقود، فيتمّ الأمر حينئذٍ، ويتمّ المطلوب ويثبت.

ومن الروايات الدالّة علىٰ ذلك ما جاء في كمال الدين بسنده عن سدير الصيرفي[1].

الدليل الثالث: التأسّي بالأنبياء

لقد تأسّىٰ الإمام المهدي عليه السلام في طول عمره الشريف بالأنبياء السابقين، فإنّه ممّا لا يمكن إنكاره بصريح الآيات القرآنية، فإنّ هناك من الأنبياء عليهم السلام من طال عمره، بل بعضهم لا زال حيّاً كروح الله عيسىٰ بن مريم والنبيّ خضر عليهما السلام.

فإنّ ذا النون يونس النبيّ لولا أن سبّح الله في بطن الحوت للبث حيّاً إلىٰ يوم يبعثون ـ يوم القيامة ـ كما في قوله تعالىٰ:

﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ في بَطْنِهِ إلىٰ يَوْمِ يُبْعَثونَ ﴾[2].

---

(١) كمال الدين ٢: ٢١.

(٢) الصافّات: ١٤٣.

وإنّ نوح عليه السلام قد دعا قومه ـ أي كانت مدّة دعوته وإظهار نبوّته غير عمره ـ ألف عام إلّا خمسين سنة، كما في قوله تعالىٰ:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نوحاً إلىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إلّا خَمْسينَ عاماً ﴾[1].

وإنّ عيسىٰ بن مريم لا زال حيّاً في السماء، وأنّه ينزل في آخر الزمان ويصلّي خلف الإمام القائم عليه السلام ويكون من أعوانه، كما ورد في الأخبار الصحيحة عند الفريقين ـ فهو لا زال حيّاً رفعه الله سبحانه وإنّه لم يقتل ـ كما في قوله تعالىٰ:

﴿ وَما قَتَلوهُ يَقيناً بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكانَ اللهُ عَزيزاً حَكيماً وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ إِلّا لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾[2].

وإنّ الخضر عليه السلام شرب من ماء الحياة ولا يزال حيّاً مع الإمام المهدي عليه السلام.

فكيف يكون الايمان بطول عمر الإمام المهدي عليه السلام إمارة الجهل مع تصريح القرآن الكريم، بإمكان مثله، كما حدث في الأنبياء الماضين، فما لكم كيف تحكمون؟!!

قال السيّد ابن طاووس قدس سره في الفصل ٧٩ من كتابه القيّم (كشف المحجّة) في مناظراته مع بعض العامّة: لو حضر رجل وقال: أنا أمشي على الماء ببغداد، فإنّه يجتمع لمشاهدته كلّ من يقدر علىٰ ذلك من الناس، فإذا مشىٰ على الماء وتعجّب الناس منه، فجاء آخر قبل أن يتفرّقوا وقال أيضاً: أنا أمشي على الماء، فإنّ التعجّب منه يكون أقلّ من ذلك، فمشىٰ على الماء، فإنّ بعض الحاضرين ربما يتفرّقون ويقلّ تعجّبهم، فإذا جاء ثالث وادّعىٰ نفس الدعوىٰ فربما لا يبقىٰ أحد ينظر إليه، وهذه حالة المهدي، لأنّكم رويتم أنّ إدريس حيّ موجود في السماء منذ زمانه إلى الآن،

---

(١) العنكبوت: ١٤.

(٢) النساء: ١٥٨.

ورويتم أنّ عيسىٰ حيّ موجود في السماء وإنّه يرجع إلى الأرض مع المهدي عليه السلام، ورويتم أنّ الخضر حيّ موجود منذ زمان موسىٰ عليه السلام أو قبله إلى الآن، فهذه ثلاثة من البشر طالت أعمارهم وسقط التعجّب بهم من طول أعمارهم، فهلّا كان لمحمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله أُسوة بواحد منهم، أن يكون من عترته آية الله جلّ جلاله في أُمّته بطول عمر واحد من ذرّيته، فقد ذكرتم ورويتم أنّه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ولو فكّرتم لعرفتم أنّ تصديقكم أنّه يملأ الأرض بالعدل شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً أعجب من طول بقائه، وصدّقتم أنّ عيسىٰ يصلّي خلفه، وهذا أعظم مقاماً ممّا استبعدتموه. انتهىٰ كلامه رفع الله مقامه. كما أنّه ورد في الخبر النبويّ الشريف عند الفريقين: أنّه سيجري علىٰ هذه الأُمّة المرحومة ما جرىٰ على الأُمم السابقة طابق النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، وليكن طول عمر صاحب الزمان عليه السلام ممّا جرىٰ علىٰ أنبياء الأُمم الماضية، فأيّ مانعٍ في ذلك بعد وجود المقتضي.

الدليل الرابع: العلم الحديث

وهذا دليل لمن أراد أن يؤمن بطول العمر من خلال العلم الحديث المتطوّر والمتقدّم، فإنّ الوسائل والآلات المتوفّرة في الطبيعة في عصرنا الراهن لا تنحصر بما في أيدينا اليوم، فإنّ الوسائل الفنّية والتكنولوجيا الحديثة لا تنحصر بالمذياع والتلفاز والتلفون والطائرات النفّاثة والصواريخ الفضائية والكومبيوتر وما شابه ذلك، فإنّ مثل هذه الأسباب قبل قرون كانت تعدّ من المحالات ومن المهازل والقوّة التخيّلية، ولكن اليوم أصبحت هذه الأُمور من التوافه ولعب الأطفال، وأنّ هناك ما هو أوسع من ذلك بكثير، ولم يدّعِ أحد أنّه قد كشف المجهولات الكونية بل

كلّما ازدادوا علماً اعترفوا بجهلهم وعجزهم أكثر فأكثر، وأنّ هناك أسرار في الطبيعة لا زالت مجهولة وتبقىٰ مجهولة، وما أُوتيتم من العلم إلّا قليلاً، وأنّ فوق كلّ ذي علمٍ عليم. وحينئذٍ كيف يمكن أن يقال: إنّه ليس هناك عوامل مؤثّرة في طول العمر ؟ !

بل يقول البروفيسور أتينقر: إنّ الجيل الجديد كما آمن بالرحلات الفضائية فإنّه سيؤمن بأنّ خلود الإنسان في الحياة الدنيوية ليس أمراً ببعيد، فإنّ مع التقدّم التكنولوجي الذي نشاهده اليوم سوف تتمكّن البشرية في القرن القادم أن تطيل عمر الإنسان لآلاف السنين[1].

ويعتقد البروفيسور سيلي: إنّ الموت إنّما هو مرض تدريجي، وإنّه لم يمت أحد من الشيخوخة، وإنّ تقدّم العلم الطبّي سيعطي الإنسان القدرة علىٰ أن يطيل في عمره بأضعاف ما هو عليه.

كما هناك في الطبيعة موجودات حيّة عاشت آلاف السنين، وإنّ العلم الحديث توصّل إلىٰ زرع خليّة ما قبل التأريخ وإعادة حياتها.

ولمّا كان المقتضي موجود في ديمومة حياة الإمام المهدي عليه السلام فما المانع في ذلك ؟ فإنّه بعيد عن الأبصار في حياة طاهرة ومطهّرة، يعبد ربّه وينتظر أمره وقيامه الإلهي، وأنّه حجّة الله علىٰ خلقه في أرضه، لولاه لساخت الأرض بأهلها، وإنّه ميزان الأعمال وشاهد على الناس، وفي غيبته أسرار الله جلّت عظمته، وأنّ غيبته الكبرىٰ من الابتلاء، ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً، وإنّه من الغيب الذي يؤمن به المتّقون ﴿ ذٰلِكَ الكِتابُ لا رَيْبَ فيهِ هُدىً لِلـمُتَّقينَ الَّذينَ يُؤْمِنونَ بِالغَيْبِ ﴾[2].

---

(١) مجلّة (دانشمند) العلمية، السنة السادسة، العدد السادس.

(٢) البقرة: ٢.

وعن الإمام الباقر عليه السلام حينما يعدّ فوائد طول عمر الإمام المهدي وسرّه : وذلك بعد غيبة طويلة ليعلم الله من يطيعه بالغيب ويؤمن به.

والعلم الحديث أثبت أنّ هناك عوامل مؤثّرة في طول العمر كالوراثة والبيئة المعتدلة ونوع العمل ومراعاة الغذاء كمّاً وكيفاً، والشيخوخة ليست مرحلة زمنية، بل ظاهرة جسدية يمرّ بها الإنسان عادة.

وقد يصاب الجسم بالشيخوخة بسبب الإصابة ببعض الأمراض أو ممارسة عادات مضرّة.

ويعتقد (متشنكوف) أنّ السموم الناجمة عن تخمّر مكروبات الأمعاء هي وراء الشيخوخة، ولو أمكن تطهير الأمعاء منها لعاش الإنسان طويلاً.

والعلم ما يزال يحبو في أوّل الطريق، ومن المحتمل جدّاً أن يكتشف الإنسان مستقبلاً دواءً يعزّز من قدرة الجسم في المقاومة ويمنع حدوث الشيخوخة وحتّىٰ يصل العمر إلىٰ ألفي عام، كما كتبت بذلك بحوث يابانية.

ولنا في الذبابات والحيوانات تجاوزت أعمارها المئات وأُلوف من السنين، ففي أمريكا توجد شجرة صنوبر في كاليفورنيا ما تزال حيّة وبلغ عمرها أكثر من أربعة آلاف وستمائة سنة، وكشفت الحفريات في مصر القديمة وفي مقبرة الفرعون (توت عنخ آمون) حبوباً من القمح يعود تأريخها إلىٰ ثلاثة أو أربعة آلاف عام، فنبتت واخضرّت ممّا يدلّ علىٰ أنّها لا زالت تحتفظ بحياتها كلّ هذه القرون الطويلة، كما لوحظ أنّ عمر بعض الحيتان يتجاوز (١٧٠٠) سنة.

كما إنّ دراسة الأشجار المعمّرة واستمرار حياتها آلاف السنين وكذا حياة الفايروسات سوف يكون لها آثارها الإيجابية في إمكانية إطالة عمر الإنسان والتغلّب على الشيخوخة.

ويقول علماء مختصّون في هذا المجال : إنّ بإمكان الجسم أو أيّ عضو منه

الاستمرار في الحياة مدّة غير محدودة إذا لم يتعرّض إلىٰ طارئ خارجي، وقد تصل المدّة آلاف السنين.

وهذا الرأي لا يستند على الحدس أو الخيال، بل هو نتيجة تجارب علمية عديدة.

ويقول (ريموند) و (بريل) الأُستاذان في جامعة (جون هوبكنز) أنّ الأعضاء الرئيسية في جسم الإنسان لها القابلية على الدوام والخلود، وقد ثبت ذلك بالتجارب التي ما تزال مستمرّة.

ومتىٰ ما تمكّن العلم من حماية الجسم من هجمات الجراثيم وإيقاف التسمّم وإيصال الغذاء الكافي للأعضاء فإنّ باستطاعة الإنسان أن يعيش مدّة طويلة جدّاً كما هو الحال في بعض الأشجار المعمّرة.

ويقول البروفيسور (ميتالينكوف) الخبير في حالات الوفاة: إنّ جسم الإنسان يتألّف من ثلاثين تريليون من الخلايا المختلفة والتي لا يمكن أن تموت كلّها في لحظة واحدة، ولا يتحقّق الموت إلّا بعد حدوث تغيّرات كيميائية في المخّ غير قابلة للإصلاح.

وفي مدينة مونتريال بكندا كان الدكتور (هانس سيلي) يجري في مختبره بحوثاً حول ظاهرة الموت، وعرض لمراسلي الصحف نسيجاً من الخلايا الحيوانية، وصرّح بأنّ النسيج هذا ما يزال حيّاً وفي حالة نشاط حيوي وإنّه لن يموت أبداً. وأضاف الدكتور: إذا تمكنّا من تحويل النسيج الإنساني بهذا الشكل فإنّ من الممكن أن يعيش الإنسان ألف عام.

ويقول البروفيسور (إينتنجر): إنّ الأجيال القادمة سوف تصطدم بحقيقة الإنسان الخالد كما هو الحال في غزو الإنسان للفضاء، وإنّ تطوّر العلوم سيكفل حياة الإنسان لألف عام.

إنّ الشيخوخة هي ظاهرة مرضيّة وهي ليست مستحيلة العلاج، ولقد تمكّن العلم من إنجاز اعمال كانت فيما مضىٰ مستحيلة، وهو ما يزال يشقّ طريقه قدماً في فتوحات جديدة، فمن الممكن في المستقبل اكتشاف أسباب الشيخوخة، ومن ثمّ علاجها. وهناك بعض العلماء يقومون بإجراء العديد من التجارب والبحوث من أجل العثور علىٰ أكسير الشباب، ولا يمكن الادعاء بأنّ جهودهم سوف تذهب سُدىٰ، فمن المحتمل جداً نجاحهم في هذا المضمار، وبالتالي سيكون بمقدور الإنسان الحياة لمدّة طويلة.

وإذا افترضنا وجود شخص ما في كامل حيويّته البدنية، وكانت أعضاء جسمه كالقلب والكلية والكبد والجهاز العصبي والمعدة وغيرها سليمة تعمل بانتظام، وكان هذا الشخص ملمّاً بما ينبغي تناوله من غذاء ويتّبع في ذلك نظاماً صحياً عالياً، وإنّه إلىٰ جانب ذلك يعرف طرق الوقاية من الأمراض، ويعرف كيف يجهّز بدنه بالفيتامينات، ويتمتّع بروحية عالية تهبه الشعور بالطمأنينة بعيداً عن القلق والكآبة وكلّ ما يعتور الإنسان من أمراض نفسية، فإنّ بإمكان هكذا شخص أن يعمّر طويلاً، وأن يعيش أضعافاً مضاعفة ممّا تعارف عليه الناس من العمر الطبيعي. كما هناك في التأريخ من عمّر المئات وآلاف السنين كنوح وآدم[١].

---

(١) لقد أورد المسعودي في تأريخ مروج الذهب (١ : ٢٠) عدداً من المعمّرين في التأريخ، وهم: آدم ٩٣٠ سنة، وشيت ٩١٢ سنة، وانوش ٩٦٠، وقدنان ٩٢٠ سنة، ولوط ٧٣٣، ونوح ٩٥٠ سنة، وكيومرث ١٠٠٠ سنة، وعاد ١٢٠٠ سنة، وعليكم بمراجعة (المعمّرون والوصايا) لأبي حاتم السجستاني و (الآثار الباقية) للبيروني و (يوم الخلاص) لكامل سليمان و (البحار ٥١ : ٢٤٣) و (إلزام الناصب : ٨٦) و (المهدي : ١٢٧) و (إعلام الورىٰ : ٤٤٢) و (البرهان : ١١) وغيرها.

وبناءً علىٰ هذا فإنّ مسألة العمر الطويل في شخصيّة الإمام المهدي لن تكون مستحيلة، فالعلم الحديث يؤمن من ناحية مبدئية إمكانيّة ذلك.

إضافة إلى التأكيد علىٰ جانب هامّ، وهو أنّ الله ادّخر هذا الإنسان العظيم لإصلاح العالم والمجتمع الإنساني، ومن ثمّ وهبه ما يساعده على استمرار حياته دون ضعف ووهن وانتكاس وشيخوخة[1].

ويقول الشهيد السعيد الآية العظمى السيّد محمّد باقر الصدر قدس سره في كتابه القيّم (بحث حول المهدي): ليس المهدي تجسيداً لعقيدة إسلاميّة ذات طابع ديني فحسب، بل هو عنوان لطموح اتّجهت إليه البشريّة بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة لإلهام فطري، أدرك الناس من خلاله على الرغم من تنوّع عقائدهم ووسائلهم إلى الغيب، أنّ للإنسانيّة يوماً موعوداً على الأرض، تحقّق فيه رسالات السماء بمغزاها الكبير، وهدفها النهائي، وتجد فيه المسيرة المكدودة للإنسان علىٰ مرّ التأريخ استقرارها وطمأنينتها بعد عناء طويل، بل لم يقتصر الشعور بهذا اليوم الغيبي والمستقبل المنتظر على المؤمنين دينياً بالغيب، بل امتدّ علىٰ غيرهم أيضاً وانعكس حتّىٰ علىٰ أشدّ الإيديولوجيّات والاتّجاهات العقائدية رفضاً للغيب والغيبيّات، كالماديّة الجدليّة التي فسّرت التأريخ علىٰ أساس التناقضات وآمنت بيوم موعود تصفىٰ فيه كلّ تلك التناقضات ويسود فيه الوئام والسلام... وحينما يدعم الدين هذا الشعور النفسي العام ويؤكّد أنّ الأرض في نهاية المطاف ستمتلئ قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً، يعطي لذلك الشعور قيمته الموضوعيّة ويحوّله إلىٰ إيمان حاسم بمستقبل المسيرة الإنسانيّة...

---

(١) (حوارات حول المنقذ).

وإذا كانت فكرة المهدي أقدم من الإسلام وأوسع منه، فإنّ معالمها التفصيليّة التي حدّدها الإسلام جاءت أكثر إشباعاً لكلّ الطموحات التي انشدّت إلىٰ هذه الفكرة منذ فجر التأريخ الديني، وأغنىٰ عطاءً وأقوىٰ إثارةً لأحاسيس المظلومين والمعذّبين علىٰ مرّ التأريخ، وذلك لأنّ الإسلام حوّل الفكرة من غيب إلىٰ واقع ومن مستقبل إلىٰ حاضر، ومن التطلّع إلىٰ منقذ تتمخّض عنه الدنيا في المستقبل البعيد المجهول إلى الإيمان بوجود المنقذ فعلاً وتطلّعه مع المتطلّعين إلى اليوم الموعود...

وقد قدّر لهذا القائد المنتظر أن لا يعلن عن نفسه ولا يكشف للآخرين حياته على الرغم من أنّه يعيش معهم انتظاراً للحظة الموعودة...

ولكنّ التجسيد المذكور أدّىٰ في نفس الوقت إلىٰ مواقف سلبيّة تجاه فكرة المهدي نفسها لدىٰ عدد من الناس الذين صعب عليهم أن يتصوّروا ذلك ويفترضوه...

فهم يتساءلون إذا كان المهدي يعبّر عن إنسان حيّ، عاصر كلّ هذه الأجيال المتعاقبة منذ أكثر من عشرة قرون، وسيظلّ يعاصر امتداداتها إلىٰ أن يظهر على الساحة، فكيف تأتّىٰ لهذا الإنسان أن يعيش هذا العمر الطويل، وينجو من قوانين الطبيعة التي تفرض علىٰ كلّ إنسان أن يمرّ بمرحلة الشيخوخة والهرم، في وقت سابق علىٰ ذلك جدّاً وتؤدّي به تلك المرحلة طبيعيّاً إلى الموت، أو ليس ذلك مستحيلاً من الناحية الواقعيّة ؟

ثمّ يذكر الشهيد قدس سره أسئلة أُخرىٰ ليجيب عنها في بحثه الرائع، تضمّ هذه العناوين :

١ ـ كيف تأتّىٰ للمهدي هذا العمر الطويل ؟

٢ ـ المعجزة والعمر الطويل.

٣ ـ لماذا كلّ هذا الحرص علىٰ إطالة عمره ؟

٤ ـ كيف اكتمل إعداد القائد المنتظر ؟

٥ ـ كيف نؤمن بأنّ المهدي قد وُجد ؟

٦ ـ لماذا لم يظهر القائد إذن ؟

٧ ـ وهل للفرد كلّ هذا الدور ؟

٨ ـ ما هي طريقة التغيير في اليوم الموعود. فراجع.

وفي العنوان الأوّل يبحث عن معاني الإمكان الثلاثة : العملي والعلمي والمنطقي والفلسفي ، ثمّ يقول : لا شكّ في أنّ امتداد عمر الإنسان آلاف السنين ممكن منطقيّاً لأنّ ذلك ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقليّة تجريديّة ... كما لا شكّ أيضاً في أنّ هذا العمر الطويل ليس ممكناً إمكاناً عمليّاً علىٰ نحو الإمكانات العمليّة للنزول إلىٰ قاع البحر أو الصعود إلى القمر ... وأمّا الإمكان العلمي فلا يوجد علميّاً اليوم ما يبرّر رفض ذلك من الناحية النظريّة ، وهذا بحث يتّصل في الحقيقة بنوعيّة التفسير الفسلجي لظاهرة الشيخوخة والهرم لدى الإنسان ... ويدخل في بحث الشيخوخة فيقول : وبهذا يثبت عمليّاً أن تأجيل هذا القانون بخلق ظروف وعوامل معيّنة أمر ممكن علميّاً ...

ويتلخّص من ذلك : أنّ طول عمر الإنسان وبقاءه قروناً متعدّدة ممكن منطقيّاً وممكن علميّاً ولكنّه لا يزال غير ممكن عمليّاً ، إلّا أنّ اتّجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الإمكان عبر طريق طويل.

وعلىٰ هذا الضوء نتناول عمر المهدي عليه الصلاة والسلام وما أُحيط به من استفهام أو استغراب ونلاحظ : أنّه بعد أن ثبت إمكان هذا العمر الطويل منطقيّاً وعلميّاً وثبت أنّ العلم سائر في طريق تحويل الإمكان النظري إلىٰ إمكان عملي

تدريجاً، لا يبقىٰ للاستغراب محتوىً، إلّا استبعاد أن يسبق المهدي العلم نفسه، فيتحوّل الإمكان النظري إلىٰ إمكان عملي في شخصه قبل أن يصل العلم في تطوّره إلىٰ مستوى القدرة الفعليّة علىٰ هذا التحويل، فهو نظير من يسبق العلم في اكتشاف دواء ذات السحايا أو دواء السرطان...

ولا أدري هل هي صدفة أن يقوم شخصان فقط، بتفريغ الحضارة الإنسانيّة من محتواها الفاسد وبنائها من جديد، فيكون لكلّ منهما عمر مديد يزيد علىٰ أعمارنا الاعتياديّة أضعافاً مضاعفة؟ أحدهما مارس دوره في ماضي البشريّة وهو نوح الذي نصّ القرآن الكريم علىٰ أنّه مكث في قومه ألف عام إلّا خمسين سنة وقدّر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من جديد، والآخر يمارس دوره في مستقبل البشرية، وهو المهدي الذي مكث في قومه حتّى الآن أكثر من ألف عام وسيقدّر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد. فلماذا نقبل نوح الذي ناهز ألف عام علىٰ أقلّ تقدير ولا نقبل المهدي؟

ثمّ يقول قدس سره: وقد عرفنا حتّى الآن أنّ العمر الطويل ممكن عمليّاً، ولكن لنفترض أنّه غير ممكن علميّاً، وإنّ قانون الشيخوخة والهرم قانون صارم، لا يمكن للبشرية اليوم ولا علىٰ خطّها الطويل أن تتغلّب عليه، وتغيّر من ظروفه وشروطه فماذا يعني ذلك؟ إنّه يعني أنّ إطالة عمر الإنسان ـ كنوح أو المهدي ـ قروناً متعدّدة، هي علىٰ خلاف القوانين الطبيعيّة التي أثبتها العلم بوسائل التجربة والاستقراء الحديثة، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطّلت قانوناً طبيعيّاً في حالة معيّنة للحفاظ علىٰ حياة الشخص الذي أُنيط به الحفاظ علىٰ رسالة السماء، وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها، أو غريبة علىٰ عقيدة المسلم المستمدّة من نصّ القرآن والسنّة، فليس قانون الشيخوخة والهرم أشدّ صرامة من قانون انتقال الحرارة من

الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقلّ حرارة حتّىٰ يتساويان، وقد عطّل هذا القانون لحماية حياة إبراهيم عليه السلام حين كان الأُسلوب الوحيد للحفاظ عليه تعطيل ذلك القانون فقيل للنار حين أُلقي فيها إبراهيم ﴿ قُلْنا يا نارُ كوني بَرداً وَسَلاماً عَلىٰ إبْراهيمَ ﴾[1]، فخرج منها كما دخل سليماً لم يصبه أذىً، إلىٰ كثير من القوانين الطبيعيّة التي عطّلت لحماية أشخاص من الأنبياء وحجج الله على الأرض ففلق البحر لموسىٰ، وشبّه للرومان أنّهم قبضوا علىٰ عيسىٰ، ولم يكونوا قد قبضوا عليه، وخرج النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله من داره وهي محفوفة بحشود قريش التي ظلّت ساعات تتربّص به لتهجم عليه، فستره الله تعالىٰ عن عيونهم وهو يمشي بينهم، كلّ هذه الحالات تمثّل قوانين طبيعيّة عطّلت لحماية شخص كانت الحكمة الربّانيّة تقتضي الحفاظ علىٰ حياته، فليكن قانون الشيخوخة والهرم من تلك القوانين.

وقد يمكن أن نخرج من ذلك بمفهوم عامّ وهو أنّه كلّما توقّف الحفاظ علىٰ حياة حجّة لله في الأرض علىٰ تعطيل قانون طبيعي وكانت إدامة حياة ذلك الشخص ضروريّة لإنجاز مهمّته التي أعدّ لها، تدخّلت العناية الربّانيّة في تعطيل ذلك القانون لإنجاز ذلك...

وجاء في كتاب (يوم الخلاص) للأُستاذ كامل سليمان (الصفحة ١٣٣) تحت عنوان (ما هذا العمر المديد ؟ بعض طويلي الأعمار):

قال الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه حين رآه يتعجّب من طول الغيبة: إنّ الله تعالىٰ أدار في القائم منّا ثلاثةً أدارها لثلاثة من الرسل: قدّر مولده تقدير مولد موسىٰ، وقدّر غيبته تقدير غيبة عيسىٰ، وقدّر إبطاءه تقدير إبطاء نوح، وجعل

---

(١) الأنبياء: ٦٩.

له من بعد ذلك عمر العبد الصالح (يعني الخضر عليه السلام) دليلاً علىٰ عمره.

ثمّ بعد تعليل غيبات الرسل الثلاث في حديث طويل قال عليه السلام: وأمّا العبد الصالح الخضر فإنّ الله تبارك وتعالىٰ ما طوّل عمره لنبوّة قدّرها له ولا لكتاب ينزل عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء، ولا لإمامة يُلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بل إنّ الله تبارك وتعالىٰ لمّا كان في سابق علمه أن يقدّر في عمر القائم في أيّام غيبته، وعلم من إنكار عباده لمقدار ذلك العمر في الطول، طوّل عمر العبد الصالح من غير سبب، فما أوجب ذلك إلّا لعلّة الاستدلال علىٰ عمر القائم، وليقطع بذلك حجّة المعاندين، لئلّا يكون للناس على الله حجّة.

(فكثيراً ما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن آله المعصومين كون القائم فيه سنّة من نوح وهي طول العمر... أوردوا ذلك مورد تأكيد لا ريب فيه، حتّىٰ أنّ الصادق عليه السلام قال مرّة مستهجناً: أما تنكرون أن يُمِدّ الله لصاحب هذا الأمر في العمر كما مدّ لنوح عليه السلام في العمر؟! ثمّ قال مرّة ثانية: إنّ وليّ الله يُعمّر عمر إبراهيم الخليل عشرين ومئة سنة وكان يظهر في صورة فتىٰ موفّق ـ أي رشيد قوي ـ ابن ثلاثين سنة. لو خرج القائم أنكره الناس، يرجع شابّاً موفّقاً...

(وكيف نتعجّب من رجوعه محتفظاً بمقوّمات شبابه إذا اجرى الله تعالىٰ عليه ما أجرىٰ لغيره من الصالحين؟ فإنّ طول عمره صار عن محض الإرادة الإلهيّة التي قدّرت طول العمر لكثير من الصالحين والطالحين فيما مضىٰ وكما سترىٰ...

وقيل: إنّ عزيراً خرج من أهله وامرأته في شهرها، وله خمسون سنة، فلمّا ابتلاه الله عزّ وجلّ بذنبه أماته مئة عام ثمّ بعثه... فرجع إلىٰ أهله وهو ابن خمسين سنة، فاستقبله ابنه وهو ابن مئة سنة!! وردّ الله عزيراً إلى الذي كان به...

أهذه أعجب أم قضيّة صاحبنا عليه السلام؟

وخذ الثانية قبل أن ينقضي عجبك، فإنّ نصر بن دهمان ـ من غطفان ـ قد عاش مئة وتسعين سنة ثمّ اعتدل بعدها وعاد شاباً، فتعجّب معاصروه من ذلك أشدّ العجب، حتّىٰ أنّ العرب لم يروا مثلها أُعجوبة فريدة! ومثل هذه أيضاً، ما ذكره أصحاب السير والآثار من أنّ (زليخا) امرأة عزيز مصر قد رجعت شابّة طريّة بعد شيخوختها وهرمها.

بل ذكروا أنّ يوسف عليه السلام قد عاد فتزوّجها بحسب بعض رواياتهم...

فلا أخال إطالة عمر المهدي عليه السلام إلىٰ ما يزيد على الألف سنة موضوعاً فيه إشكال ذو بال، وإن كان المستنكرون يرونه المشكلة كلّ المشكلة، مع أنّ الإمام المعصوم يخلقه الله تعالىٰ تامّ التركيب الجسمي، معتدلاً في جميع مقوّمات حياته، ولا يصيبه الموت إلّا بعارض خارجي كالقتل والسمّ كما حدث لآباء القائم عليهم السلام الذين ورد عنهم قولهم في مناسبة: ما منّا إلّا مسموم أو شهيد[1]، أي شهيد قتل أو قتيل سمّ، علىٰ أنّ الإنسان العادي السليم الجسم لا يدهمه الموت إلّا إذا طرأ عليه ما يخرّب جسمه ويعطّل بعض مقوّماته، وها نحن نبحث عن هذه الظاهرة ـ ظاهرة طول العمر ـ من نواحيها الدينية والحياتية والطبيعية.

يتحدّث المصنّف في الناحية الدينية عن جانب الأعجاز والقدرة الإلهيّة وأنّ بقاء المهدي عليه السلام كان باختيار الله تعالىٰ وتحت مقدوره، وبمشيّته لا بمشيّتنا ولا اختيارنا ولا موافقتنا...

ثمّ يقول: أمّا تطويل الأعمار فهو همّ أساطين الأطباء اليوم، وهم جهابذة علم الحياة الذين يبحثون بوسائلهم الأرضيّة عن تنشيط الخلايا وإصلاح الأنسجة

---

(١) إلزام الناصب: ١٠.

المستهلكة، وتجديد شباب الشيوخ، أي أنّهم يبحثون عن شيء يعرفه الله ـ يا سيّد العارفين! ـ فكيف ننكر عليه أن يجدّد الخلايا، ويعيد الشباب ويطيل العمر؟! مَه مَه للعقول التي لا تريد أن تفكّر وتقابل! ومهلاً مهلاً لمن يجفله اسم الله كما كان يجفل الفيلسوف الفرنسي ـ فيكتور هوغو ـ الذي درّس الإلحاد لتلامذته حتّىٰ بلغ السادسة والثمانين ثمّ صرخ بملء شدقيه ـ أثناء الدرس ـ: يا ربّ خلّصنا. حين هبّت عاصفة غير مألوفة يرافقها رعد وبرق وريح صرصر كادت تهدم البيوت وتقتلع الأشجار، ثمّ كانت صرخته هذه سبباً لإثارة انتباه تلامذته الذين صرخوا بدورهم، نراك تستغيث بالربّ الذي تدرّسنا وتدرّبنا علىٰ إنكاره منذ عشرات السنين! ثمّ كان ذلك سبباً لإعادة نظره في عقيدته الأُولىٰ والرجوع إليها لمّا رأى الإنسان يرجع إلى الله وحده وقت الضيق والخطر الذي لا يدفع...

فطول عمره ثابت بتواتر النقل، لا يأباه واقع ولا عقل حصيف، وكأنّه ـ في واقع الحال ـ فتنة قدّرها الله لنا كما قدّر غيرها من الفتن التي امتحن بها امتثال الأُمم الغابرة لأوامر رسله إليهم وأُمناء وحيه عليهم. فلا امتناع في تطويل عمره، بدليل تصافي أهل الأديان السماوية علىٰ بقاء عيسىٰ والخضر عليهما السلام حيّين... ولماذا لا نرضىٰ حلاً لمثل هذه العقدة لوليّ من أولياء الله المخلصين ونرتضيها لغيره من المخلوقين...

ثمّ في الناحية الحياتية (البيولوجية) يقول: إنّ علماء الحياة والأطباء المعاصرين قد توصّلوا إلىٰ أنّ كلّ الأنسجة الرئيسية في جسم الكائن الحيّ قابلة للاستمرار إلىٰ ما لا نهاية له إذا لم يعرض لها ما يقطع حياتها... وقد أصبح من المقرّر عندهم أنّه لا مانع للإنسان من حياة طويلة إذا تيسّرت له جميع الظروف المناسبة. بل لقد قرّروا أنّ الأجزاء الأوّلية للأنسجة يمكن أن تبقىٰ حيّة نامية ما دام يتوفّر لها

الغذاء اللازم والمناخ الملائم، وما دامت في منأىً عن العوارض الخارجيّة المعيقة للنموّ والحياة، فليس بعجيب أن يطول عمر بعض الناس إذا توفّرت الظروف الصالحة ... العجب كلّ العجب كيف يموت الحيّ الذي خلاياه قابلة للاستمرار في الحياة إلىٰ ما لا نهاية له ؟ وما من أحدٍ منهم ينكر أنّ في مقدور الإنسان العادي أن يتوصّل إلىٰ إطالة العمر، كما قد توصّل إلىٰ تقليل نسبة الوفيات في الأطفال في سائر مناطق الدنيا ...

وفي الناحية الطبيعية (المصادفة) يتحدّث عن الصدفة ثمّ يقول : فكون المهدي عليه السلام مولوداً ليس من المستحيل، وكونه موجوداً ليس من المستحيل، وكونه غائباً عن الأعين بالمعنى الذي بيّناه ليس من المستحيل أيضاً، وكونه طويل العمر ليس من المستحيل ولا من غير الممكن ولا ممّا يستعصي علىٰ مُطيل الأعمار : ربّاً كان أو محاولة إنسانية فريدة من نوعها، أو مصادفة بلهاء !

فعلىٰ صعيد العقائد السماوية، يرىٰ جميع المعترضين بالعقيدة المهدوية وبالبعث والحساب والثواب والعقاب، أنّ أهل الجنّة لا يهرمون ولا يموتون، وهم فيها مخلّدون ... ومثلهم أهل النار ... فمن الميسور علىٰ مخلّدهم أن يمدّ في عمر أوليائه في دار الدنيا مدّاً مؤقّتاً لا تخليداً ... وعلىٰ صعيد العلم والفهم، سيخرج قائم أهل البيت عليهم السلام قريباً ـ كما نستنتج من العلامات ـ فيقتنع الناس بالمحسوس والملموس، حين يجيل سيفه في رؤوس ركبها الانحراف عن أمر الله ... فهو مرصود لمثل هذه الحالة بالذات، لا لجزّ رقاب المؤمنين ولا لحرب الصالحين، بل له يوم موعود مظفّر ... وسيخرج حين يؤذن له كما وصفه إمامنا الحسن بن علي عليه السلام حين قال للمتعجّبين من طول عمره : لو قام المهدي لأنكره الناس، لأنّه يرجع إليهم شاباً وهم يحسبونه شيخاً كبيراً، وكما قال الصادق عليه السلام أيضاً : أما إنّه لو قد قام لقال

الناس : أنّىٰ يكون هذا وقد بليت عظامه منذ دهر طويل ؟ ! (من كذا وكذا) .

نعم سيخرج ... فانتظروا ، إنّي معكم من المنتظرين ... وتعجّبوا من قصر أعماركم في هذا العصر ، لا من طول أعمار غيركم في سالف الزمان ...

الدليل الخامس : الإيمان بالغائبين

لقد نؤمن بوجود أشخاص بالقطع واليقين ، مع أنّه لم نرهم أصلاً ، فإنّا نؤمن بالأنبياء كموسىٰ وعيسىٰ وإبراهيم الخليل ونوح وآدم ومحمد خاتم النبيين عليهم السلام ، كما نؤمن بحكماء وعلماء كأرسطو وأفلاطون وسقراط وباستور ، مع أنّه أخبرنا بذلك أنفار معدودين من المؤرّخين الأوائل .

ووجود صاحب الزمان المهدي المنتظر من آل محمد عليهم السلام قد أخبرنا به أكثر من خمسمائة محدّث ومؤرّخ من أهل العلم والحديث والتقىٰ والفضيلة .

وهذا لا ينحصر بالشيعة وحسب ، بل كلّ المسلمين والمذاهب الإسلامية وفقهاء الإسلام وأعلامها ، يعتقدون بوجوده المقدّس ويذكرون أوصافه وسيرته ، وأنّه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً .

الدليل السادس : النظرة الجديدة

وهو المقصود بيانه في هذه العجالة كنظرة جديدة في طول العمر لإمام الزمان عليه السلام ، وهي تتمّ بالمعرفة النوريّة ، المتميّز بها الراسخون في العلم ، فمن كان ضعيف الإيمان قليل العلم والمعرفة ، فإنّه بطبيعة الحال سرعان ما ينكرها ، فإنّ

الناس أعداء ما جهلوا، فربما ـ من باب العزّة بالإثم ـ يرمي قائلها بسهمٍ عارية عن الحقيقة والواقع فيحاسب عليها يوم القيامة.

فهذه النظرة الجديدة انقدحت في الذهن بلطف من الله سبحانه من خلال الروايات الشريفة، فممّا رواه ابن مسعود[1] قال: دخلت يوماً علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله، عليك السلام، أرني الحقّ لأنظر إليه، فقال: يا عبد الله، لج المخدع، فولجت المخدع وعلي بن أبي طالب عليه السلام يصلّي وهو يقول في سجوده وركوعه: (اللهمّ بحقّ محمد عبدك اغفر للخاطئين من شيعتي) فخرجت حتّى اجتزت برسول الله صلى الله عليه وآله فرأيته يصلّي وهو يقول: (اللهمّ بحقّ عليّ عبدك اغفر للخاطئين من أُمّتي) قال: فأخذني من ذلك الهلع العظيم، فأوجز النبيّ صلى الله عليه وآله في صلاته وقال: يا ابن مسعود، أكفرٌ بعد الايمان؟ فقلت: حاشا وكلّا يا رسول الله، ولكن رأيت علياً يسأل الله بك ورأيتك تسأل الله بعليّ، فلا أعلم أيّكما أفضل عند الله عزّ وجلّ؟ قال: اجلس يا ابن مسعود، فجلست بين يديه فقال لي:

اعلم أنّ الله خلقني وعلياً من نور قدرته قبل أن يخلق الخلق بألفي عام إذ لا تسبيح ولا تقديس، ففتق نوري فخلق منه السماوات والأرضين، وأنا والله أجلّ من السماوات والأرضين، وفتق نور علي بن أبي طالب فخلق منه العرش والكرسي، وعلي بن أبي طالب والله أفضل من العرش والكرسي، وفتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم، والحسن والله أفضل من اللوح والقلم، وفتق نور الحسين فخلق منه الجنان والحور العين، والحسين والله أفضل من الحور العين، ثمّ اظلمّت المشارق والمغارب فشكت الملائكة إلى الله تعالىٰ أن يكشف عنهم تلك الظلمة، فتكلّم الله

---

(١) بحار الأنوار ٤٠: ٤٣، عن كتاب الفضائل: ١٣٥، وروضة الكافي: ١٨.

جلّ جلاله كلمة فخلق منها روحاً، ثمّ تكلّم بكلمة فخلق من تلك الكلمة نوراً، فأضاف النور إلىٰ تلك الروح وأقامها مقام العرش، فزهرت المشارق والمغارب فهي فاطمة الزهراء، ولذلك سمّيت الزهراء لأنّ نورها زهرت به السماوات.

يا ابن مسعود، إذا كان يوم القيامة يقول الله جلّ جلاله لي ولعلي: أدخلا الجنّة من شئتما وأدخلا النار من شئتما، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[1]، فالكافر من جحد نبوّتي والعنيد من جحد بولاية عليّ بن أبي طالب وعترته، والجنّة لشيعته ولمحبّيه[2].

ولنا مثل هذه الرواية الشريفة في المعرفة النورية العشرات، فإنّها تجاوزت الاستفاضة، وكادت أن تكون من المتواترات، بل بلغت التواتر الإجمالي إن لم يكن من اللفظي والمعنوي. فلا يمكن للمنصف إنكارها وجحودها، وإنّها واضحة الدلالة، رفيعة المعاني، سامية المعارف، عالية السند والإسناد، تجبر بعضها بعضاً، وتفسّر أُخرىٰ بأُخرىٰ، كما يفسّر القرآن بعضه بعضاً، فتدبّر واغتنم حياتك في المعارف النورية الشامخة التي ترفع درجاتك في الجنان ويوم يقوم الأشهاد.

هذا والمعرفة كلّي ذات تشكيك لها مراتب طولية وعرضية كالنور والوجود، وأنّها تارة تكون جلالية بتميّز الشيء عن غيره في أبعاده الثلاثة ـ الطول والعرض والعمق ـ وفي شكله الهندسي والظاهري، فتكون معرفة حسّية كمعرفتنا بالنار، فهي معرفة نارية ظاهرية وملكيّة، وربما تكون معرفة نوريّة وجمالية وملكوتية، وهي

---

(١) ق: ٢٤.

(٢) هذه النظرة الجديدة ألقيتها محاضرة إسلامية علىٰ جمع من فضلاء وطلبة العلوم الدينية من اللبنانيين للمناقشة في شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٧، وفي سنة ١٤١٨ في حشدٍ يزيد علىٰ ألف نفر في مسجد الإمام الرضا عليه السلام بقم المقدّسة.

معرفة باطنية وجوهرية، يقف الإنسان بها علىٰ باطن الشيء، ويعرفه كما هـو في ملكوته، ويصل إلىٰ عمقه وهدفه، والجامع بين المعرفتين هي المعرفة الكمالية التي يقف الإنسان بها علىٰ غاية الشيء ونهايته، وربما منشأ المعرفة الجلالية هي الصفات السلبية، ومنشأ ومرجع المعرفة الجمالية هي الصفات الثبوتية.

ثمّ نستخلص من الحديث الشريف ـ ما رواه ابن مسعود ـ بمعرفة نـورية وجماليّة بتعمّق وتدبّر: أنّ خلق الإمام المطلق ـ أعمّ من النـبيّ أو الوصيّ ـ ومـنه الإمام المهدي عليه السلام قد كان قبل خلق السماوات والأرض، وقبل الكواكب والمجرّات والأفلاك.

ثمّ الزمان إنّما هو وليد حركة الأفلاك والمنظومة الشمسية، فإنّ اليـوم مـن الليل والنهار إنّما هو من حركة الأرض الوضعيّة حول نفسها، ومن اليـوم تـتولّد الساعات ومنها الدقائق. والسنة والفصول الأربعة إنّما هـي مـن حـركة الأرض الانتقالية في دورانها حول الشمس، وقد عُرف الزمان عند الحكماء بأنّه: «مقدار متّصل غير قارّ عارض للحركة»[1].

---

(١) نهاية الحكمة: ٢١٤، الفصل الحادي عشر في الزمان، وفي الأسفار ٣: ١١٥ يبحث المصنّف عن الزمان بحثاً مفصّلاً في فصول عديدة، ففي الفصل ٣٠ في إثبات حقيقة الزمان وأنّه بهويّته الاتّصاليّة الكمّية مقدار الحركات وبما يعرض له من الانقسام الدهمي عددها، يقول:

أمّا إثبات وجود الزمان وحقيقته فالهادي لنا علىٰ طريقة الطبيعيّين: مشاهدة اخـتلاف الحركات في المقطوع من المسافة مع اتّفاقها في الأخذ والترك تارة ثمّ اتّفاقها في المقطوع من المسافة واختلافها فيها أو في أحدهما تارةً أُخرى، فحصل لنا العـلم بأنّ في الوجـود كـوناً مقداريّاً فيه إمكان وقوع الحركات المختلفة أو المتّفقة علىٰ مقدار الأجسام ونهايتها لأنّه غير قارّ وهذه قارّة فهو مقدار لأمر غير قارّ وهو الحركة وشرح ذلك موكول إلىٰ علم الطبيعة، وأمّا

علىٰ طريقة الإلهيّين فلأنّ كلّ حادث هو بعد شيء له قبليّة عليه لا يجامع به البعيديّة، لا كقبليّة الواحد على الاثنين لأنّه يجوز فيها الاجتماع، ولا كقبليّة الأب على الابن أو ذات الفاعل ممّا يجوز أن يكون قبل ومع وبعده ولا العدم إذ قد يتحقّق للشيء عدم لاحق بل قبليّة قبل يستحيل أن يجامع مع البعد لذاته، ثمّ ما من قبليّة الأوّلين القبل بهذه القبليّة وبين الذي هو البعد يتصوّر قبليّات وبعديّات غير واقعة عند حدّ، ومثل هذا الذي هو ملاك هذا التقدّم والتأخّر فيه تجدّد قبليّات وبعديّات وتصرّم الحركات في المسافات الممتنعة الانقسام إلىٰ ما لا ينقسم أصلاً فهو لقبوله الانقسام والزيادة والنقصان كم، ولكونه متّصلاً فهو كمّية متّصلة غير قارّة أو ذو كمّية متّصلة غير قارّة، وعلى التقديرين فإمّا جوهر أو عرض، فإن كان جوهراً فلاشتماله على الحدوث التجدّدي لا يمكن أن يكون مفارقاً تجدّده عدم قراره ـ إلىٰ آخر ما يقول فراجع ـ.

وفي فصل ٣٢ يثبت في أنّه لا يتقدّم علىٰ ذات الزمان والحركة شيء إلّا الباري عزّ مجده: لما علمت أنّ الزمان وما يقترنه ويحتفّ به أُمور تدريجيّة وأكوان متجدّدة الحصولات، فكلّ ما يتقدّم على الزمان سواء كان وجوداً أو عدماً أو غيرهما أي تقدّماً لا يجامع بحسبه القبل للبعد يكون زماناً أو ذا زمان، فيكون قبل كلّ زمان زمان وقبل كلّ حركة حركة، وقد ثبت أيضاً فيما مرّ أنّ علّة الشيء لا بدّ وأن تكون غير متعلّقة الذات والوجود بذلك الشيء فلا يتقدّم على الزمان إلّا الباري وقدرته وأمره المعبّر عنه تارةً بالعلم التفصيلي وتارةً بالصفات عند قوم وأُخرىٰ بالملائكة عند آخرين وبالصور الإلهيّة عند الأفلاطونيّين، وللناس فيما يعشقون مذاهب...

أقول: وبنظرتنا الجديدة ـ كما يستفاد من الروايات الشريفة ـ نعبّر عن أمر الله بالإمام المعصوم، بالمعنى الأعمّ الذي يشمل النبيّ وأوصيائه المعصومين عليهم السلام، فتدبّر.

ثمّ المصنّف ـ في الصفحة ١٤١ ـ تحت عنوان تعقيب وإحصاء يذكر اختلاف الحكماء في

ثمّ الزمان بالمعنى الأعمّ له مؤثّرات وآثار، كما أنّ للشمس والقمر آثاراً، فإنّ الظلّ إنّما يكون من أشعّة الشمس ونورها، كما أنّ تكامل الإنسان في خلقه الطبيعي ومروره بمراحل طبيعيّة من انعقاد ونطفته وولادته وصباوته ومراهقته وشبابه وكهولته وشيخوخته وعجزه وموته، إنّما هو من آثار الزمان ومضيّ السنين والأيام. فإنّ مرور الزمن يوجب وهن العظام واشتعال الرأس شيباً.

﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلونَ ﴾[1].

مفهوم الزمان فيقول: ذكر الشيخ في الشفاء: إنّ من الناس من نفىٰ وجود الزمان مطلقاً، ومنهم من أثبت له وجوداً إلّا علىٰ أنّه في الأعيان بوجه من الوجوه بل علىٰ أنّه أمر متوهّم، ومنهم من جعل له وجوداً لا علىٰ أنّه أمر واحد في نفسه بل علىٰ أنّه نسبة ما علىٰ جهةٍ مّا، لأُمور أيّها كانت إلىٰ أُمور أُخرىٰ أيّها كانت تلك أوقات لهذه فتخيّل أنّ الزمان مجموع أوقات والوقت عرض حادث يعرض مع وجود عرض آخر أي عرض كان فهو وقت لذلك الآخر كطلوع الشمس وحضور إنسان. ومنهم من وضع له وجوداً وحدانيّاً علىٰ أنّه جوهر قائم مفارق للجسمانيّات بذاته. ومنهم من جعله جوهراً جسمانيّاً هو نفس الفلك الأقصىٰ، ومنهم من عدّه عرضاً فجعله نفس الحركة، ومنهم من جعل حركة الفلك زماناً دون سائر الحركات. ومنهم من جعل عودة الفلك زماناً أي دورة واحدة، فهذه هي المذاهب المسلوكة في الأعصار السابقة في ماهيّة الزمان التي أحصاها في الطبيعيّات، وذهب أبو البركات البغدادي إلىٰ أنّ الزمان مقدار الوجود، والأشاعرة من المتكلّمين انتحلوا ثالث تلك المذاهب، ومن الذاهبين إلى الرابع من تخيّل للزمان وجوداً مفارقاً علىٰ أنّه واجب الوجود بذاته، وإليه ذهب جمع من متقدّمة الفلاسفة.

ثمّ يذكر المصنّف قول أفلاطون وأرسطو وصاحب المباحث المشرفية وبعض المناقشات، فراجع.

(١) يس: ٦٨.

فالناس يتحكّم فيهم عوامل الزمان والمكان، فيكون لهم ظلٌّ، كما يصابون بالشيخوخة والعجز ومن ثمّ بالموت. فالشمس والقمر والزمان والمكان يؤثّران في الناس، كما يبليان الجديد، ويفنيان الأجسام والأجساد، وإن كانت الروح باقية ومتعالية.

ثمّ بعد بيان هذه المفردات والتسليم بها: بأنّ خلق العالم كان قبل السماوات والأرض وقبل الشمس والقمر، وإنّ الزمان من حركة الأفلاك والمنظومة الشمسية.

نقول بمعرفة جمالية كمالية، ومن المعرفة النورية:

إنّ وليّ الله الأعظم وصاحب الزمان وإمامه هو الحاكم على الزمان والمكان وما فيهما، فهو أمام الكلّ وإمام الكلّ، وإنّه العلّة في الخلق (لولاك لما خلقت الأفلاك) فالإمام لا يتأثّر بمقتضيات الزمان والمكان وآثارهما في خلقهم النوري والجانب الملكوتي، وإن كان في جانبهم الناسوتي والبشري ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾[1] له ما للناس، ولكن مع هذا له بإذن ربّه حقّ الولاية الكبرىٰ على الكون الرحب وما فيه، فهو إمام الزمان بنحو (علىٰ) الاستعلائية وإن كان الظاهر بنحو (في) الظرفية.

فالإمام كما كان خلقه قبل الزمان فإنّه لا يتأثّر بمستلزماته، بل هو الحاكم المطلق بأمر من الله سبحانه عليه.

وربما من هذا المنطلق ورد في خصائص النبيّ والوصيّ أن لا ظلّ لهما، فلم يتحكّما بآثار الشمس والقمر، كما أنّ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله شقّ القمر إلىٰ نصفين،

(١) الكهف: ١١٠، فصّلت: ٦.

كما في القرآن الكريم، كما أنّ أمير المؤمنين علي عليه السلام يردّ الشمس ليصلّي في وقتها، وأنّه ورد في الخبر الشريف «ما منّا إلّا مسموم أو مقتول»، فلولا الشهادة بالسمّ والاستماتة بالقتل، لكان كلّ واحد من الأئمة الأطهار عليهم السلام بإمكانه أن يعيش في طول الزمان لحكومته وسلطنته عليه، بإذن ربّه ولتقدّم خلقه، وإنّ العلّة لا تتأثّر بأحكام المعلول، كما هو واضح وثابت في الحكمة المتعالية. فالمعلول إنّما يتأثّر بأحكام علّته.

فإمام الزمان ـ بالمعرفة النوريّة ـ يعني حكومته وإمامته على الزمان، فلا يتأثّر بمقتضياته، ومنها الهرم والشيخوخة، بل يطول عمره بطول الزمان (فهو إمام الزمان ـ بكسر همزة الإمام بمعنى الحاكم على الزمان وليس المحكوم به، وبفتح الهمزة بمعنى التقدّم عليه كما في خلقته النوريّة).

نعم لو أراد الموت وتعلّقت مشيّته أن يفني جسده أو تفصل أعضاءه، فإنّه يتأثّر بالعامل الزماني، وإنّ ملك الموت يستأذنه في قبض روحه، لتعلّق إرادته بذلك.

وهذا يعني حاكمية الإمام عليه السلام على الزمان أيضاً، وبهذه النظرة الجديدة في معرفة إمام الزمان عليه السلام يستكشف حقيقة كثير من المعاجز النبوية والولوية، ويسهل قبولها وهضمها.

ومن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية الأُولى الجهلاء، التي كان الناس أيامها يقتلون أبناءهم خشية إملاق ويؤدون بناتهم، ويصنعون من التمر ربّاً وصنماً يعبدونه، وإذا جاعوا أكلوا ربّهم.

ومعرفة إمام زمانك تارة بالمعرفة الجلالية بأنّه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام وأُمّه السيّدة نرجس عليها السلام وإنّه ولد سنة (٢٦٦) من الهجرة النبويّة

الشريفة، وأنّه غاب عن الأبصار خوفاً من الطغاة، وأنّـه سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وغير ذلك من كراماته وفضائله وسيرته، وأنّه القائم المنتظر عليه السلام، قد نابه في غيبته الصغرىٰ أربعة أنفار بنيابة خاصّة، وأمّا في زمن الغيبة الكبرىٰ بأمر منه عليه السلام في نيابة عامّة نرجع إلى الفقيه الجامع للشرائط، وغير ذلك من المعرفة الظاهرية، وإنّها من بوادي المعرفة.

وتارة نعرفه بالمعرفة الجمالية النورية، بأنّه إمام الزمان والحاكم عليه، وأنّ الزمان معلوله يتأثّر به وتحت حكومته المطلقة وأمره المطاع، فلا يتأثّر بالعوامل الزمنيّة، ومن ثمّ يبقىٰ متىٰ ما أراد البقاء، وشاءت مشيّته بإرادة الله وإذنه.

كما أنّه بمشيّته وقدرته أن يوقف سنّه في حدّ خاصّ ومرحلة خاصّة، كما لو أراد أن يبقىٰ في مظهر الرجل الأربعين ـ كما ورد في الخبر الشريف أنّـه يظهر بسنّ الأربعين ـ أي بمظهر الرجل الكامل، ولا عجب فإنّه الحاكم على الزمان وإمامه وأمامه، وأنّ له نظير في أعضاء البدن، فإن شعر الرأس لولا الحلق أو التقصير فإنّه يطول وإلىٰ أمتار كما فعل ذلك بعض المرتاضين من الهند، بخلاف شعر الحاجب فإنّه يقف في حدّ خاصّ، ولو مرّت عليه السنين الطويلة.

فصاحب الزمان عليه السلام حجّة الله الأعظم، شاء الله له أن تعلّقت إرادته أن يبقىٰ بمظهر الأربعين، فلا مانع من ذلك عقلاً ونقلاً، فيتمّ البرهان الساطع بعد تحقّق المقتضي، وبذلك تمّت كلمة ربّك الحسنىٰ، ولله الحجّة البالغة.

زبدة الكلام

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية» خبر نبوي شريف متواتر معنىً عند الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ والمعرفة كلّي مشكّك لها مراتب طولية وعرضية، أدناها المعرفة الظاهرية والجلالية وأعلاها المعرفة الجمالية الباطنيّة، ثمّ الكمالية، والإنسان تارة ينسب إلىٰ كلّ الزمان، كما أنّ الزمان بالمعنى الأعمّ يضاف إليه، وأُخرىٰ يقصد من زمانه خصوص الزمان الذي يعيش فيه، وإمام الزمان تارة يعني إمام كلّ الزمن والمتقدّم والحاكم عليه، كما أنّ المقصود من الزمان هو الوقت والمعنى الحقيقي للزمان وأُخرىٰ يقصد منه ـ تجوّزاً ـ الحوادث الاجتماعية والسياسية وما شابه ذلك كما يقال المؤمن عارف بزمانه، أي بأهل زمانه بحذف المضاف، فإمام الزمان بمعنى الإمام الذي يختصّ بزمانه وأنّه المسؤول الأوّل الذي يرجع إليه في أُمور الدين والدنيا، علىٰ أنّ الإمامة رئاسة عامّة في الدين والدنيا بنصّ الله ورسوله المختار صلى الله عليه وآله، وبهذا تختلف وتتفاوت معرفة إمام الزمان عليه السلام كما أنّ الزمان ينقسم إلىٰ أوّل وآخر، وآخر الزمان ـ في مصطلح الحديث ـ يعني من يوم بعثة النبي المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وإلىٰ ظهور صاحب الأمر والزمان عليه السلام وإلىٰ قيام الساعة وأشراطها واقترابها، فإنّ الرسول الأعظم محمّد هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وإنّه نبيّ آخر الزمان.





سلسلة الدروس الثقافية

معزُّ الأولياء





جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام

هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠

ص.ب. ٢٤/٥٣ . ٢٥/٣٢٧

الكتاب :معزّ الأولياء

إعداد :مركز نون للتأليف و الترجمة

نشر : جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

الطبعة الاولى آب 2009م - 1430هـ

الدرس السابع

طول عمر الإمام عجّل الله فرجه الشريف

تمهيد

هنـاك العديد من الروايات التي ذكرناها سابقـاً تحدَّثت عن طول غيبة الإمام المهديِّ عجّل الله فرجه الشريف، حتى يصل إلى مستوى يُشكِّك الكثير من الناس في أصل وجوده أو في بقائه حيَّاً طوال هذه المدّة.

وبعمليّـة حسابيّة بسيطـة، إذا لاحظنا تاريخ ولادة الإمـام المهديِّ عجّل الله فرجه الشريف في عام ٢٥٥ هجـريّ، نجد أنَّـه عاش حتَّى الآن أكثـر من ألف ومائة وخمسيـن عاماً، فهل يمكن أن يطول عمر إنسان إلى هذا الحدّ؟

طول العمر أمر ممكن

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[١] فما دمنا نتكلم عن أنَّ الله تعالـى أراد للإمام الحجّة عجّل الله فرجه الشريف أن يغيب هـذه الفترة الطويلة كلَّها فلا مجال للـكلام عن عـدم إمكانيَّة ذلك أو استحالته، بل الله قـادر على ما يريد. وعنه عجّل الله فرجه الشريف: «**وأمَّا ظهور الفرج فإنَّه إلى الله**»[٢].

(١) يس: ٨٢

(٢) الشيخ الطوسي، الغيبة، ص ٢٩١

نماذج من التاريخ

إنَّ التساؤل عن إمكانيَّة أن يطول عمر الإنسان إلى هذا الحدِّ، والتشكيك بذلك، يمكن أنْ يشعر الإنسان أنَّ طول عمر الإمام هو نموذج أوحد لا مثيل له في التاريخ، وحيث أنَّه لا مثيل لـه يمكن أنْ يحدث نوعاً من الصدمـة أو التشكيك عند ضعاف النفوس، ولكن من المستغرب أنَّ التشكيك يحصل رغم وجود الكثير من النماذج الأكيدة لأشخاص كانت أعمارهم طويلة جداً، وردت في نصوص قرآنية أو في روايات مسلّمة، وسنذكر فيما يلي نموذجين:

نوح عليه السلام

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[١]، فهذه السنين الطويلة من عمر نبيِّ الله نوح عليه السلام «ألف سنة إلّا خمسين عاماً»، هي جزء من عمره قضاها بعد أن أرسله الله تعالى لقومه إلى أن حصل الطوفان، وليس تمام عمره.

فإذا كان نبيُّ الله نوح تستوجب ظروفه أن يحيا هذا العمر كلّه، أفلا يستحقُّ تحقيق الوعد الإلهيّ بالنصر النهائيِّ، وتحقيق العدالة على الأرض، وغلبة جند الله، ورفعة دينه... كل ذلك ألا يستوجب المدَّ في عمر صاحب الزمان ليحقِّق هذا المشروع العظيم على يديه؟!

الخضر عليه السلام

من المعروف أنَّ الخضر عليه السلام من المعمِّرين، وأنَّ عمره تطاول لآلاف السنين، وفي رواية عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قال: «**إنَّ الخضر عليه السلام شرب من ماء الحياة فهو حيٌّ لا يموت حتَّى ينفخ في الصُّور، وإنَّه ليأتينا فَيُسَلِّمْ عليّنا، فَيُسْمَعُ صوته ولا يُرى شخصُه، وإنَّه ليحضر حيث ما ذكر، فمن ذكره منكم**

---

(١) العنكبوت: ١٤

فليُسَلِّمْ عليه، وإنَّه ليحضر الموسم كل سنة، فيقضي جميع المناسك ويقف بعرفة، فيُؤَمِّن على دعاء المؤمنين وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته ويصل به وحدته»[1].

فالخضر عليه السلام لا زال حيَّاً حتَّى الآن وبالتالي فعمره حتَّى الآن أضعاف عمر الإمام المهديِّ عجل الله فرجه. وسيبقى حيَّاً حتَّى ينفخ في الصُّور. وتنقل لنا النصوص الشرعيَّة أحداثاً حصلت مع الخضر عليه السلام خلال هذه السنين المتطاولة، كالقصّة التي ينقلها القرآن الكريم عند لقائه لنبيِّ الله موسى عليه السلام، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[2] وكذلك ورد في الرواية عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: «**لَمَّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء الخضر عليه السلام فوقف على باب البيت وفيه عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله قد سُجِّيَ بثوبه فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمَّد ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[3]، إنَّ في الله خلفاً من كلِّ هالك، وعزاءً من كلِّ مصيبة، ودركاً من كلِّ فائت، فتوكَّلوا عليه، وثقوا به، و أستغفر الله لي ولكم. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هذا أخي الخضر عليه السلام جاء يعزِّيكم بنبيِّكم صلى الله عليه وآله وسلم**»[4].

وتشير الروايات إلى وجود الارتباط الوثيق بين طول عمر الخضر عليه السلام وعمر الإمام المهديِّ عجل الله فرجه، فعن الإمام جعفر بن محمَّد الصادق عليه السلام أنه قال: «**وأمَّا العبد الصالح الخضر، فإنَّ الله تبارك وتعالى ما طوَّل عمره لنبوَّة قدَّرها له، ولا لكتاب ينزله عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء، ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بلى، إنّ الله تبارك وتعالى لمَّا كان**

---

(١) الميرزا محمَّد تقي الأصفهاني، مكيال المكارم، ج ١، ص ١٧١

(٢) الكهف: ٦٥- ٦٦

(٣) آل عمران: ١٨٥

(٤) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٣٩١

في سابق علمه أن يقدِّر من عمر القائم ما يقدِّر من عمر الخضر وما قدَّر في أيّام غيبته ما قدَّر وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول، طوَّل عمر العبد الصالح من غير سبب يوجب ذلك إلّا لعلَّة الاستدلال به على عمر القائم عجّل الله فرجه الشريف، وليقطع بذلك حجَّة المعاندين لئلّا يكون للناس على الله حجَّة»[1].

النتيجة

إنَّ الإيمان بمقام الإمامة وكون الإمام مسدَّداً من قبل الله تعالى يؤدِّي دوره الاستثنائيّ الذي أراده الله تعالى له، الإيمان بذلك لا يجتمع مع التشكيك به بسبب طول العمر أو غيرها من الأمور التي تعتبر عاديَّة بالنسبة للقدرة الإلهيَّة، والسنن التاريخيَّة. والتشكيك ينطلق من الاختلاف في موضوع الإمامة وعدم إيمان شريحة من الناس به. وأمَّا من يتَّبع منهج الإمامة فإنَّه سيجد نفسه في قضية الإمام المهديِّ وطول عمره منسجماً تماماً مع عقيدته وطموحاته وآماله والوعود القرآنيّة التي ينتظر تحقّقها...



خلاصة الدرس

إذا لاحظنا تاريخ ولادة الإمام المهديِّ عجّل الله فرجه الشريف في عام ٢٥٥ هجري، نجد أنَّه عاش حتى الآن أكثر من ألف ومائة وخمسين عاماً، فهل يمكن أنْ يطول عمر إنسان إلى هذا الحدّ؟

يقول تعالى: ﴿إنَّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾[2] فمع إرادة الله تعالى

(١) الميرزا محمَّد تقي الأصفهاني، مكيال المكارم، ج ١، ص ١٧١

(٢) يس:٨٢

لا مجال للكلام عن عدم إمكانيَّة ذلك أو استحالته، بل الله قادر على ما يريد.

وهنــاك نماذج عديدة في التاريخ لأشخاص عَمَّــروا عمراً طويلاً منهم نبيّ الله نوح عليه السلام الذي أخبر القرآن ا لكريم عن مكثه ﴿ألف سـنة إلّا خمسين عاماً﴾، وهذا ج من عمره وليس تمام عمره.

ومــن المُعَمِّرين الخضر عليه السلام فإنَّ عمــره تطاول لآلاف السنيــن، وسيبقى حيّاً إلــى أن يُنفخَ في الصُّور، وتشير الروايات إلى وجود الارتباط الوثيق بين طول عمر الخضــر عليه السلام وعمــر الإمام المهــديّ عجل الله فرجه، وأنَّ طول عمــر الخضر عليه السلام لم يكن لسبب يوجب ذلك إلّا لعلَّة الاستدلال به على عمر القائم عليه السلام

ومن يتَّبع منهج الإمامة سيجد نفسه في قضيَّة الإمام المهديّ وطول عمره منسجماً تماماً مع عقيدته وطموحاته وآماله والوعود القرآنية التي ينتظر تحقّقها...



عــن الإمــام جعفر بــن محمَّد الصــادق عليه السلام أنّه قــال: «**وأمَّــا العبــد الصالح الخضــر، فــإنَّ الله تبارك وتعالى ما طوَّل عمره لنبوَّة قدَّرها له، ولا لكتاب ينزله عليــه، ولا لشريعــة ينسـخ بها شريعة من كان قبله مــن الأنبياء، ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بلى، إنَّ الله تبارك وتعالى لمَّا كان في سابــق علمــه أنْ يقدِّر من عمــر القائم ما يقدِّر من عمر الخضر وما قدَّر في أيّام غيبته ما قدَّر وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول، طوَّل عمــر العبــد الصالح من غيــر سبب يوجب ذلك إلّا لعلَّــة الاستدلال به على عمر القائم عجل الله فرجه، وليقطع بذلك حجَّة المعاندين لئلا يكون للناس على الله حجَّة**».

في ذكرى آخر الخلفاء والحجج الإلهية

مقتبس من كتاب

مقدمة في أصول الدين

تأليف

سماحة آية الله العظمى الوحيد الخراساني دام ظله العالي

الوصول الى كلمة الله التامة لا يمكن الا بالوصول الى نهاية الصدق الذى هو منتهى الحكمة النظرية،والى نهاية العدل الذى هو منتهى الحكمة العملية، فهو الذى وصل الى نهايه الصدق والعدل.

ونكتفى من أوصافه ومناقبه التى تزيد على الماة والثمانين المستفادة من الروايات والادعية والزيارات بما ذكرناه.

طول عمر الإمام المهدي عليه السلام

ممّا قد يوجب الشبهة في ذهن البسطاء والسطحيّين طول عمر الإمام المهدي عليه السلام ، فينبغي أن يعلم أنّ طول عمر الإنسان حتّى إلى ألوف السنين ليس بمحال عقلاً ولا عادةً ، لأنّ المحال العقلي ما ينتهي إلى اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما ،كأن نقول كلّ شيء إمّا موجود أو غير موجود ، وكلّ عدد إمّا فرد أو زوج ، واجتماع هذين أو ارتفاعهما محال .

أمّا المحال العادي فهو ما كان بنظر العقل ممكناً ،

لكنّه مخالف لقوانين الطبيعة ، كأن يقع الإنسان في النار ولا يحترق ، وأما حياة الإنسان قروناً عديدة ، وبقاء خلاياه شابّة بكامل نشاطها ، فليس من القسم الأوّل ولا الثاني ، فإذا كان عمر إنسان كنوح (على نبيّنا وآله وعليه السلام) تسعمائة وخمسين سنة أو أكثر ، كان الزائد عليه أيضاً ممكناً ، ولهذا ما زال العلماء يبحثون عن سرّ بقاء خلايا الإنسان شابّة نشيطة .

كما أنه قد ثبت بالقواعد العلمية الحديثة إمكان المحافظة على سلامة المواد المعدنية من التحلّل والزوال عن طريق التصرّف في أجزائها وتركيباتها ، فمادّة الحديد ـ مثلاً ـ التي يفسدها الصدأ وغيره، يمكن تبديلها إلى ذهب خالص لا يعرضه أيّ خراب وفساد .

وعليه فإنّ طول عمر الإنسان أمرٌ ممكن عقلاً وعلماً وإن لم يكتشفوا إلى اليوم سرّ ذلك .

هذا مضافاً إلى أنّ الاعتقاد بالإمام المهديّ عليه السلام وطول عمره إنّما هو بعد الاعتقاد بالقدرة المطلقة لله

تعالى، والإعتقاد بنبوّة الأنبياء عليهم السلام وتحقّق المعجزات على أيديهم.

إنّ القدرة التي جعلت النار على إبراهيم برداً وسلاماً، وأبطلت سحر السحرة بعصا موسى، وأحيت الأموات بنَفَس عيسى، وأبقت أهل الكهف قروناً أحياءً نياماً بلا ماءٍ ولا غذاء.. من الهيّن عليها إبقاء إنسان ألوف السنين حيّاً يرزق ويعيش بنشاط الشباب، من أجل هدف إبقاء الحجّة لله في أرضه، ونفاذ مشيئته في غلبة الحقّ على الباطل ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[1].

وليس بعيداً عن زماننا يوم انهدم قبر الشيخ الصدوق رحمه الله فوجدوا جثته في قبره غضّةً طرية، ورأوا أنّ العوامل الطبيعية لتحلّل الجسد قد توقّف عملها في بدنه الشريف!

فإذا كانت قوانين الطبيعة تخضع للاستثناء في حقّ

---

(١) سورة يس: ٨٢.

الإمام الثاني عشر الحجّة بن الحسن المهديّ عليه السلام / ٤٧

شخص ولد بدعاء الإمام المهدي عليه السلام ، وألّف كتاباً مثل كمال الدين باسمه ، فلا تعجب أن تخضع هذه القوانين للإستثناء في حقّ خليفة الله تعالى في أرضه ، ووارث جميع أنبيائه وأوصيائه .


عبد الله الغريفي
أحاديث
وكلمات
حول
الإمام
المنتظر عج

(٣)

إشكالية العمر الطويل في حياة الإمام المنتظر عج

حتمية الخلاص :

العالم المعذب ينتظر بشوق ظهور المُخلِّص المنقذ ، والقلوب المؤمنة تترقب بكل لهفة وحرارة خروج الامام المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجورا ، ويرفع راية الاسلام خفاقة في كل العالم ، ويقيم حكومة القرآن في كل الأرض ، وينهي أنظمة الكفر والضلال في كل مكان . . .

هذه حتمية ايمانية يجب أن تعيش في وعي المؤمنين ، فالاسلام سيحكم العالم حتماً في النهاية . .

هـذه عقيدتنـا ، وعقيـدة الاسـلام ، وعقيـدة الانسـان المسلم . . .

القرآن الكريم يؤكـد هذه الحتميـة الايمانيـة ، حتمية انتصار الايمان والقوى الايمانية في الارض . . .

بقول الله تعالى (الانبياء / ١٠٥)

﴿ ولقـد كتبنا في الـزبور من بعـد الـذكـر أنَّ الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾

ويقول تعالى (التوبة / ٣٣)

﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهـدى ودين الحق ليظهـره على الدين كلِّه ولو كره المشركون ﴾

ويقول تعالى (الصف / ٨)

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾

ويقول تعالى (القصص / ٥)

﴿ ونـريد أن نمنَّ على الـذين استضعفـوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾

السنة تؤكد حتمية الخلاص :

وجاءت الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله

وعن الأئمة المعصومين عليهم السلام لتؤكد هذه الحتمية الايمانية . . .

١ ـ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال :

« لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهل بيتي » (صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٧٠)

٢ ـ عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال :

« لو لم يبق من الدنيا الا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جورا » (أخرج الحديث ابو داود في سننه)

٣ ـ عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال :

« ابشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلزال فيملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجورا » (مسند أحمد ج ٣ ص ٣٧ ط ١٣١٣)

فمن خلال النصوص القرآنية ، والنصوص الواردة في السنة ، يتأكد مضمون الحتمية الالهية في انتصار

الايمان ، وانتشار الحق ، وعموم العدل ، وخلاص الانسانية . . .

هذه الحتمية الايمانية سوف تتحقق بإذن الله تعالى ، وسوف يتخلص العالم من الواقع المأساوي المر . . . فالعالم اليوم يعيش الشقاء ، والضياع ، والتأزم ، ومصادرة الكرامات والحريات ، وطغيان الأنظمة الجائرة ، وتفاقم الفساد والانحراف ، وامساخ القيم والمعايير والضوابط ، وتعطل الأحكام الالهية ، و . . . و . . . الى أخره . . .

فالانسان اليوم يعيش في زحمة هذا الواقع المأساوي . . . الانسان يبحث عن الخلاص ، يبحث عن السعادة . . . امام الانسان الف درب ودرب ، وامامه الف شعار وشعار . . . الدروب ملغومة . . . الشعارات خادعه . . . والضحية هو الانسان . . . والجاني هو الانسان أيضاً . . . الذي تخلىٰ عن الله تعالى ، الانسان الذي جسد ارادة الشيطان في الارض ، الانسان الظالم ، الطاغية ، المستكبر ، الانسان الخالي من الضمير ، ومن القيم ومن الدين .

هل يبقىٰ العالم هكذا ؟

هل يبقىٰ الانسان معذباً في الارض ؟

هل تبقى الكيانات الظالمة تتحكم في مصير البشرية ؟

هل تبقى قوى الشر تزرع الفساد في الارض ؟

هل تبقى أحكام القرآن معطلة ؟

لا . . . لا بد وان يتحقق الوعد الالهي ، ولا بد وأن تنتصر قوى الايمان في الأرض ، كما أكدت ذلك نصوص القرآن والسنة . . . فالصالحون من عباد الله هم الوارثون للارض ، كما وعد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله .

ولا زالت البشرية تنتظر هذا الوعد الالهي ، وتنتظر دولة الحق الكبرى ، وتنتظر القيادة الالهية التي تحقق وعد الله في الأرض وتقيم حكومة القرآن في العالم . . .

من هو الانسان المنتظر المنقذ المخلص ؟

الاطروحة الاسلامية ، تقدم الامام المهدي عليه السلام من آل الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم على أنه الانسان الذي يحقق أمل البشرية في الخلاص ، ويحقق وعد الله في الارض ، كما جاء بذلك الروايات المتواترة .

وتعد قضية الامام المهدي عليه السلام من المسلمات

الاسلامية التي يؤمن بها كل المسلمين كما أكدت ذلك كتب الحديث والمؤلفات عند المسلمين بمختلف مذاهبهم . (أقرأوا كتاب : المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والامامية ، لمؤلفه الكبير العلامة المحقق الشيخ نجم الدين العسكري)

فالامام المهدي عليه السلام هو الذي سيخلص العالم من الشقاء والعذاب والجور والظلم ، والازمات والصراعات والفتن والمحن . . .

وعند هذا المنعطف من الحديث ، أود أن أقف عند نقطة ، تشكل تساؤلاً ملحّا عند الكثيرين .

عقيدتنا ـ نحن الشيعة ـ ومعنا كثير من علماء السنة ، بأنَّ الامام المهدي عليه السلام قد ولد بالفعل ، ولا زال يعيش حياً .

ربما هذه المسألة تشكل صعوبة عند البعض ، وربما يعجز البعض عن استيعابها وهضمها ، مسألة أن يبقى انسان هذا العمر الطويل قد يعسر ادخالها في القناعات العقلية والنفسية بسهولة . . .

كم هو عمر الامام المنتظر الآن ؟

ولادته الشريفة في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هجرية . . .

والآن نحن نعيش سنة ١٤٠٨ هجرية عمره الشريف يساوي ١١٥٣ سنة .

انه عمر يبدو غير مألوف في تصور الانسان ومن هنا أنطلق التساؤل الملّح :

كيف يمكن لانسان أن يعيش هذا العمر الطويل ؟

الإجابة علىٰ هذا الاشكال :

كيف نجيب علىٰ هذا التساؤل ، وهذا الاشكال ؟

المسألة لا تحتاج الىٰ عناء كبير ، ولا تحتاج الى جهد مضني ، ولا الى تعقيدات استدلالية .

المسألة ببساطة يمكن أن نستوعبها من خلال الادلة التالية :

الدَّليل الأول

من الناحية العلمية لا نجد أيَّ صعوبة في تبني الفكرة ، فلا يوجد حتى الآن أيَّ مقولة علمية أو عقلية ، تدَّعي استحالة بقاء الإنسان حياً لمدة طويلة تتجاوز العمر المألوف للانسان .

وربما نجد محاولات علمية تتجه لاثبات امكانية ان يعيش الانسان لمدة أطول من العمر المألوف . وهذه

المحاولات من خلال التجارب التي أجريت على قسم من الخلايا الحيوانية ، استطاعت أن تصل الى فرضية علمية تقول بأمكانية أن يتوافر الانسان على عمر طويل اذا استطاع أن يكون لنفسه مواصفات موضوعية تحميه من المؤثرات الخارجية .

ذكرت مجلة المقتطف في أحد أعدادها (ج٣ مج ٥٩ تحت عنوان : هل يخلد الانسان في الدنيا . .) هذه الفقرة « لكن العلماء الموثوقين يقولون أنَّ كل الانسجة من جسم الحيوان تقبل البقاء الى ما لا نهاية له ، وأنَّه في الامكان أن يبقى الانسان حياً الوفاً من السنين اذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته ، وقولهم هذا ليس مجرد ظن ، بل هو نتيجة علمية مؤيدة بالامتحان » .

وجاء في كتاب (في إنتظار الإمام) للشيخ الفضيلي ما يلي :

« إن جماعة من العلماء المحدثين أمثال : الدكتور الكس كارل ، والدكتور جاك لوب والدكتور ورن لويس وزوجته وغيرهم قاموا باجراء عدة تجارب في معهد (روكفلر) بنيويورك على أجزاء مختلفة من النبات والحيوان والانسان . وكان من بين تلكم التجارب ما أجريت على قطع من أعصاب الانسان وعضلاته وقلبه وجلده وكليته فرؤي أن

هذه الأجزاء تبقىٰ حية نامية ما دام الغذاء اللازم موفوراً لها وما دامت لم يعرض لها عارض خارجي ، وأن خلايا تنمو وتتكاثر وفق ما يقدم لها من غذاء .

واكد تقرير نشرته الشركة الوطنية الجيوغرافية أن الانسان يستطيع أن يعيش (١٤٠٠) سنة اذا ما خدر مثل بعض الحيوانات . . .

(في انتظار الإمام ص ٥٥ ـ ٥٩)

فهذه المقولة ، وان اعتبرناها لا زالت فرضية الا أنَّها تشكل دعماً الىٰ حد ما لفكرة بقاء الامام المهدي حياً هذا العمر الطويل . ويكفي ان تلغي هذه المقولة ، دعوىٰ التناقضية والتنافي بين فكرة الامام المهدي والعلم الحديث .

ويثار هنا اشكال ضد هذا الطرح ، حيث يتنافىٰ مع فكرة (الأجل) المقرر في القرآن والتي هي من المسلَّمات الايمانية .

ويتلاشىٰ هذا الاشكال ، حينما يتضح لنا أنَّ فكرة (الأجل) وان كانت من المسلمات الايمانية ، الا أنَّ معنى (الأجل) يحتاج الىٰ بلورة في ذهنية الانسان المؤمن ، ولا أظن أن مقامنا وأجواء الحديث تسمح بالولوج في أبحاث من هذا النوع .

إلاَّ أني اشير هنا بشكل مبسط وسريع الىٰ أنَّ فكرة (الأجل) خاضعة لشروط موضوعية ، وإلاَّ كيف يمكن أن نفهم الروايات التي تؤكد امكانية طول العمر وقصره نتيجة للقيام ببعض الأعمال والممارسات ،

- الصدقة تحفظ الانسان . . .

- صلة الأرحام تطيل الأعمار . . .

- قطيعة الارحام تخرم الأجال . . .

- الدعاء يدفع البلاء . . .

- تناول بعض المأكولات والمشروبات يسرع بالأجل . . .

لفتة علمية قرآنية :

ولعلنا نجد في القرآن الكريم لفتة علمية رائعة قد تكون مؤشراً الىٰ امكانية بقاء الانسان حياً لمدة طويلة جداً . . .

اقرأوا هذا النص القرآني الذي يتحدث عن قصة نبي الله ، يونس عليه السلام . . .

﴿ وإنَّ يونس لمن المرسلين ، إذ أبق الى الفلك المشحون ، فساهم فكان من المدحضين . . . فالتقمه

الحوت وهو مليم ، فلولا أنَّه كان من المسبحين، للبث في بطنه الىٰ يوم يبعثون . . . ﴾الصافات / ١٣٩ ـ١٤٤

فالنص يشير الى امكانية بقاء الانسان ، وامكانية بقاء الكائن الحي ، زمناً طويلاً قد يمتد الى يوم القيامة . . .

ـ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون ﴾

هنا اشارة صريحة الىٰ امكانية بقاء نبي الله يونس حياً في بطن الحوت الىٰ يوم القيامة .

ـ﴿ للبث في بطنه ﴾

هنا إشارة الىٰ امكانية بقاء الحوت حياً الى يوم القيامة . . .

ففكرة بقاء الامام حياً لمدة طويلة تتجاوز المألوف في حياة الانسان ، لا تصطدم مع الامكان العلمي ، بل ولا تصطدم مع الامكان العقلي والفلسفي لأنها لا تشكل تناقضاً مع ظاهرة الحياة الاعتيادية لأغلب الناس، وذلك لانتفاء أحد وحدات التناقض الثمانية ، وهي « وحدة الموضوع » ، فمتى ما أختلف الموضوع في القضيتين فلا تناقض بينهما ، ومن الواضح أن الموضوع هنا مختلف . . .

الدليل الثاني

دليل تاريخي نستوحيه من القرآن الكريم . . . القرآن يحدثنا عن نبي الله نوح عليه السلام وعن العمر الطويل الذي عاشه وهو يحمل رسالة الله ويبلغ دعوته . . .

يقول الله تعالىٰ في كتابه المجيد :

﴿ ولقد أرسلنا نوحاً الىٰ قومه فلبث فيهم ألف سنة إلاَّ خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون . . . ﴾ العنكبوت / آية ١٢

فالقرآن هنا يحدثنا عن عمر الدعوة وعمر الرسالة في حياة نبي الله نوح عليه السلام ، وأمَّا عمره الكلي فهو يتجاوز عمر الدعوة وعمر الرسالة ، كما أكدت ذلك بعض النصوص التاريخية .

فاذا كانت الارادة الالهية منحت نبي الله نوحاً عليه السلام هذا العمر الطويل ، ليمارس دوره الرسالي ، وليعيد بناء المجتمع البشري من جديد بعد الطوفان ، فما المانع أن تمنح الارادة الالهية الامام المهدي العمر الطويل ليمارس دوره الرسالي ، ويعيد بناء العالم من جديد بعد هذه الطوفانات الخطيرة التي دمرت العالم . . .

الدليل الثالث :

الاعجاز الالهي . . .

لنفرض أن قانون الشيخوخة والأجل قانون صارم لا يمكن تجاوزه بحال من الاحوال ، ولا يمكن الانفلات منه بأي صورة من الصور . . .

ولكن اليس الله بقادر على أن يعطل القانون الطبيعي اذا اقتضت المصلحة الالهية ذلك .

فالله سبحانه وتعالىٰ قد عطًل الكثير من القوانين الطبيعية بالنسبة لبعض الانبياء عليهم السلام ، لمصالح إقتضتها حكمته تعالى . . .

واليكم بعض الأمثلة على ذلك . . .

١ ـ الله سبحانه وتعالىٰ عطًل قانون الاحراق في النار بالنسبة لنبي الله ابراهيم عليه السلام . . .

وقد سجل ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً علىٰ ابراهيم ﴾

هنا تجمد وتعطل القانون الطبيعي الذي أودعه الله تعالىٰ في النار ، فالارادة الالهية التي أوجدت هذا القانون ، قادرة على أن توقفه وتعطله في الحالات التي

تقتضيها الحكمة والمصلحة الالهية .

٢ ـ الله سبحانه وتعالىٰ عطّل قانون السيولة في الماء في قضية نبي الله موسىٰ عليه السلام .

وقد سجل ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ قال أصحاب موسىٰ انا لمدركون قال كلا إنَّ معي ربي سيهدين فأوحينا الى موسىٰ أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود المظيم﴾ .

فهنا تدخلت القدرة الالهية لحماية نبي من الانبياء وحماية المؤمنين معه . . . فعطلت القانون المودع من قبل الله تعالىٰ في الماء .

٣ ـ الله سبحانه وتعالىٰ عطّل قانون السمع في قصة أصحاب الكهف .

وقد سجل ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ فضربنا علىٰ أذانهم في الكهف سنين عددا ﴾

﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً ﴾

٤ ـ الله سبحانه وتعالى عطّل قانون الإبصار في قضية خروج الرسول الاكرم محمد صلى الله عليه وآله من داره ليلة الهجرة . . .

خرج الرسول صلى الله عليه واله ، والمشركون يطوقون الدار ، ويترصدون بكل يقظة وانتباه كل حركة ، فضرب الله تعالى على أبصارهم ، وحمى رسوله الكريم من كيدهم وشرهم . . .

هذه أمثلة تؤكد تدخل القدرة الالهية ، أحياناً لتعطيل بعض القوانين الطبيعية الصارمة حينما تقتضي الحكمة الالهية ذلك . . .

فما المانع أن يعطِّل الله سبحانة وتعالى قانون الشيخوخة والأجل بالنسبة الى الامام المهدي عليه السلام ، ليقوم بدوره الرسالي الكبير في العالم . . .

الدليل الرابع

الدليل الروائي . .

فقد أكدت الروايات الصادرة عن الرسول الأكرم وعن الأئمة الطاهرين على وجود الإمام عليه السلام وإمتداد عمره الشريف . . .

وهذه الروايات يمكن تصنيفها الى عدة فئات :

أ ـ الروايات التي تؤكد على وجود إمام في كل زمان ، وأن الأرض لا تخلو من حجة . .

ومن هذه الروايات :

« من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية »

ورواية أخرى تقول :

« لا تخلو الأرض من قائم بحجة الله ، إمّا ظاهر مشهود ، وإمّا خائف مغمور ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته »

ب ـ الروايات التي تتحدث عن غيبة الإمام المهدي . . .

ومن هذه الروايات قول الرسول صلى الله عليه وآله : « المهدي من ولدي إسمه إسمي ، وكنيته كنيتي ، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقا تكون له غيبة وحيدة ، تضل الأمم ثم يقبل كالشهاب الثاقب ، فيملأها عدلاً وقسطاً ، كما ملئت ظلماً وجورا »

جـ ـ الروايات التي تؤكد أنه لا تقوم القيامة حتى يظهر الإمام المنتظر عليه السلام . . .

ومن هذه الروايات قول الرسول صلى الله عليه وآله : « لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجورا »

د ـ الروايات التي تشبه الإمام المهدي ببعض الأنبياء

في طول العمر . . .

ومن هذه الروايات ما يؤكد أن في القائم شبه من : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله . . . فأما شبه من نوح عليه السلام فطول البقاء . . .

هـ ـ الروايات التي تؤكد خروج الإمام المهدي عليه السلام شاباً رغم طول عمره . . .

ومن هذه الروايات :

ـ الرواية الواردة عن الإمام الرضا عليه السلام : قال :

« علامته أن يكون شيخ السن ، شاب المنظر حتى أن الناظر إليه ليحسبه إبن الأربعين سنة أو دونها . . . »

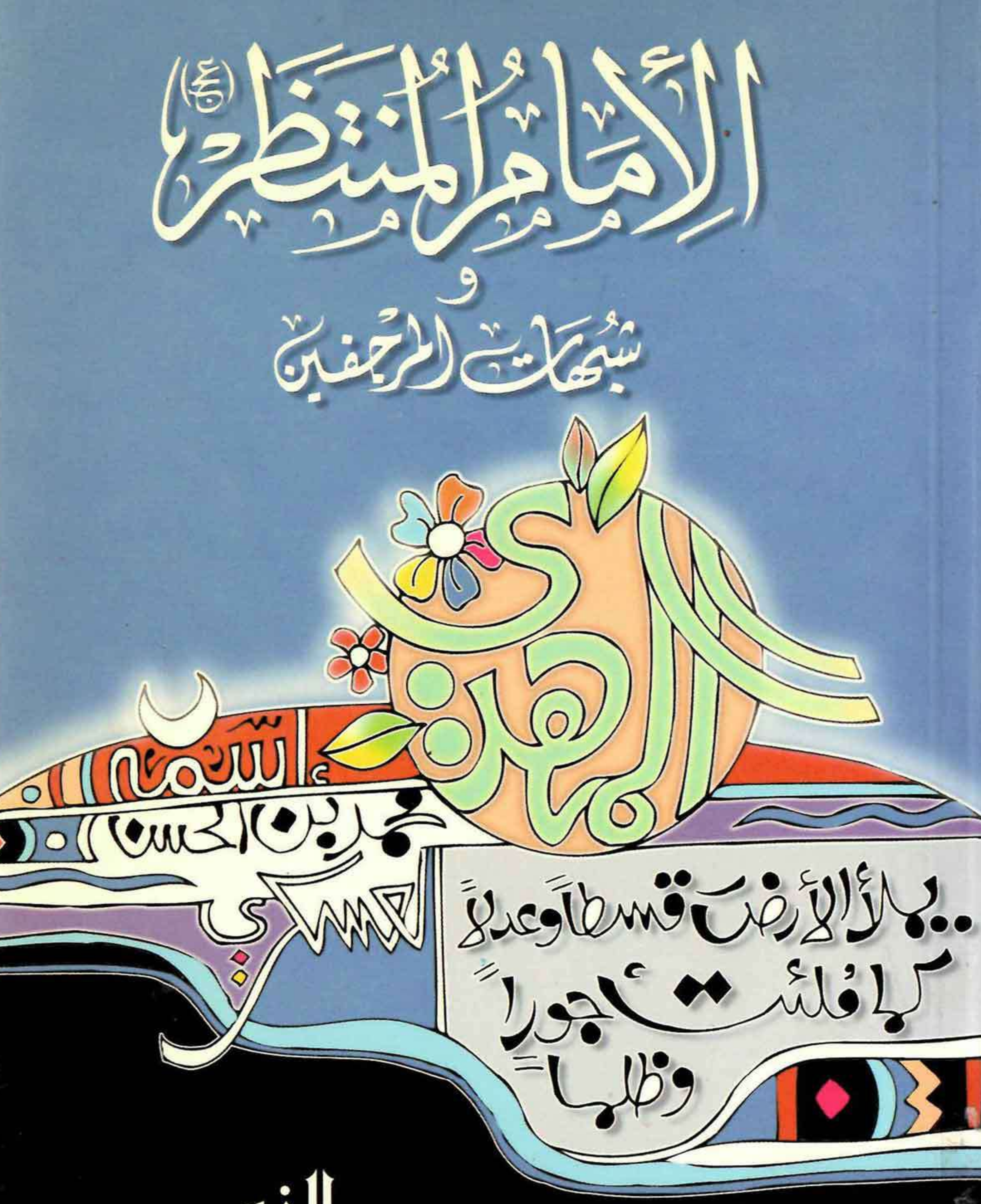
ـ والرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام قال :

« لو قام القائم لأنكره الناس لأنه يرجع إليهم شاباً موفقاً . . . »

ـ والرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام قال :

« إنَّ في صاحب الزمان عليه السلام شبهاً من يونس عليه السلام ؛ رجوعه من غيبته بشرخ الشباب »

السيد أمير محمد الكاظمي القزويني



الغدير
بيروت - لبنان

الغديــر للدراسات والنشر
حارة حريك ـ بناية البنك اللبناني السويسري
هاتف ٦٤٤٦٦٢/٠٣ ـ ٥٥٨٢١٥/٠١ ـ ٢٧٣٦٠٤/٠١
ص. ب ٥٠/٢٤ ـ بيروت ـ لبنان
E-mail: algadeer@ inco. com.lb

■ جميع حقوق الطبع محفوظة ■
لمركز الغدير للدراسات الإسلامية
ولا يحق لأي شخص، أو مؤسسة، أو جهة، إعادة
طبع الكتاب أو ترجمته إلا بترخيص من النّاشر

الطبعـة الأولـى
١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م

طول عمر الإمام المهديّ

أمّا قوله: «فإنّ أعمار خير أمّة إنّما يكون من الستّين إلى السبعين»، فمردود وغير مقبول؛ أمّا من حيث العقل فليس فيه ما يحكم باستحالة بقائه ووجوده حتى يمتنع ولا يكون معقولاً لحكمه جازماً بأنّ الله تعالى على ذلك لقدير، على أنّنا قد وجدنا الكثير من المسلمين في عصرنا بلغت أعمارهم أربعين ومئة وما فوقها، ثمّ إنّ ابن تيميّة لم يسلم من التناقض؛ فإنّه قرّر هنا أنّ أعمار خير أمّة إنّما يكون من الستّين إلى السبعين، وهناك تراه يقرّر بقوله: «إذ لا يعرف أحد ولد في زمن الإسلام عاش مئة وعشرين سنة»، فإنّ فحوى هذا القول يدلّ بصراحة على أنّه قد عاش كثيرون في زمن الإسلام خمس عشرة ومئة، أو عشر سنين ومئة، أو مئة كاملة، ومع ذلك تراه يزعم أنّ أعمار خير أمّة من الستّين إلى السبعين، وهل هذا إلاّ تناقض بيّن؟

وأمّا من حيث الفنّ، فحسبك شهادة الأطبّاء الماهرين، كما في مجلّة المقتطف المصريّة، ص ٢٣٩، من الجزء الثالث، سنة ٥٩،

قالوا: «لكن العلماء الموثوق بعلمهم يقولون: إنّ كلّ الأنسجة الرئيسيّة في جسم الحيوان تقبل البقاء إلى ما لا نهاية له. وإنّه في الإمكان أن يبقى الإنسان حيّاً أُلوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته»، وليس قولهم هذا مجرّد ظنّ وتخمين، بل هو نتيجة لنظريّة علميّة مؤيّدة بالاختبار، وقالوا أيضاً في ص ٢٤٠ من المجلّة نفسها: «وغاية ما ثبت ـ الآن ـ من التجارب المذكورة أنّ الإنسان لا يموت بسبب بلوغ عمره الثمانين والمئة من السنين، بل لأنّ العوارض تنتاب بعض أعضائه فتتلفها، ولارتباط بعضها ببعض تموت كلّها؛ فإذا استطاع العلم أن يزيل هذه العوارض أو يمنع فعلها لم يبقَ مانع من استمرار الحياة مئات من السنين». وإن ابتغيت المزيد من أدلّة جواز بقاء الإنسان أُلوفاً من السنين فعليك بمراجعة علم الحيوان ـ البيولوجيات ـ لتعلم أنّه لا مانع من ذلك عقلاً. ثمّ إنّ اختلاف الناس في القابليّات والاستعدادات أمر لا سبيل إلى إنكاره، فمن الجائز ـ إذاً ـ أنّ الله تعالى قد أودع في جسم الإمام المنتظر عليه السلام قابليّات واستعدادات وطاقات لا تؤثّر فيها تلك العوارض اللاحقة لجسمه الشريف، وما المانع من أن يكون الله تعالى خلق في جسمه من المواد (البنسلينيّة، أو الأورمايسينيّة، أو الستربتومايسينيّة ـ الخميرة المتموّجة ـ أو الكلورومايسينيّة) أو غيرها من الموادّ التي توصّل العلم إلى اكتشافها في قتل الجراثيم أو منع تأثيرها، وما لم يتوصّل إليه لحدّ اليوم، وقد يتوصّل إليه

يوماً ما، ما يمنع تأثيرها أو يقضي على كلّ (مكروب وجرثوم) يوجب تلف أعضائه فيبقى حيّاً ما شاء الله تعالى، كما يجوز أنّ الله تعالى منع وصول تلك الجراثيم إليه من طرق أُخرى على ما رآه من الحكمة والصلاح في استمرار حياته وبقائه، كما سنعرّج على توضيحه في القريب عند دفعنا لشبهات المنكرين وجوده عليه السلام[1]، وليس هناك من يستطيع أن يمنع هذا أو يحكم باستحالته أو استبعاده واستغرابه إلاّ الذي لربّه كنود أو لعقله مكابر أو للعلم معاند.

وأمّا من حيث القرآن، فلأنّه ذكر أنّ حياة نوح النبي عليه السلام قد امتدّت ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، وهي المدّة التي مكث فيها في قومه يدعوهم فيها إلى عبادة الله، وهذا إبليس عدوّ الله حيّ موجود إلى الوقت المعلوم، وناهيك بالكتاب شاهد عدل عليه، ولقد فات هؤلاء المنكرين أن يتمثّلوا بقول الشاعر المسلم العربيّ:

وقولك: إنّ الاختفاء مخافة
من القتل شيء لا يجوزه الحجر
فقل لي لماذا غاب في الغار أحمد
وصاحبه (الصدِّيق) إذ حسن الحذر؟
ولم أمرت أمّ الكليم بقذفه
إلى نيل مصر حين ضاقت به مصر؟

(١) راجع ص ٧٣ ـ ٧٩.

وكــم مـن رسـولٍ خـاف أعـداه فـاختفى
وكــم أنبيــاء مــن أعــاديهــم فــرّوا؟
أيعجــز ربّ الخلــق عـــن نصـــر دينــه
علــى غيــرهــم؟ كــلاّ فهــذا هــو الكفر
وهــل شــاركــوه فــي الــذي قلـت: إنّه
يــؤول إلـــى جبـــن الإمـــام وينجـــر؟
فــإن قلــت: هــذا كــان فيهــم بأمر من
لــه الأمــر فــي الأكوان والحمد والشكر
فقــل فيـه مـا قــد قلـت فيهـم فكلّهــم
علـــى مـــا أراد الله أهـــواؤهـــم قصـــر
وإن تستـــرب فيـــه لطـــول بقـــائــــه
أجــابــك إدريــس واليــاس والخضــر
وفــي ابــن أبـــي الدنيـا جلـيّ دلالــة
علــى أنّ طـول العمــر ليـس لــه حصر
ومكـــث نبـــيّ الله نـــوح بقـــومـــه
كـــذا قــوم أهــل الكهــف نصّ به الذّكر
وقــد وجـد الــدجّــال مـن عهد أحمد(١)
ولــم ينصــرم منــه إلــى السّاعــة العمر

---

(١) ويقـول ابـن حجـر الهيتمـي، فـي ص ٢٧ من كتابـه الفتـاوى الحديثة: عن أبي الإسكـافـي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «من كذّب بالدجّال فقـد كفر، ومن كذّب بالمهديّ فقد كفر».

وقــد عــاش أوج ألــف عــام وفـوقهــا
ولــولا عصــا مــوســى لأخــره الــدهــر
ومــن بلغــت أعمــارهــم فــوق مئــة
ومــن بلغــت ألفــاً فليــس لــه حصــر

فـقـول ابـن تيميّـة سـاقـط مردود، ورأيه مصادم للنصوص القطعيّة.



قراءة في الإشكاليّات

السيّد عبد الله الغريفي

الجزء الخامس

دار السلام

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

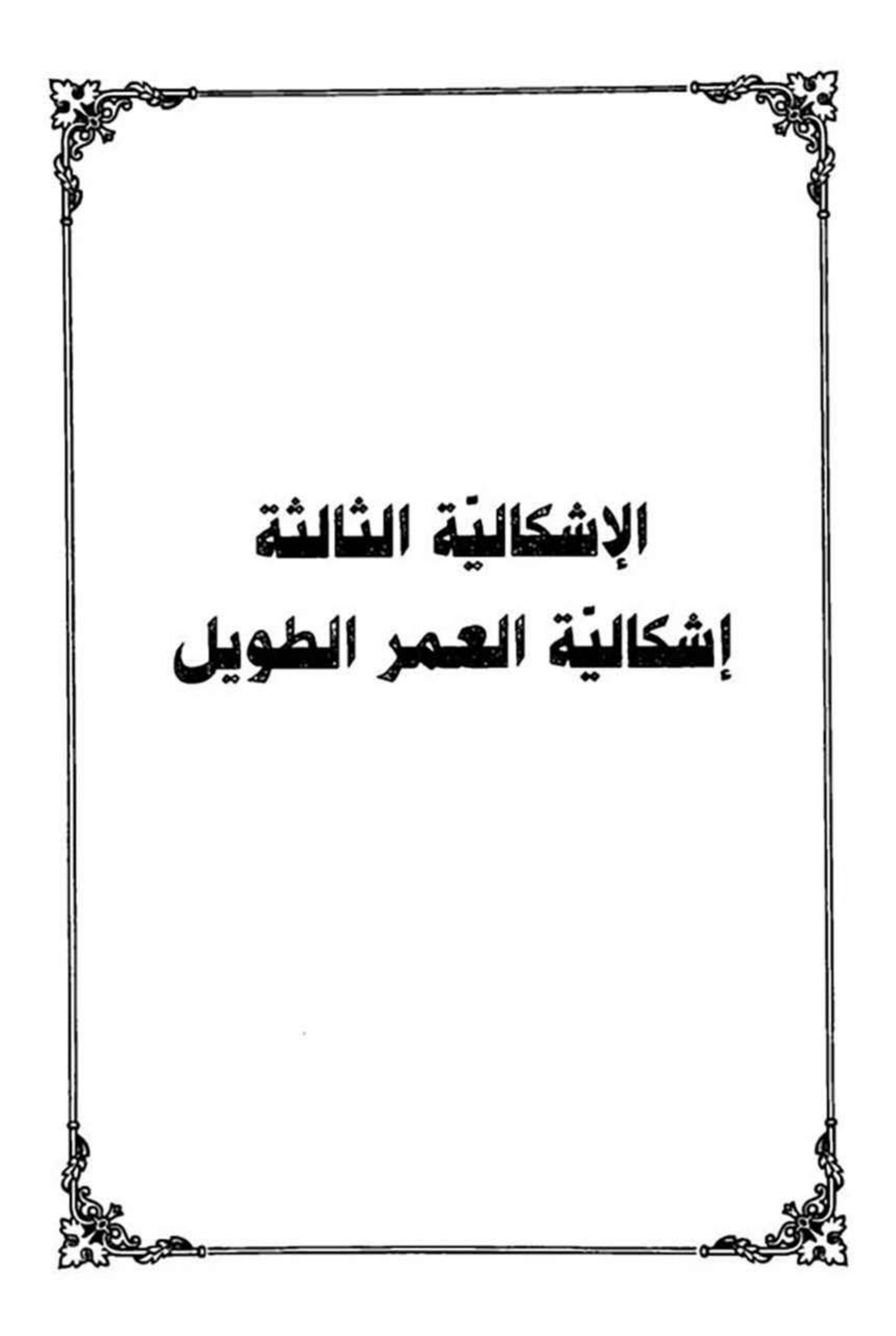
حقوق الطبع محفوظة لدى لجنة الغريفي الثقافية©



مكتب سماحة العلامة السيد عبد الله الغريفي
هاتف: ‎+٩٧٣-١٧٤٠٣١٣٤ / فاكس: ‎+٩٧٣-١٧٤٠٣١٣٠
الموقع الإلكتروني: www.alghuraifi.org
البريد الإلكتروني: lajna@alghuraifi.org
السهلة الشمالية - البحرين

دار السلام
بيروت - لبنان
لبنان: 009613461595- 009611472192
العراق: 009647802150376
E-mail:daralsalamco@hotmail.com

مركز ابن إدريس الحلي
للتنمية الفقهية والثقافية
العراق - النجف الأشرف



الإشكاليّة الثالثة

إشكاليّة العمر الطويل

إشكاليّة العمر الطويل

- الإشكال الأول: الإشكال الدينيّ.
- الإشكال الثاني: الإشكال العقليّ.
- الإشكال الثالث: الإشكال العلميّ.
- الإشكال الرابع: الإشكال العقيديّ.
- الإشكال الخامس: الإشكال التاريخيّ.
- الإشكال السادس: الإشكال العمليّ.

التأريخ لإشكاليّة العمر الطويل

لكي نؤرّخ لهذه الإشكاليّة نحاول أن نتابع عدّة مراحل:

المرحلة الأولى:

التهيئة لاستيعاب «ظاهرة الغَيْبة وطول العمر»:

هذه الظاهرة في حياة الإمام المهديّ عليه السلام غير مألوفة، الأمر الذي فرض أن تتحشّد الروايات من أجل تهيئة الذهنيّات لاستيعابها والقبول بها، وبذلك شكّلت هذه الروايات «أساسًا» لمواجهة الإشكاليّة.

وقد عالجنا «روايات الغَيْبة» متنًا وسندًا في مبحثٍ سابقٍ من مباحث هذا الكتاب[1].

ونُعيد لذاكرة القارئ نموذجين من تلك الروايات:

النموذج الأول:

●● عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام يقول:

«إنْ بَلَغَكُمْ عَنْ صَاحِبِ هَذَا الأَمْرِ [الإمام المهديّ] عليه السلام غَيْبَةٌ فَلا تُنْكِرُوهَا»[2].

---

(١) ج٢ ص ٤٦٩ من هذا الكتاب.

(٢) الكليني: أصول الكافي ١: ١٩٩ كتاب الحُجّة/ حديث ٩٠٠.

رجال الإسناد:

- **ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني:**
- «أوثق النّاس في الحديث وأثبتهم - تقدّم في أسانيد كثيرة».

- **عليّ بن إبراهيم القمّي:**
- «ثقةٌ في الحديث، ثبتٌ، معتمدٌ - تقدّم في أسانيد كثيرة».

- **إبراهيم بن هاشم القمّي:**
- «ثقةٌ من شيوخ الإجازة - تقدّم».

- **محمد بن أبي عمير:**
- «من أوثق النّاس وأصدقهم وأعبدهم - تقدّم».

- **محمد بن مسلم:**
- «فقيهٌ ورعٌ من أوثق الناس - تقدّم».

النموذج الثاني:

•• عن زرارة قال: قال أبو عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام:

«يأتي على النّاس زمانٌ يغيبُ عنهم إمامهم فقلت له: ما يصنع النّاس في ذلك الزّمان؟

قال: يتمسّكون بالأمر الذي هم عليه حتى يتبيّن لهم»[١].

رجال الإسناد:

- **محمد بن عليّ بن الحسين الصّدوق:**
- «اتفقت الكلمات على وثاقته وجلالة قدره - تقدّم في أسانيد كثيرة».

---

(١) الصّدوق: كمال الدّين ٢: ٣٥٠ ب٣٢/ حديث ٤٤.

- **عليّ بن الحسين بن بابويه:**
- «فقيهٌ جليلٌ ثقةٌ - تقدّم».

- **عبد الله بن جعفر الحِميري:**
- «شيخ القمّيين ووجههم ثقة - تقدّم».

- **أيوب بن نوح:**
- «عظيم المنزلة عند الأئمّة عليهم السلام، مأمونٌ، شديد الورع، ثقةٌ في رواياته - تقدّم».

- **محمد بن أبي عمير:**
- «من أوثق الناس وأصدقهم وأورعهم - تقدّم».

- **جميل بن درّاج:**
- «وجه الطائفة ثقة - تقدّم».

- **زرارة بن أعين:**
- «فقيه قارئ صادق فيما يرويه، ثقة اجتمعت فيه خلال الفضل والدين - تقدّم».

المرحلة الثانية:

تدوين روايات الغَيْبة وطول العمر:

دوّنت مصادر شيعيّة «روايات الغَيْبة وطول العمر» وبذلك شكّل هذا التدوين مرحلةً أخرى في سياق التأريخ للإشكاليّة المذكورة.

وهذه نماذج من تلك المصادر والمصنّفات:

١- الغَيْبة للفضل بن شاذان (المتوفى سنة ٢٦٠ هـ) [عاش قبل عصر الغَيْبة الصغرى التي بدأت سنة ٢٦٠ هـ وانتهت سنة ٣٢٩ هـ].

٢- أصول الكافي لثقة الإسلام الكليني (ت/ ٣٢٩) [عاصر الغَيْبة الصغرى].

٣- غَيبة النعماني لمحمد بن إبراهيم النعماني (معاصرٌ للشيخ الكليني) [عاصر الغَيْبة الصغرى].

٤- إثبات الوصيّة للمسعودي (ت/ ٣٣٣ هـ) [عاصر الغَيْبة الصغرى].

٥- كمال الدين للشيخ الصّدوق (ت/ ٣٨١ هـ) [أدرك أواخر الغَيْبة الصغرى].

٦- كفاية الأثر للخزّاز القمّي (من تلامذة الصّدوق) [بدايات عصر الغَيْبة الكبرى].

٧- الفصول العشرة في الغَيْبة للشيخ المفيد (ت/٤١٣ هـ) [بدايات عصر الغَيْبة الكبرى].

٨- كتاب الغَيْبة للشيخ الطوسي (ت/٤٦٠ هـ) [بدايات عصر الغَيْبة الكبرى].

المرحلة الثالثة:

إشكالية العمر الطويل: الطرح والمناقشة:

حينما نقرأ مصنّفات المسلمين الأولى التي تناولت «مسألة المهديّ» نجد طائفة منها اقتصرت على تدوين «الأحاديث العامّة»، وأخرى دوّنت «أحاديث الغَيْبة»، وثالثة أثارت «إشكاليّة الغَيْبة وطول العمر» إثباتًا أو نفيًا.

وأقتصر هنا على ذكر بعضٍ من المصنّفات السّنية[1]:

١- المصنّف للحافظ الصّنعاني (ت/ ٢١١ هـ):

(١) مرّ ذكر هذه المصنّفات تفصيلًا.

[قبل الغَيْبة] تناول الأحاديث العامّة فقط في الجزء الحادي عشر/ باب المهديّ.

٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت/ ٢٤٠ هـ):

[قبل عصر الغَيْبة] تناول أحاديث المهديّ العامّة في عدّة أجزاء من مسنده (تقدّمت الشواهد على ذلك).

٣- سنن ابن ماجه (ت/ ٢٧٥ هـ):

[عاصر بداية الغَيْبة الصغرى] تناول أحاديث المهديّ العامّة في الجزء الثاني، كتاب الفتن، باب خروج المهديّ.

٤- سنن أبي داوود (ت/ ٢٧٥ هـ):

[عاصر بداية الغَيْبة الصغرى] تناول أحاديث المهديّ العامّة في الجزء الرابع، كتاب المهديّ.

٥- سنن الترمذي (ت/ ٢٧٩ هـ):

[عاصر بداية الغَيْبة الصغرى] تناول أحاديث المهديّ العامّة في الجزء الرابع، كتاب الفتن، باب ما جاء في المهديّ.

٦- المعجم الكبير للطبراني (ت/ ٣٦٠ هـ):

[عاصر أواخر الغَيْبة الصغرى وبداية الكبرى] تناول أحاديث المهديّ العامّة في الجزء العاشر، الأحاديث من ١٠٢١٢ حتى ١٠٢٣٠.

٧- معالم السّنن للخطابي (ت/ ٣٨٨ هـ):

[عاصر أواخر الغَيْبة الصغرى وبداية الكبرى] تناول أحاديث المهديّ العامّة

في شرحه لسنن أبي داوود.

٨- مستدرك الحاكم النيسابوري (ت/ ٤٠٥ هـ):

[عاصر بدايات الغَيْبة الكبرى] تناول أحاديث المهديّ العامّة في الجزء الرابع، كتاب الفتن والملاحم.

٩- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول لمحمد بن طلحة الشّافعي (ت/ ٦٥٢ هـ):

أشار ضمنًا إلى «إشكاليّة العمر الطويل» وناقشها بقوله: «وليس ببدع ولا مستغربٍ تعمير بعض عباد الله المخلصين... مدّ الله أعمار جمع كثيرٍ من خلقه من أصفيائه وأوليائه، ومن مطروديه وأعدائه - وساق أمثلةً على ذلك ثمّ قال - فأيّ مانعٍ من امتداد عمر الصالح الخلف الناصح [يعني الإمام المهديّ] إلى أن يظهر فيعمل ما حكم الله له به»[1].

١٠- تذكرة الخواص للعلّامة سبط بن الجوزي (ت/ ٦٥٤ هـ):

أشار إلى الأدلّة التي يحتجّ بها الشيعة الإماميّة، ولم يعقّب عليها، ممّا يوحي بتسليمه بها... قال في تذكرته (فصل في ذكر الحجّة المهديّ):

«وعامّة الإماميّة على أنّ الخلف الحُجّة موجودٌ وأنّه حيٌّ يُرزق، ويحتجّون بأدلّةٍ - وذكر أدلّتهم ولم يعقّب عليها -».

١١- البيان في أخبار صاحب الزّمان لمحمد بن يوسف الكنجي الشافعي (ت/٦٥٨ هـ):

افترض وجود إشكاليّة وأجاب عنها بقوله: «من الأدلّة على كون المهديّ حيًّا

(١) الشافعي: مطالب السؤول، الجزء الثاني، الباب الثاني عشر.

باقيًا منذ غَيْبته إلى الآن [زمان الكنجي الشافعي] وأنّه لا امتناع في بقائه كبقاء عيسى بن مريم، والخضر، والياس من أولياء الله، وبقاء الأعور الدّجال وإبليس اللعين من أعداء الله، هؤلاء ثبت بقاؤهم بالكتاب والسّنة - وساق طرفًا من أدلّة الكتاب والسّنة -»[1].

١٢- شرح المقاصد للتفتازاني الشافعي (ت/ ٧٩٣ هـ):

ذكر في كتابه إشكاليّة العمر الطويل حيث قال[2]:

«وزعمت الإماميّة من الشيعة أنّه [يعني المهديّ] محمد بن الحسن العسكريّ، اختفى عن الناس خوفًا من الأعداء، ولا استحالة في طول عمره كنوح ولقمان والخضر عليهم السلام، وأنكر ذلك سائر الفرق...».

- ثمّ ساق مبرّرات الإنكار -:

١- «لأنّه ادعاء أمر يُستبعد جدًّا، إذ لم يُعهد في الأمّة مثل هذه الأعمار من غير دليل عليه ولا أمارة ولا إشارة قامت من النبيّ (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم)».

٢- «ولأنّ اختفاء إمام هذا القدر من الأيام بحيث لا يُذكر منه إلّا الاسم بعيدٌ جدًّا».

٣- «ولأنّ بعثه مع هذا الاختفاء عبثٌ، إذ المقصود من الإمامة الشريعة وحفظ النظام ورفع الجور ونحو ذلك».

٤- «ولو سلّم، فكان ينبغي أن يكون ظاهرًا، ليظهر دعوى الإمامة كسائر الأئمّة من أهل البيت، ليستظهر به الأولياء، وينتفع به الناس، لأنّ أولى الأزمنة بالظهور هذا الزمان».

---

(١) نقلًا عن الفصول المهمّة، الفصل الثاني عشر.

(٢) التفتازاني: شرح المقاصد ج٧ ص٣٠٧، ٣٠٨.

١٣- الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة لابن الصبّاغ المالكي (ت/ ٨٥٥ هـ):

أورد كلام الكنجي الشافعي المدوّن في كتاب (البيان في أخبار صاحب الزّمان) حيث استدل على بقاء الإمام المهديّ ولم يُعقّب على كلامه[١].

١٤- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للإمام عبد الوهاب الشعراني (ت/ ٩٧٣ هـ):

ذكر «الإمام المهديّ» مؤكّدًا بقاءه واستمرار حياته حتى يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام[٢].

١٥- الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي الشافعي (ت/ ٩٧٤ هـ):

تعرّض إلى إشكاليّة العمر الطويل قائلًا: «إنّ تغيّب شخص هذه المدّة المديدة من خوارق العادات، فلو كان هو [محمد بن الحسن] لكان وصفه (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) بذلك أظهر من وصفه بغير ذلك ممّا مرّ»[٣].

١٦- غالية المواعظ لأبي البركات الألوسي الحنفي (ت/ ١٣١٧ هـ):

أشار إلى مذهب الإماميّة في المهديّ المنتظر بقوله: «ويُعرف عندهم بالحجّة والمنتظر والقائم... وهو حيٌّ الآن موجود في الدنيا، وهذا مع بُعده في العقل، لا يؤيّده صحيح نقل»[٤].

---

(١) الفصول المهمّة. في الفصل الثاني عشر.

(٢) اليواقيت والجواهر: المبحث الخامس والستون.

(٣) ابن حجر: الصواعق المحرقة ص ١٦٦.

(٤) الألوسي: غالية المواعظ ١: ٧٨.

١٧

الإشكاليّة الثالثة - الإشكال الأول:

الإشكال الدّيني

- فرضيّة العمر الطويل لا تملك سندًا دينيًا.
- النصوص الدينيّة تنفي هذه الفرضيّة.

من الإشكالات التي تُواجه عقيدة الشيعة في ما يُؤمنون به من «بقاء الإمام المهديّ» هذا العمر المديد الذي تجاوز المألوف من الأعمار. إنّ هذه العقيدة لا تملك «سندًا دينيًّا من الكتاب والسنّة» لا على مستوى «الإمكان» ولا على مستوى «الوقوع».

فلا يصحّ أن تتشكّل عقيدةٌ غير مألوفة جدًّا - كما هي عقيدة الشيعة في بقاء الإمام المهديّ - من دون التوفّر على نصوص دينيّة قطعيّة صريحة تتحدّث عن «إمكانيّة» هذا البقاء، وعن الإخبار بحدوثه في سياق الحديث عن مسألة «المهديّ» التي تواترت الروايات حولها، وهذا ما لا نجد له أثرًا في المصادر الإسلاميّة وربّما نجد ما يؤكّد على نفيه، حسب ما جاء في النصوص القرآنيّة:

- ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[1].
- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾[2].
- ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾[3].

---

(١) الأنبياء: آية ٣٤.

(٢) آل عمران: آية ١٨٥.

(٣) الواقعة: آية ٦٠.

الإشكاليّة الثالثة - الإشكال الأول:

نقد الإشكال الأول

السَّند الدِّيني من القرآن

أوّلا: نصوصٌ قرآنيّة أكّدت ظاهرة العمر الطويل:

النص الأول:

سورة العنكبوت/ الآية ١٢:

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

يبـدو من ظاهر النصّ القـرآنيّ أنّه يتحدّث عن «مرحلة الدعوة قبل الطوفان» أمّا كم هو عمر نوح حين بدأ الدعوة وكم بقي بعد الطوفان، فالنصّ لا يُشير إلى ذلك، وربّما أوضحت ذلك المصادر الحديثيّة والتفسيريّة والتاريخيّة.

في رواية عن الإمام الصّادق عليه السلام قال:

«عاشَ نوحٌ عليه السلام ألفَي سَـنَةٍ وخَمسَمائة سنة، منْها ثمانُمائة وخمسونَ سنةً قَبلَ أَنْ يُبعَثَ، وألفُ سـنة إلّا خمسـينَ عامًا وهُو في قومه يدعوهُم، وسـبعمائة عام بعدَ ما نَزَلَ مِنَ السفينةِ ونَضَبَ الماءُ، فمَصَّرَ الأمْصَارَ وأَسْكَنَ وُلدَهُ البُلْدَانَ»[1].

الحديث رجاله ثقات:

- **أبو جعفر الصّدوق:**

- «اتّفقت الكلمات على وثاقته، وجلالة قدره، وعظم منزلته – تقدّم في أسانيد كثيرة».

• **محمد بن الحسن بن الوليد:**
- «ثقةٌ ثقةٌ عين - تقدم».

• **محمد بن الحسن الصفار:**
- «ثقةٌ عظيم القدر - تقدّم».

• **أحمد بن محمد بن عيسى:**
- «شيخ القمّيين ووجههم وفقيههم ثقة - تقدّم».

• **عليّ بن الحكم بن الزّبير:**
- «ثقةٌ جليل القدر».

انظر: منتهى المقال ٤/ ٢٠٠٦.

• **هشام بن سالم:**
- «ثقة ثقة - تقدّم».

فإذا كانت الإرادة الإلهيّة منحت نبيّ الله نوحًا عليه السلام هذا العمر الطويل ليُمارس دوره في إعادة بناء المجتمع البشريّ من جديد بعد الطوفان، فما المانع أن تمنح الإرادة الإلهيّة الإمام المهديّ عليه السلام العمر الطويل ليُمارس دوره في إعادة بناء العالم من جديد بعد هذه الطوفانات الخطيرة التي دمّرت العالم.

النص الثاني:

سورة النساء/ الآيات ١٥٧ - ١٥٩:

• ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا، وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

النص القرآني - هنا - يعالج بالنفي «العقيدة المسيحيّة» في ما تزعمه من «قتل المسيح وصلبه» وقد تشكّلت هذه العقيدة في الذهنيّة المسيحيّة من خلال «النصوص الإنجيليّة المحرّفة» في ما أكّدته من فكرة «القتل والصلب» وفي ما صاغته من أسطورة (القربان والفداء) حيث زعمت بأنّ المسيح إنّما جاء لهذا العالم ليكون (قربانًا) يغسل بدمه ذنوب البشر وينقذهم من العذاب.

والقرآن في هذا المقطع من سورة النساء ينفي بشدّة هذا الوهم الكاذب الذي عاش في العقل المسيحيّ عدّة قرون، ويؤكّد في المقابل «قضيّة الرفع للسيد المسيح».

وقد جاءت الروايات في مصادر الحديث والتفسير عند المسلمين لتقول بأنّ المسيح عليه السلام لا زال حيًّا وسوف ينزل من السّماء في آخر الزّمان، ويصلّي خلف الإمام المهديّ الذي يظهر في آخر الدّنيا فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا...

ومن هذه الروايات ما دوّنته أمّهات المصادر الحديثيّة:

١- صحيح البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء / باب نزول عيسى):

- عن رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) قال:

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الحَرْبَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَى لا يَقْبَلَهُ أحد، حتى تكونَ السجدةُ الواحدةُ خيرًا مِنَ الدنيا وما فيها».

قال أبو هريرة راوي الحديث: واقرأوا إن شئتم ﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

٢- صحيح البخاري (الباب نفسه):

• عن رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) قال:
«كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمامُكُمْ مِنْكُمْ».

٣- صحيح مسلم (كتاب الإيمان / باب نزول عيسى بن مريم):

• عن رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) قال:
«والذي نَفسي بيده ليُوشكَنَّ أن يَنزلَ فيكُم ابنُ مَريَمَ [عليه السلام] حَكَمًا مُقْسِطًا - إلى آخر الحديث كما جاء في البخاري -».

٤- صحيح مسلم (الباب نفسه):

• عن رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) قال:
«وَاللهِ لَيَنْزِلَنَّ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الخنزيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الجِزْيَةَ، وَلَتُتْرَكَنَّ القِلَاصُ فَلاَ يُسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ [وَلَيُدْعَوُنَّ] إِلَى المَالِ فَلاَ يَقْبَلُهُ أَحَدٌ».

٥- صحيح مسلم (الباب نفسه):

• عن رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) قال:
«كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمامُكُمْ مِنْكُمْ».

٦- صحيح مسلم (الباب نفسه):

• عن رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) قال:
«لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ فَصَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لاَ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هذه الأُمَّةَ».

٧- الجامع الصحيح = سنن الترمذي (كتاب الفتن/ الحديث ٢٢٣٣):

أخرج الحديث كما جاء في البخاري ومسلم.

وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٨- الجامع الصحيح (الباب نفسه):

- عن رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) قال:
«كَيْفَ تَهْلِكُ أُمَّةٌ أَنَا أَوَّلُهَا، والمَهْدِيُّ أَوْسَطُها، والمَسيحُ آخِرُهَا».

ملاحظة:

مرّت أحاديث نزول عيسى عليه السلام ضمن مباحث سابقة.

انظر:

- الإشكاليّة الأولى، العنصر الثاني، النقطة الخامسة، وكذلك: العنصر الرابع، المقولة الرابعة.

بعض كلمات المفسّرين:

في قوله تعالى في سورة آل عمران/ الآية ٥٥:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾.

(١) الرّازي في تفسيره الكبير (٣: ٢٣٧ - ط٣، دار إحياء التراث):

في معنى قوله تعالى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ قال الرّازي:

اختلف أهل التأويل على طريقين:

الطريق الأول:

إجراء الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير فيها: ثمّ ذكر في بيان هذا الطريق مجموعة وجوه:

الوجه الأول:

المعنى «متمّـمٌ عمرك، فحينئذ أتوفّاك فلا أتركهم حتى يقتلوك بل أنا رافعك إلى سمائي...».

الوجه الثاني:

«مُميتك... ثمّ اختلفوا [أصـحاب هذا الوجه] على ثلاث أوجه أحدها: تُوفّي ثلاث سـاعاتٍ ثمّ رُفع، وثانيها: تُوفّي سـبع ساعاتٍ ثمّ أحياه الله ورفعه، والثالث: أنّه تعالى توفّاه حين رفعه إلى السّماء...».

الوجه الثالث:

«الآيـة تـدلّ على أنّه تعـالى يفعل به هذه الأفعال، فأمّا كيـف يفعل ومتى يفعل فالأمـر فيـه موقـوفٌ على الدليـل، وقد ثبـت الدليل أنّه حـيٌّ وورد الخبر عـن النبيّ (صلّى الله عليه [وآله] و سلّم): (أنّه سينزل ويقتل الدّجّال) ثمّ إنّه تعالى يتوفّاه بعد ذلك».

الوجه الرابع:

«متوفّيك عن شهواتك وحظوظ نفسك».

الوجه الخامس:

«التوفـيّ أخـذ الشـيئ وافيًـا... أي رفعـه الله بتمامـه إلى السّـماء بروحـه وجسده...».

الوجه السادس:

«أي أجعلك كالمتوفّى لأنّه إذا رُفع إلى السّـماء وانقطع خبره وأثره عن الأرض كان كالمتوفى».

الوجه السابع:

«التوفيّ هو القبض، وله أنواع: بالموت، بالإصعاد إلى السّماء...».

الوجه الثامن:

«مستوفٍ عملك، ورافع عملك إليّ».

الطريق الثاني:

فرض التقديم والتأخير في الآية:
«﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ يقتضي أنّه رفعه حيًّا...
﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾..
(ومتوفّيك) بعد إنزالي إيّاك في الدنيا...».

(٢) الطبري في تفسيره جامع البيان (٣، ٣٩٤، ط دار الفكر):

قال الطبري: «اختلف أهل التأويل في معنى الوفاة التي ذكرها الله عزّ وجلّ في هذه الآية:

فقال بعضهم: هي وفاة نوم، أي رافعك في نومك [وذكر رواية عن رسول الله ﷺ] قال لليهود: «إنّ عيسى لم يمت وإنّه راجع إليكم قبل يوم القيامة».

وقال آخرون: إنّي قابضك من الأرض... أي قابضك من الأرض حيًّا إلى جواري، وآخذك إلى ما عندي بغير موت...

[وذكر في ذلك روايات]».

وقال آخرون: «إنّي متوفّيك وفاة موت» [وذكر أقوالاً في معنى الموت].

وقال آخرون: إنّي رافعك إليّ، ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفّيك بعد إنزالي إيّاك إلى الدنيا...

قـال أبو جعفر: «وأولى هذه الأقوال بالصـحة عندنا قول من قال: معنى ذلك: إنّي قابضـك من الأرض ورافعك إليَّ، لتواتر الأخبار عن رسـول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسـلّم) أنّه قال: (ينزل عيسـى بن مريم فيقتل الدّجال) ثمّ يمكث في الأرض مدّة ذكرها واختلفت الرواية في مبلغها، ثمّ يموت فيصلّي عليه المسلمون ويدفنونه».

[وساق مجموعة روايات].

(٣) القرطبي في تفسيره (٤ : ٩٩، ط دار إحياء التراث):

قال القرطبي في تفسير الآية:

«وقـال جماعةٌ مـن أهل المعاني منهم الضـحّاك والفرّاء في قولـه تعالى: ﴿إِذْ قَـالَ اللَّه يَـا عِيسَـى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ...الآية ﴾ على التقديم والتأخـير لأنّ الواو لا توجب الرتبـة. والمعنى إنّي رافعك إليّ ومطهّرك من الذين كفروا ومتوفّيك بعد أن تنزل من السّماء...

وذكر أقوالًا أخرى مرّ ذكرها في ما أورده الرازي - (ثمّ قال): والصـحيح أنّ الله تعالى رفعه إلى السّماء من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري، وهو الصحيح عن ابن عباس وقاله الضّحّاك...».

(٤) ابن كثير في تفسيره (٢ : ٣٩):

ساق أقوال المفسرين - ثمّ قال -:

«وقال الأكثرون: المراد بالوفاة ههنا النوم وكما قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾[١] الآية.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾[٢] الآية. وكان رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) يقول: إذا قام من النوم: (الحمد لله

(١) الأنعام: آية ٦٠.

(٢) الزمر: آية ٤٢.

الـذي أحيانا بعد ما أماتنا) وقال تعالى ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا، وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ...﴾[1].

(٥) الطبرسي في تفسيره مجمع البيان (٢ : ٣٠٥):

قال الطبرسي في تفسير الآية:

وقيل في معناه أقوال:

أحدها: إنّ المراد به: إنّي قابضـك برفعك من الأرض إلى السّماء من غير وفاة بموت، عن الحسن وكعب وابن جريج وابن زيد والكلبي وغيرهم.

وعلى هذا القول يكون للمتوفى تأويلان:

أحدهمـا: إنّي رافعـك إليّ وافيًا لم ينالوا منك شـيئًا من قولهـم: توفيت كذا واستوفيته أي: أخذته تامًّا.

والآخر: إنّي متسلّمك، من قولهم: توفّيت منه كذا: أي تسلّمته.

وثانيها: إنّي متوفّيك وفاة نـوم...، عن الربيع قال: رفعـه نائمًا، ويدلّ عليه قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾[2] أي يُميتكم لأنّ النوم أخو الموت...

وثالثها: إنّي متوفّيـك وفـاة نـوم عـن ابـن عباس ووهـب قـالا: أماته الله ثـلاث سـاعات، فأمّـا النحويّون فيقولون: هو علـى التقديم والتأخـير أيّ إنّي رافعك ومتوفّيك...

(ثمّ قال): ويدل عليه ما رُوي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: (إنّ عيسى بن مريم لم يمت وإنّه راجع إليكم قبل يوم القيامة)، وقد صـحّ عنه ﷺ أنّه قال: (كيف أنتم إذا

---

(١) النساء: الآيات ١٥٦ - ١٥٨.

(٢) الأنعام: آية ٦٠.

نــزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم) رواه البخاري ومسـلم في الصـحيح، فعلى هذا يكون تقديره: إنّي قابضك بالموت بعد نزولك من السّماء».

النص الثالث:

سورة الكهف / الآيات ١١، ١٢، ١٨، ٢٥:

- ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا، ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[١].
- ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[٢].
- ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾[٣].

هذه الآيات القرآنيّة تتحدّث عن «أصـحاب الكهف» وقد بقوا أحياءً وهم نيام، وكلبهم باسـطٌ ذراعيه بالوسـيط، واسـتمرّوا في رقدتهم ثلاثَ مائةٍ سـنين وازدادوا تسعًا.

ولم يتحـدّث القرآن عن أعمارهم قبل الرّقـدة الطويلة، وكم بقوا بعد أن بُعثوا من رقدتهم؟

وإذا كانـت الحكمة الإلهيّة فرضـت أن يبقى هؤلاء الفتيـة الذين فرّوا بدينهم هذه السـنين رقودًا، ثمّ بعثهم الله سـبحانه، فقد فرضت حكمة الله أن يبقى «الإمام المهديّ» هذا العمر المديد، وسـوف يظهر بإذن الله تعالى ليملأ الأرض عدلًا وقسـطًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا.

---

(١) الكهف: آية ١١ و١٢.

(٢) الكهف: آية ١٨.

(٣) الكهف: آية ٢٥.

قد يقال:

إنّ أصحاب الكهف أخبر عنهم قرآنٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

قلنا:

والإمام المهديّ أخبر عنه نبيّ لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾(١).

وكون المسألة في «قصّة المهديّ» غيبًا من غيب الله تعالى، فالإيمان به خاضعٌ لتوفّر «الإثباتات الشرعيّة»، وحيث تثبت لدينا - وبكلّ اطمئنانٍ - صحّة ما صدر عن رسول الله ﷺ في شأن «الإمام المهديّ» عليه السلام فلا مناص من التسليم والإذعان والتصديق.

ولا تُشكّل «مسألة العمر» سببًا للرّيبة والشّك والتردّد والتوقّف ما دام ذلك ممكنًا ضمن مسارات «الحكمة الإلهيّة» كما حدث لعيسى والخضر والياس من أولياء الله، وكما حدث لإبليس والدّجال من أعداء الله.

النص الرابع:

سورة الحجر / الآيات ٣٦، ٣٧، ٣٨.

سورة ص / الآيات ٧٩، ٨٠، ٨١.

- ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ، إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾(٢).

---

(١) النجم: آية ٤.

(٢) الحجر: الآيات ٣٦، ٣٧، ٣٨.

- صدر الأمر الإلهي إلى الملائكة بالسجود لآدم ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ﴾(١).
- فاستجاب الملائكة لأمر الله تعالى ﴿فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾(٢).
- وتمرّد أبليس على الأمر الإلهي ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾(٣).
- وبرّر تمرّده وعصيانه بقوله ﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾(٤).
- وجاء الطّرد الإلهيّ ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ، وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾(٥).
- طرده الله من الجنّة مهينًا ذليلًا تلاحقه اللعنة الإلهيّة إلى يوم القيامة.
- وهنا يطلب إبليس من الله جلّ وعلا أن يمنحه البقاء في الدنيا إلى يوم القيامة ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.
- فاستجاب الله سبحانه طلبه ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ، إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾.

وهكذا كان لله حكمة في ذلك...

فمتى ما اقتضت حكمة الله أن يطول «عمر نبيٍّ من الأنبياء» أو «عمر وليٍّ من الأولياء» أو «عمر شقيٍّ من الأشقياء» منحه الله تعالى ذلك العمر مهما طال وامتدّ، وتبقى الإرادة المطلقة له سبحانه...

من خلال ما تقدّم من نصوص قرآنيّة نخلص إلى القول بأنّ «فرضيّة العمر الطويل» فيما يتجاوز المألوف فرضيّة تملك «شواهد قرآنيّة».

---

(١) الأعراف: آية ١١.
(٢) الحجر: آية ٣٠.
(٣) ص: آية ٧٤.
(٤) الأعراف: آية ١٢.
(٥) ص: آية ٧٧، ٧٨.

ثانيًا: آيات قرآنية فُسّرت - من خلال بعض تطبيقاتها وتأويلاتها - بالإمام المهديّ:

من هذه الآيات:

(١) قوله تعالى في سورة التوبة / الآية ٣٣:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

أ- عن عباية أنّه سمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول:
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أظهر بعد ذلك؟ قالوا: نعم، قال: كلا، فوالذي نفسي بيده حتى لا تَبْقَى قريةٌ إلّا وينادَى فيها بشهادةِ أنْ لا إلهَ إلّا الله بُكرةً وعَشيًّا»[1].

ب- عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ:
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.
فقال: «واللهِ ما نَزَلَ تأويلُها بَعْدُ، ولا يَنْزِلُ تأويلُها حتّى يَخْرُجَ القَائِمُ [الإمام المهديّ]»[2].

جـ- محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السلام في قوله:
﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾
قال: «يُظْهِرُهُ عَلَى جَمِيعِ الأَدْيانِ عِنْدَ قِيامِ القَائِمِ [الإمام المهديّ] عليه السلام»[3].

د -عن ابن عباس في قول الله عزّ وجلّ:

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان ٩/ ٤٦٤ (كما جاء في المعجم الموضوعيّ لأحاديث الإمام المهديّ ص ٩٢٧).

(٢) الصّدوق: كمال الدين ٢: ٦٧٠ باب ٥٨/ حديث ١٦.

(٣) الكليني: الكافي ١: ٤٣٢/ ح٩١ (كما جاء في كتاب الغَيْبة للشفتي ١: ١٠٠).

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ليظهره وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

قال: «لا يكونُ ذلكَ حتَّى لا يبقى يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ولا صاحبُ ملّةٍ إلّا [دخل في] الإسلام - إلى أن قال - وذلكَ يكونُ عندَ قيامِ القائم ﷺ»[1].

هـ - عن أبي جعفر ﷺ - في تفسير الآية -:

«إنَّ ذلكَ يكونُ عندَ خروجِ المهديِّ منْ آلِ محمدٍ [ﷺ] فلا يبقَى أحدٌ إلّا أقرَّ بمحمدٍ [ﷺ]»[2].

و- عن سعيد بن جبير في تفسير قوله عزّ وجلّ:

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ليظهره وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ قال: «هو المهديّ من عترة فاطمة...»[3].

ز- عن أبي هريرة أنّه قال:

«هذا وعدٌ من الله بأنّه تعالى يجعل الإسلام عاليًا على جميع الأديان... - ثمّ قال الراوي - وتمام هذا إنّما يحصل عند خروج عيسى. وقال السُّدي: ذلك عند خروج المهديّ لا يبقى أحدٌ إلّا دخل في الإسلام أو أدّى الخراج»[4].

(٢) قوله تعالى في سورة النّور/ الآية ٥٥:

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

(١) الاسترآبادي: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٦٨٩/ ح٩ (كما جاء في كتاب الغَيْبة للشفتي ١: ١٠٢).
(٢) الطبرسي: مجمع البيان، تفسير الآية ٣٣ من سورة التوبة.
(٣) بيان الشافعي ص ٥٢٨ (كما جاء في المعجم الموضوعيّ لأحاديث الإمام المهديّ ف ٣٨ ص ٩٢٨).
(٤) تفسير الرازي ٦: ٣٣، في تفسير الآية ٣٣ من سورة التوبة.

أ- عن أبي عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام - في معنى الآية - قال: «نزلت في القائم وأصحابه»[1].

ب- في مجمع البيان (تفسير الآية ٥٥ من سورة النور): «واختُلف في الآية فقيل: إنّها واردةٌ في أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله ، وقيل: هي عامّة في أمّة محمد صلى الله عليه وآله عن ابن عباس ومجاهد، والمروي عن أهل البيت عليهم السلام: أنّها في المهديّ من آل محمد صلى الله عليه وآله، وروى العياشي بإسناده عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قرأ الآية وقال: هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل الله ذلك بهم على يدي رجلٍ منّا وهو مهديّ هذه الأمّة، وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجلٌ من عترتي، اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا) - إلى أن قال الطبرسي - وعلى هذا إجماع العترة الطاهرة، وإجماعهم حجّة لقول النبيّ صلى الله عليه وآله: (إنّي تاركٌ فيكم الثّقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) وأيضًا فإنّ التمكين في الأرض على الإطلاق لم يتفق فيما مضى فهو منتظرٌ لأنّ الله عزّ وجلّ لا يُخلف وعده».

(٣) قوله تعالى في سورة الأنفال/ الآية ٣٩:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ﴾.

وقوله تعالى في سورة البقرة/ الآية ١٩٣:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ﴾.

وقوله تعالى في سورة التوبة/ الآية ٣٦:

﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾.

أ- روى الكافي بإسناده الصحيح عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي جعفر

(١) النعماني: الغيبة ٢٤٧، ب ١٣، ح ٣٥. (ط١، ١٤٢٢هـ، أنوار الهدى، قم - إيران)

[الإمـام الباقـر] ﷺ: قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه﴾؟

فقـال: «لم يجئ تأويل هذه الآية بعد، إنّ رسـول الله ﷺ رخّص لهم لحاجته وحاجة أصـحابه، فلو قد جاء تأويلها لم يقبل منهم لكنهم يقتلون حتى يُوحّد الله عزّ وجلّ، وحتى لا يكون شرك»[1].

ب- روى زرارة وغـيره عن أبي عبد الله [الإمام الصّـادق] ﷺ أنّه قال: «لم يجـئ تأويل هـذه الآية ولو قام قائمنا بعد سَـيَرى من يدركه ما يكـون من تأويل هذه الآية، وليبلغنّ دين محمد ﷺ ما بلغ الليل حتى لا يكون مشرك على ظهر الأرض كما قال الله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[2]»[3].

ج- عـن المفضّـل بن عمر قال: سـألت سـيّدي أبـا عبد الله جعفـر بن محمد الصّادق ﷺ - في حديث طويل جاء فيه - قلت: قوله ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه﴾[4] ما كان رسول الله ﷺ ظهر على الدين؟ قال: «يا مفضّل لو كان ظهر على الدين كلّه ما كان مجوسـيّة ولا نصـرانيّة ولا يهوديّة ولا صـابئة، ولا فرقة ولا خلاف ولا شكّ ولا شـرك ولا عبدة أصـنام ولا أوثان... - إلى أن قال - وإنّما قوله ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه﴾ في هذا اليوم وهـذا المهديّ، وهذه الرجعة وهو قولـه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّه﴾»[5].

---

(١) الكليني: الكافي ٨: ٢٠١/ ٢٤٣ (كما في كتاب الغَيْبة للشفتي ١: ٩٩).

(٢) النّور: آية ٥٥.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان ٤: ٤٦٦ (تفسير الآية ٣٩ من سورة الأنفال).

(٤) الصّف: آية ٩.

(٥) الحلّي: مختصر البصـائر. ص ١٧٨ (كما جاء في المعجم الموضـوعي لأحاديث الإمام المهديّ ف ٣٨ ص ٩٢٩ - ٩٣٠).

(٤) قوله تعالى في سورة القصص / الآية ٥، ٦:

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾.

«وردت بعض الروايات عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في الاستشهاد بهذه الآية في موارد معيّنة، كما في مسألة الإمام المهديّ عجل الله فرجه ونحوها، والظاهر أنّها من باب الاستيحاء والتطبيق، باعتبار أنّ الآية توحي بأنّ سيطرة المستكبرين لا بدّ من أن تعقبها سيطرة المستضعفين، ممّا يجعل من القضيّة سنّة إلهيّة، ويوحي بأنّ النهاية في الدنيا سوف تكون للمستضعفين الذين يكونون ورثة الأرض وخلفاء الله»[1].

أ- وقد صحّت الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «والذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة، لتعطفن الدنيا علينا بعد شِماسها، عطف الضّروس على ولدها - وتلا عقب ذلك - ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾».

الشِّماس بالكسر: امتناع ظهر الفرس من الركوب.

والضّروس بفتح وضم: الناقة السيّئة الخُلُق تعضّ حالبها أي: إنّ الدنيا ستنقاد لنا بعد جموحها وتلين بعد خشونتها كما تنعطف الناقة على ولدها وإن أبت على الحالب (نهج البلاغة شرح محمد عبده، ج٤، ص ٤٧).

انظر:

- نهج البلاغة: الباب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام/ الرقم ٢٠٩.
- شواهد التنزيل ١: ٤٣١، ٤٣٢ (كما جاء في المعجم الموضوعيّ لأحاديث الإمام المهديّ ف ٣٨ ص ٩٢٥).

---

(١) محمد حسين فضل الله: تفسير من وحي القرآن ١٧: ٢٦٥ (سورة القصص: ٥، ٦).

- خصائص الأئمّة ص ٧٠ (المعجم الموضوعيّ ص ٩٢٥).
- مجمع البيان ٧: ٤١٤ (تفسير الآية ٥ من سورة القصص).
- شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٩ (المعجم الموضوعي ٩٢٦).
- شرح ابن ميثم البحراني ٥: ٩٨٤/ باب المختار من حِكم أمير المؤمنين/ الرقم ١٩٤.
- تأويل الآيات ١: ٤١٣ (المعجم الموضوعيّ ٩٢٦).
- البرهان ٣: ٢١٨ (المعجم الموضوعيّ ٩٢٦).
- البحار ٢٤: ١٦٧، ١٧٠ (المعجم الموضوعيّ ٩٢٦).

ب- عن عليّ عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ...﴾ قال: «هم آل محمد [صلى الله عليه وآله] يبعث الله مهديَّهم بعد جهدهم فيعزّهم ويذلّ عدوهم».

انظر:

- غيبة الطوسي ص ١١٢.
- منتخب الأنوار ١٧ (كما جاء في المعجم الموضوعيّ لأحاديث الإمام المهديّ ف ٣٨ ص ٩٢٥).
- إثبات الهداة ٥: ١٢٢/ ٢٩٨.

ملاحظة:

للتوسّع في معرفة الآيات القرآنيّة المفسّرة - تأويلًا وتطبيقًا واستيحاءً - بالإمام المهدي اقرأ:

- كتاب الغَيْبة للسيد أسد الله الشفتي: الجزء الأول.
- المعجم الموضوعيّ لأحاديث الإمام المهديّ للكوراني: الفصل ٣٨.
- معجم أحاديث الإمام المهديّ تأليف مؤسسة المعارف الإسلاميّة - الجزء السابع.

السَّند الدينيّ من السنَّة

توفَّـرت مصـادر الحديث علـى عدد كبـير من الأحاديـث والرّوايـات، يمكن اعتمادها أدلّة للبرهنة على «بقاء الإمام المهديّ وامتداد عمره».

ويمكن أن نصنّف هذه الأحاديث إلى منظومتين:

- **المنظومة الأولى: الأحاديث العامّة.**
- **المنظومـة الثانيـة: الأحاديـث الخاصّـة التـي أخبرت عـن غَيْبة الإمام المهديّ وامتداد عمره.**

المنظومة الأولى
الأحاديث العامّة

وهي منظومة الأحاديث والروايات التي تُشكّل بمدلولها الالتزامي - لا بمدلولها المطابقي - أدلّةً يمكن اعتمادها لإثبات المدّعى في بقاء الإمام المهديّ وامتداد عمره.

وتتمثّل هذه المنظومة في العناوين التالية:

١- حديث «الأئمّة اثنا عشر آخرهم المهديّ».

٢- حديث «أنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله تعالى».

٣- حديث «من مات ولم يعرف إمام زمانه...».

٤- حديث الثّقلين.

العنوان الأول

«الأئمّة اثنا عشر آخرهم المهديّ»

عالجنا هذا الحديث - سندًا ومتنًا - في أكثر من فصلٍ من فصول هذه الدراسة، إلّا أنّ سياقات البحث - هنا - تفرض استحضاره من جديد، مجرّدًا عن قراءاته السنديّة إلّا من بعض الاستشهادات.

ما نثبته هنا: مراجعةً عاجلةً لـ «صِيَغ الحديث» كما دوّنتها المصادر المعتمدة.

أولًا: الصِيَغ الإجماليّة المبهمة:

● «اثنا عشر أميرًا كلّهم من قريش».

دوّنت هذه الصيغة مجموعة مصادر منها:

١- صحيح البخاري ٩: ٧٢٩/ ٢٠٣٤.

٢- سنن الترمذي (كتاب الفتن ب ٤٦/ ح ٢٢٢٣).

٣- مسند أحمد بن حنبل ٥: ٩٠، ٩٧.

٤- الملاحم لابن المنادي ص ١١٢.

٥- المعجم الكبير للطبراني ٢: ٢٤١.

٦- السنن الواردة في الفتن ٥: باب ما جاء في من يلي أمر هذه الأمّة/ ح ١٠.

● «اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش».

دوّنت هذه الصيغة مجموعة مصادر منها:

١- صحيح مسلم (كتاب الإمارة/ باب الناس تبع قريش والخلافة في قريش).

٢- سنن أبي داوود (كتاب المهديّ).

٣- مسند الطيالسي ٣: ١٠٥/ ح ٧٦٧.

٤- مسند أحمد بن حنبل ٥: ٨٦، ٨٧، ٩٣، ١٠٦.

٥- الفتن لنعيم بن حماد ١: ٣٩ ب٧/ ح٢.

٦- المعجم الكبير للطبراني ٢: ٢١٤/ ح ١٧٩٢، ١٧٩٣.

٧- ٢: ٢١٥/ ١٧٩٦، ١٧٩٨، ١٧٩٩.

٨- الملاحم لابن المنادي ص ١١٣.

٩- كنز العمّال ١٢: ٣٣/ ٣٣٨٥٦.

• **«اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل».**

دوّنت هذه الصيغة المصادر التالية:

١- المستدرك للحاكم النيسابوري ٤: ٥٠١.

٢- مسند أحمد بن حنبل ١: ٣٩٨.

٣- كنز العمال ١٢: ٣٣/ ٣٣٨٥٧.

٤- منتخب كنز العمّال ٥: ٣١٢.

٥- تاريخ الخلفاء ص ٧.

٦- مجمع الزوائد ٥: ١٩٠.

٧- الدّر المنثور (في تفسير قوله تعالى: وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا).

٨- ينابيع المودة ص ٢٥٨.

٩- مسند أبي يعلى ٨: ٤٤٤/ ح ٦٥ (٥٠٣١).

• **«اثنا عشر قيّما كلهم من قريش».**

دوّن هذه الصيغة:

الطبراني في المعجم الأوسط ٣: ٤٣٧

قراءة هذه الصِيَغ المجملة:

تقدّمت القراءة التفصيليّة لهذه الصِيَغ، وخلُصنا من خلال تلك القراءة إلى وجود قراءتين:

- **الأولى: القراءة المعتمدة عند علماء المسلمين السنّة:**

وأشار البحث إلى مجموعة محاولات (أربع عشرة محاولة) عبّرت عن هذه القراءة، ولم تصمد جميع تلك المحاولات أمام النقد والمحاسبة؛ ممّا أسقط القراءة الأولى.

- **الثانية: القراءة المعتمدة عند علماء المسلمين الشيعة الاثني عشريّة:**

وقد استطاعت هذه القراءة أن تجد تطبيقًا واضحًا للعدد (١٢) في منظومة «الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام»، وإذا ألغينا هذا الفهم، فسوف لن نجد تفسيرًا مقبولًا لتلك الأحاديث الصحيحة المدوّنة في أهمّ مصادر الحديث المعتمدة عند المسلمين.

وفي ضوء هذه النتيجة يرتفع الإجمال والإبهام في تلك الصِيَغ، لتكون ممهدةً لأحاديث أخرى صريحة كلّ الصراحة في مدلولاتها وتطبيقاتها كما سنرى.

ثانيًا: أحاديث فسّرت الإجمال في الصِيَغ السّابقة:

ونضع هذه الأحاديث ضمن أربع مجموعات:

المجموعة الأولى:

أحاديث نصّت على عدد الأئمّة من أهل البيت:

وجاء هذا النصّ من خلال عدّة صِيَغ:

- «الأئمّة من بعدي اثنا عشر».
- «الأئمّة من بعدي اثنا عشر من أهل بيتي».
- «اثنا عشر من عترتي أو من ذرّيتي».
- «سيكون من بعدي أئمّة على الناس من الله من أهل بيتي».
- «الأئمّة من ولد عليّ وفاطمة إلى أن تقوم السّاعة».
- «من أهل بيتي اثنا عشر محدّثا».
- «أهل بيتي عترتي من لحمي ودمي وهم الأئمّة من بعدي عدد نقباء بني إسرائيل».
- «الأئمّة من بعدي من عترتي [أو من أهل بيتي] بعدد نقباء بني إسرائيل».
- «كيف تهلك أمّة أنا أوّلها واثنا عشر من بعدي أئمّتها».
- «هذا الأمر يملكه بعدي اثنا عشر إمامًا تسعة من صلب الحسين».
- «اثنا عشر من أهل بيتي أعطاهم الله علمي وفهمي».
- «الأئمّة بعدي بعدد نقباء بني إسرائيل أعطاهم الله علمي وفهمي».
- «يكون بعدي أئمّة قوّامون بالقسط بعدد نقباء بني إسرائيل».

هذه الصِيَغ المتعدّدة مدوّنةٌ في مجموعة من المصادر الحديثيّة نذكر منها:

١- الكافي ٦: ٢/ ح ٢ (كما في إثبات *الهداة* ٢: ٩/ ١٥).

٢- كمال الدين للصّدوق ١: ٢٨١/ ح ٣٣.

٣- عيون أخبار الرّضا ١: ٦٤/ ح٣٢.

٤- الاختصاص للمفيد ص ٢٠٨.

٥- غَيبة النعماني ٦٦ (كما في إثبات الهداة ٢: ٢٠٠/ ٦٦٠).

٦- إثبات الرجعة للفضل بن شاذان (كما في إثبات الهداة ٢: ٢٢٣/ ٨١٠).

٧- بصائر الدرجات ٥٢/ ح١، ٣٤٠/ ح ٤.

٨- كفاية الأثر ٢٩، ٣٤، ٦٩، ٧٦، ٨٩، ٩١، ١٠٤، ١١٤، ١٢٩، ١٥٤ (وفي مواضع أخرى كثيرة).

٩- البحار ٣٦: ٢٣٠ ب ٤١/ ح ٨٨.

١٠- إثبات الهداة ٢/ الباب التاسع.

قراءةٌ سندية في بعض أحاديث المجموعة الأولى:

الحديث الأول: الكافي ١: ٢١٥/ ح١:

●● عن أبي جعفر [الإمام الباقر] عليه السلام قال:

«لما نزلت هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[1] قال المسلمون: يا رسول الله ألستَ إمام النّاسِ كُلِّهِم أجمعين؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا رسولُ اللهِ إلى النّاسِ أجْمَعِينَ، ولكنْ سيكونُ مِنْ بعدِي أئمَّة على النّاسِ مِنَ اللهِ، مِنْ أهلِ بَيْتِي... إلى آخر الحديث».

رجال الإسناد:

● **ثقة الإسلام الكليني:**

- «شيخ المحدّثين المشهور - تقدّم في أسانيد كثيرة».

● **محمد بن يحيى العطّار:**

- «أحد أعلام الشيعة الثّقات، شيخ الكليني - تقدّم في أسانيد كثيرة».

● **أحمد بن محمد:**

- [مردّد بين الأشعري والبرقي وكلاهما ثقة - تقدّم ذلك].

---

(١) الإسراء: آية ٧١.

- **الحسن بن محبوب:**
- «من أجلّاء الفقهاء الثّقات - تقدّم في أسانيد كثيرة».
- **عبد الله بن غالب الأسدي:**
- «فقيه، من ثقاة الرواة» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٥٢٢.
- **جابر [بن يزيد الجعفي]:**
- «من الفقهاء الأجلّاء الثّقات» موسوعة طبقات الفقهاء ١/ ١١٠.

●● عن أبي جعفر ﷺ [الإمام الباقر].

الحديث الثاني: الكافي ١: ٥٣٢/ ح١٠:

●● عن أبي جعفر ﷺ قال:

«إنَّ الله أرسلَ محمَّدًا ﷺ إلى الجنِّ والإنسِ، وجَعَلَ مِنْ بعدِهِ اثنى عَشَرَ وَصِيًّا...».

رجال الإسناد:

- **ثقة الإسلام الكليني:**
- «تقدّم في الإسناد السابق».
- **عليّ بن إبراهيم القمّي:**
- «من أعلام الفقهاء الثّقات صاحب التفسير المعروف - تقدّم في أسانيد كثيرة».
- **محمد بن عيسى بن عبيد:**
- «محدّث جليل وفقيه كبير، من الثّقات المعتمدين» موسوعة طبقات الفقهاء

○ **محمد بن الفضيل الأزدي:**

- «أحد الفقهاء الذين تُؤخذ عنهم الفتاوى والأحكام» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ١١٥٩.

○ **أبو حمزة الثَمالي ثابت بن أبي صفية:**

- «من خيار رجال الشيعة وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث» موسوعة طبقات الفقهاء ١/ ١٠٨.

○○ عن أبي جعفر [الإمام الباقر] عليه السلام.

الحديث الثالث: كمال الدين ١: ٢٤١ ب ٢٢ / ح ٦٤:

○○ عن الصّادق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن عليّ عن أبيه عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين بن عليّ عليهم السلام قال:

«سُئلَ أميرُ المؤمنينَ صلواتُ اللهِ عليهِ عنْ معنَى قولِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله (إنّي مُخلّفٌ فيكم الثّقلين كتابَ اللهِ وعترتي) مَنْ العترةُ؟

فقال: أنَا والحسنُ والحسينُ والأئمّةُ التسعةُ من ولدِ الحسينِ تاسِعُهُم مهديُّهُم وقائِمُهُم لا يُفارقونَ كتابَ اللهِ حتّى يَرِدُوا على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله حوضَهُ».

رجال الإسناد:

● **أبو جعفر محمد بن عليّ الصّدوق:**

- «رئيس المحدثين اتّفقت الكلمات على وثاقته وجلالة قدره - تقدّم في أسانيد كثيرة».

● **أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني:**

- «قال الصّدوق عنه: كان رجلاً ثقة ديّنا فاضلاً رحمة الله عليه ورضوانه... وكان من مشايخه...» الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ١/ ٣٤٧.

- **عليّ بن إبراهيم القمّي:**

- «تقدّم في الإسناد السابق».

- **إبراهيم بن هاشم القمّي:**

- «اعتمد على حديثه الأجلّاء وهو من شيوخ الإجازة، وصحّح العلّامة جملة من الطرق هو فيها» منتهى المقال ١/ ٩٢.

- **محمد بن أبي عمير:**

- «من أوثق النّاس عند الخاصّة والعامّة وأنسكهم، وأورعهم وأعبدهم - تقدّم في أسانيد كثيرة».

- **غياث بن إبراهيم الأسدي التميمي:**

- «كان محدّثًا ثقة من أصحاب الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام لزمه شديدًا وأخذ عنه الحديث» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٥٩٦.

●● عن الصّادق جعفر بن محمد عليه السلام.

مصدر آخر للحديث:

مختصر إثبات الرجعة للفضل بن شاذان ص٤٤٨ عدد ١٥ (كما جاء في معجم أحاديث المهديّ ٤: ٢١٩).

رجال الإسناد:

- **الفضل بن شاذان:**

- «من كبار فقهاء الإماميّة وثقاتهم - تقدّم في أسانيد كثيرة».

- **بقيّة السند كما جاء في كمال الدين.**

المجموعة الثانية:

أحاديث صرّحت بأسماء بعض الأئمّة:

دوّن هذه الأحاديث عددٌ كبيرٌ من الأعلام منهم:

١- الفضل بن شاذان النيسابوري (ت/ ٢٦٠ هـ) في كتابه (الغَيْبة = إثبات الرجعة) [بواسطة كفاية المهتدي وغيره].

٢- أبو جعفر محمد بن الحسن الصفّار (ت/ ٢٩٠هـ) في كتابه (بصائر الدّرجات) [في مواضع كثيرة].

٣- عليّ بن إبراهيم القمّي (كان حيًّا سنة ٣٠٧هـ) في تفسيره المشهور ١: ١٩٢.

٤- ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني (ت/ ٣٢٩هـ) في كتابه المعروف (الكافي) الجزء الأول: ٢٠٨ - ٢١٠/ الأحاديث ٣، ٥، ٦، ٧ (وفي مواضع أخرى).

٥- محمد بن إبراهيم النعماني (معاصرٌ للشيخ الكليني) في كتابه (غَيبة النعماني) ص ٦٧، ٧٠، ٧١، ٧٣ (وفي مواضع أخرى).

٦- أبو جعفر محمد بن عليّ الصّدوق (ت/ ٣٨١ هـ) في عدّة من كتبه:

- كمال الدين: الباب ٢١، ٢٢، ٢٤ (أحاديث كثيرة).
- عيون أخبار الرّضا: الجزء ١: ٦٠/ ٢٤، ٢٥.
- الخصال ص ٤٨٠/ ٥١.
- معاني الأخبار ٧٩/ ١، ٩٠/ ١.

٧- أبو القاسم عليّ بن محمد الخزّاز القمّي (من تلامذة الصّدوق) في كتابه (كفاية الأثر)/ النصوص على عدد الأئمّة.

٨- الشيخ المفيد (ت/ ٤١٣ هـ) في كتابيه (الأمالي) و(الإرشاد).

٩- الحافظ أبو الفتح محمد بن أبي الفوارس (ت/ ٤١٢هـ) في كتابه (الأربعين)

مخطوط، توجد نسخة منه في المكتبة الرضويّة تحت الرقم ٨٤٤٣.

١٠-أبوجعفر الطوسي شيخ الطائفة (ت/٤٦٠هـ) في كتابيه (الغَيْبة) و(الأمالي).

قراءة سندية في بعض أحاديث المجموعة الثانية:

الحديث الأول: كتاب الغَيْبة للفضل بن شاذان (كما في كفاية الأثر ١٦٨).

●● عن أبي عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الحسن عليه السلام قال: سألت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله عن الأئمّة بعده فقال: «الأئمّةُ بعدي بعددِ نُقباءِ بَني إسرائيلَ اثنا عَشَر، أَعطاهُم اللهُ عِلْمي وفهمي وأنت منهم يا حسنُ».

رجال الإسناد:

● **الفضل بن شاذان النيشابوري:**

- «من كبار فقهاء الإماميّة، ثقة جليل القدر - تقدّم في أسانيد كثيرة».

● **محمد بن أبي عمير:**

- «تقدّم في أسانيد الحديث الثالث/ المجموعة الأولى».

● **حمّاد بن عثمان: [الفزاري]:**

- «أحد الفقهاء الذين أجمعت الشيعة على تصحيح ما يصحّ عنهم والإقرار لهم بالفقه» مجموعة طبقات الفقهاء ٢/ ٢٨٩.

● **أبو شعبه الحلبي:**

- «وثّقه النجاشي في ترجمة حفيده عبيد الله بن علي، ووثّقه العلّامة في الخلاصة» رجال النجاشي ج٢: ٣٧/ ٦١٠، الخلاصة ١٩١/ ٤٠.

●● عن أبي عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام.

الحديث الثاني: الكافي ١: ٢٠٩ / ح٥:

⊙⊙ عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام يقول:
قال رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:
«مـنْ أرادَ أنْ يَحيا حياتي ويموتَ ميتَتي، ويدخُلَ جَنَّةَ عَدْنٍ التي غَرَسـها ربّي بيَدِهِ فَليَتَوَلَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ وليُوالِ وَليَّهُ ويُعادِ عَدُوَّهُ، ويُسَلِّمْ للأوصيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ، فَإنَّهم عِتْرَتي مِنْ لَحْمِي ودَمِي، أعْطاهُم اللهُ فَهْمِي وعِلْمِي...».

رجال الإسناد:

- **ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني:**
- «شيخ المحدّثين المشهور - تقدّم في أسانيد كثيرة».

- **عدّة من أصحابنا:**
- «العدّة في إسناد الكليني تعني مجموعةً من الأجلاّء الثّقات - وقد تقدّم توضيح ذلك».

- **أحمد بن محمد بن عيسى:**
- «ثقة، شيخ القمّيين ووجههم وفقيههم غير مدافع - تقدّم في عدّة أسانيد».

- **الحسين بن سعيد الأهوازي:**
- «الفقيه المحدّث صاحب التصانيف الكثيرة، وأحد العلماء المبرّزين، والثّقات الصالحين» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٨٩١.

- **فضالة بن أيوب الأزدي:**
- «محدّث جليل، ثقة في الحديث، أحد الفقهاء المعتمدين» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٥٩٨.

○ **أبو المعزا [حميد بن المثنّى]:**

- «من أجلّة الفقهاء، وقال عنه النجاشـي: ثقة ثقة» رجال النجاشي ج١: ٣٢٢/ ٣٣٨، موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٢٩٣.

○ **محمد بن مسلم الثقفي:**

- «أحد الفقهاء الأعلام الثّقات المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفُتيا والأحكام - تقدّم في أسانيد كثيرة».

○ **أبان بن تغلب:**

- «مـن الفقهاء الأجلّاء الثّقات وكان محدّثًا، قارئًا، لغويًّا، له عند الأئمّة عليهم السلام منزلة كبيرة - تقدّم في أسانيد كثيرة».

●● قال: سمعت أبا عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام...

الحديث الثالث: كمال الدين ١: ٢٦٢ ب ٢٤/ ١٠:

●● عن سلمان الفارسي عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث طويل جاء فيه:

«والأوصياءُ بعدي أخِي عليٌّ ثمَّ حسنٌ ثمَّ حُسينٌ، ثمَّ تسعةٌ من ولدِ الحسين... إلى أن قال: ومنَّا والذي نفسي بيدِهِ مَهديُّ هذِهِ الأُمَّةِ الذي يَمْلأُ الأرضَ قِسطًا وعدلًا كَما مُلِئَتْ ظُلْمًا وجَوْرًا».

رجال الإسناد:

● **أبو جعفر محمد بن عليّ الصّدوق:**

- «رئيس المحدّثين، اتّفقت الكلمات على وثاقته وجلالة قدره - تقدّم في أسانيد كثيرة».

● **محمد بن الحسن الصفّار:**

- «أحد وجوه المحدّثين والفقهاء، ثقة، عظيم القدر، كثير التصانيف» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ١١٠٨.

• **يعقوب بن يزيد [بن حماد]:**

- «ثقة صدوق» منتهى المقال ٧/ ٣٢٨٢.

• **حمّاد بن عيسى الجهني:**

- «من الفقهاء المحدّثين وهو من الستّة الذين أجمعت الشيعة على تصحيح ما يصحّ عنهم والإقرار لهم بالفقه» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٩٠٥.

• **عمر بن أذينه:**

- «أحد وجوه الشيعة بالبصرة وشيوخهم، محدّث ثقة» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٥٧٨.

• **(١) أبان بن أبي عيّاش:**

- «أكثر الكلمات تتجه إلى تضعيفه وإن قال عنه ابن حِبّان في المجروحين (١/ ٩٦): وكان من العبّاد الذي يسهر الليل بالقيام ويطوي النّهار بالصيام».

ملاحظة:

الخدشة في أبان لا تضرّ بصحّة هذا الحديث، فهو لم ينفرد به، فقد شاركه في الرواية إبراهيم بن عمر اليماني.

• **(٢) إبراهيم بن عمر اليماني:**

- «وثّقه النجاشي في رجاله، ورجّح العلّامة في الخلاصة قبول روايته، وقال ابن مَعين: ثقة، وقال ابن حبّان في (الثّقات): كان من العبّاد الخشن، وقال في التقريب: صدوق».

انظر:

- منتهى المقال ١/ ٦١، تهذيب التهذيب ١/ ٢٢٥، التقريب ٢٢٠.

جميعًا عن:

- **سليم بن قيس الهلالي:**

- «ثقة في نفسه، جليل القدر، عظيم الشّأن، وحكم العلّامة بعدالته».

انظر:

- الخلاصة ٨٢/ ١، معجم رجال الحديث ٨/ ٥٣٩١.

- **سلمان الفارسي:**

- «من أجلّاء الصحابة».

- عن النبيّ صلى الله عليه وآله ...

المجموعة الثالثة:

أحاديث صرّحت بأسماء الأئمّة الاثني عشر:

دوّن هذه الأحاديث عددٌ كبيرٌ من الأعلام منهم:

١- الفضل بن شاذان النيشابوري (ت/ ٢٦٠ هـ) في كتاب (الغَيْبة = إثبات الرجعة) [كما عن كفاية المهتدي «الأربعين» ٨/ ١٥، ١٠/ ١، ٥٥/ ٤، ٦٩/ ١٠].

٢- أبو جعفر أحمد بن محمد البرقي (ت/ ٢٧٤ هـ) في كتابه (المحاسن) ص ٣٣٢.

٣- عليّ بن إبراهيم القمّي (كان حيًّا سنة ٣٠٧ هـ) في تفسيره المشهور ٢: ٤٤/ سورة الكهف.

٤- ثقـة الإسـلام الكليني (ت/ ٣٢٩هـ) في كتابه (الكافي) ١: ٨، ١: ٥٢٦، ٥٢٩.

٥- محمد بن إبراهيم النعماني (معاصرٌ للكليني) في كتابه (غَيبة النعماني) ٥٨ ب٤/ ح٢.

٦- أبو جعفر الصّدوق (ت/ ٣٨١ هـ) في عدّة من كتبه:

- من لا يحضره الفقيه ١: ٣٢٩/ ١، ٤: ١٧٦، ١٧٧.
- عيون الأخبار ٢: ١٢٩/ ١.
- الخصال ٤٧٩/ ٤٦.
- كمال الدين ١: ٢٥٣ ب ٢٣/ ٢.

١: ٢٥٨ ب٢٤/٣.

٧- علـيّ بن محمد الخـزّاز (من تلامذة الصّـدوق) في كتابه (كفاية الأثر) ٤٢، ١٥٦، ١٦٥، ١٧٧.

٨- أبو الصّلاح الحلبي (ت/ ٤٤٧ هـ) في كتابه (تقريب المعارف).

٩- أبـو جعفـر الطوسـي (ت/ ٤٦٠ هـ) في كتـاب (الغَيْبـة) ١٣٦/ ١٠٠، ١٥٠/١١١.

١٩- عليّ بن الحسـين المسـعودي (ت/ ٣٤٦ هـ) في كتابه (إثبات الوصـية) ص١٢١.

قراءةٌ سنديَةٌ في بعض أحاديث المجموعة الثالثة:

الحديث الأول: الكافي ١، ٥٢٦/ ح١:

●● عن أبي جعفر الثاني [الإمام الجواد] عليه السلام قال:

«أقبلَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام ومعهُ ابنهُ الحسنُ بنُ عليٍّ وهو متكئٌ على يدِ سلمانَ - الحديث طويل وفيه ذكر أسماء الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام -».

رجال الإسناد:

- **ثقة الإسلام الكليني:**

- «شيخ المحدّثين المشهور - تقدّم في أسانيد كثيرة».

- **عدّةٌ من أصحابنا:**

- «العدّة في إسناد الكليني تعني مجموعةً من الأجلّاء الثّقات - وقد تقدّم توضيح ذلك».

- **أحمد بن محمد البرقي:**

- «أحد كبار الفقهاء والمحدّثين، واسع الرواية، ثقة في الحديث، عارف بالسير والأخبار، وله باع في علم الرجال» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٧٨٨.

- **أبو هاشم داوود بن القاسم الجعفري:**

- «عظيم المنزلة عند الأئمّة ﷺ، شريف القدر، ثقة، أدرك الإمام الرّضا ﷺ وروى عنه، وعن الأئمّة: محمد الجواد، وعليّ الهادي، والحسن العسكريّ ﷺ، وقيل إنّه رأى الإمام المهديّ المنتظر عجّل الله فرجه». موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٩١٠.

●● عن أبي جعفر الثاني [الإمام الجواد] ﷺ.

إسنادٌ آخر للكليني: وروى الكليني الحديث بسندٍ آخر.

قال الكليني:

- **وحدّثني محمد بن يحيى [العطّار]:**

- «أحد أعلام الفقهاء، وشيخ الشيعة في وقته، ثقة، عين، كثير الحديث» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/١١٧١.

○ عن محمد بن الحسن الصفّار:

- «أحد وجوه المحدّثين والفقهاء، ثقة، عظيم القدر - تقدم».

○ عن أحمد بن أبي عبد الله [البرقي]:

- «تقدّم في الإسناد السابق».

○ عن أبي هاشم الجعفري:

- «تقدّم في الإسناد السابق».

إسنادٌ ثالث للصدوق: رواه الصّدوق في عيون الأخبار.

● الصّدوق:

- «اتّفقت الكلمات على وثاقته وجلالة قدره، وعظم منزلته - تقدّم».

○ عن أبيه عليّ بن الحسين بن بابويه:

- «أحد أعاظم الطائفة الإماميّة وكبار محدّثيها، شيخ القمّيين في عصره ومتقدّمهم وفقيههم وثقتهم» موسوعة طبقات الفقهاء ٤/١٤٨٨.

● ومحمد بن الحسن بن الوليد القمّي:

- «من أعاظم شيوخ الصّدوق روى عنه في كتبه، وكان يعتمد عليه ويتبعه فيما يذهب إليه» موسوعة طبقات الفقهاء ٤/١٥٧٧.

جميعًا عن:

● (١) سعد بن عبد الله القمّي:

- «من فقهاء الطائفة وأحد شيوخها ووجهائها الأجلّاء، محدّث، ثقة، واسع الأخبار، غزير العلم، كثير التصانيف» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/٩٢٤.

○ (٢) وعبد الله بن جعفر الحِميري:

- «من أجلّاء الفقهاء الثّقات - تقدّم في أسانيد كثيرة».

- **(٣) ومحمد بن يحيى العطّار:**

- «تقدّم في الإسناد السابق».

- **(٤) وأحمد بن إدريس الأشعري القمّي:**

- «من كبار فقهاء الشيعة، وثقات محدّثيهم وأحد مشايخ الكليني» موسوعة طبقات الفقهاء ٤/١٢٥١.

جميعًا عن:

- **أحمد بن أبي عبد الله البرقي:**

- «تقدّم».

- **[عن أبي هاشم الجعفري: «تقدّم»].**

- عن أبي جعفر الثاني عليه السلام.

إسنادُ رابع للصدوق:

رواه في العلل:

- **عن أبيه [عليّ بن الحسين بن بابويه]:**

- «تقدّم».

- **عن سعد بن عبد الله:**

- «تقدّم».

- **عن أحمد بن محمد [بن عيسى]:**

- «من الثّقات - تقدّم».

○ **عن ابن خالد البرقي:**

- «تقدّم».

○ **عن أبي هاشم:**

- «تقدّم».

إسنادٌ خامس للنعماني:

روى الحديث في كتاب (الغَيْبة) بإسناده إلى أحمد بن محمد البرقي، إلّا أنّه إسناد فيه مجاهيل، ويمكن أن ينجبر هذا الإسناد بالأسانيد الأخرى الصحيحة.

الحديث الثاني: الكافي ٣: ٣٢٥ ب٢٥/ ح١٧:

●● عن عبد الله بن جندب قال: سألت أبا الحسن الماضي [الإمام موسى بن جعفر] عليه السلام عمّا أقول في سجدة الشكر فقد اختلف أصحابنا فيه؟ فقال: «قل وأنت ساجد: اللهمّ إنّي أشهدك وأُشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك أنّك (أنت خ ل) الله ربّي والإسلام ديني ومحمدًا نبيّي وعليًا وفلانًا وفلانًا إلى آخرهم أئمّتي، بهم أتولّى، ومن أعدائهم أتبرّأ... الحديث».

رجال الإسناد:

● **ثقة الإسلام الكليني:**

- «شيخ المحدّثين المشهور».

● **عليّ بن إبراهيم [القمّي]:**

- «من أعلام الفقهاء الثّقات صاحب التفسير المعروف - تقدّم في أسانيد

كثيرة».

○ **إبراهيم بن هاشم القمّي [والد عليّ بن إبراهيم]:**

- «من شيوخ الإجازة المعتمدين - تقدّم».

○ **عبد الله بن جندب [البجلي]:**

- «محدّث ثقة، عابد رباني، رفيع المنزلة عند الإمامَين الكاظم والرّضا عليهما السلام» موسوعة طبقات الفقهاء ٥١٢/٢.

●● عن موسى بن جعفر عليه السلام...

إسنادٌ آخر للصّدوق:

ورواه الصّدوق في كتابه (من لا يحضره الفقيه) ج١ ص٣٢٩ باب سجدة الشكر، الحديث رقم ١ بإسناده إلى عبد الله بن جندب...

●● روى عبد الله بن جندب عن موسى بن جعفر عليه السلام أنّه قال:
«تقول في سجدة الشّكر: اللهمّ إنّي أُشهدك وأُشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك أنّك (أنت خ ل) الله ربّي، والإسلام ديني، ومحمدًا نبيّي، وعليًّا والحسن والحسين، وعليّ بن الحسين، ومحمد بن عليّ، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعليّ بن موسى، ومحمد بن عليّ، وعليّ بن محمد، والحسن بن عليّ، والحجّة بن الحسن بن عليّ أئمّتي، بهم أتولّى، ومن أعدائهم أتبرّأ... الحديث».

في طريق الفقيه إليه (٥٤) محمد بن عليّ بن ماجيلويه، وقد صحّح الطريق [العلّامة] في الخلاصة، وحكم [الخوئي] بضعفه في معجم الرجال (١٠/ ١٥١).

انظر:

- الموسوعة الرجاليّة الميسّرة: الجزء الثاني ص ٥١٠، الخاتمة/ الرقم ٢١٥.

وقد تابع عددٌ من المشايخ العلّامة في عدّ رواية محمد بن عليّ بن ماجيلويه صحيحة، ولا يبعد كونه من مشايخ الصّدوق، لكثرة روايته عنه مترضّيًا مترحّمًا، وفي الوسيط صرّح بوثاقته.

انظر:

- تعليقة الوحيد البهبهاني: ٣٠٩.

وذكره الجزائري في خاتمة قسم الثّقات، حيث استفاد عدالته من مجموعة قرائن.

انظر:

- حاوي الأقوال ١٧٢/ ٧١٤.

الطوسي في التهذيب:

ورواه شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في كتابه (تهذيب الأحكام ٢: ٣٠٠/ ١٩٥٢ كتاب الصلاة) بإسناده إلى محمد بن يعقوب الكليني وطريق التهذيب إلى الشيخ الكليني صحيح.

انظر:

- الموسوعة الرجاليّة الميسّرة، الجزء الثاني، الخاتمة/ الرقم ٢٤٦.

الحديث الثالث: كتاب الفضل بن شاذان [كما في كفاية المهتدي «الأربعين» ص ٦٩/ ح ١٠]:

•• محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر [الإمام الباقر] عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام:

«يا عليّ أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثمّ أنت يا عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم - واستمرّ الحديث في ذكر الأئمّة واحدًا بعد الآخر حتى الحجّة بن الحسن - الذي تنتهي إليه الخلافة والوصاية، ويغيب مدّة طويلة ثمّ يظهر ويملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما مُلئت جورًا وظلمًا».

رجال الإسناد:

- **الفضل بن شاذان:**

- «من كبار فقهاء الإماميّة ثقة، جليل القدر - تقدّم».

- **فضالة بن أيوب [الأزدي]:**

- «محدّث جليل ثقة في الحديث، فقيه...» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/٥٩٨.

- **أبان بن عثمان البجلي:**

- «محدّث، حافظ، فقيه، أحد الذين أجمعت الشيعة على تصحيح ما يصحّ عنهم والإقرار لهم بالفقه» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٢٨٣.

- **محمد بن مسلم:**

- «أحد الفقهاء الأعلام الثقات المأخوذ عنهم الحلال والحرام - تقدّم».

•• قال: قال أبو جعفر (الإمام الباقر) عليه السلام...

الصّدوق في الفقيه:

- قال أبو جعفر الصّدوق في كتابه (من لا يحضره الفقيه ٤/ ١٧٧):

«وقد وردت الأخبار الصحيحة بالأسانيد القويّة أنّ رسول الله ﷺ أوصى بأمر الله تعالى ذكره إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأوصى عليّ بن أبي طالب إلى الحسن، وأوصى الحسن إلى الحسين، وأوصى الحسين إلى عليّ بن الحسين، وأوصى عليّ بن الحسين إلى محمد بن عليّ الباقر، وأوصى محمد بن عليّ إلى جعفر بن محمد الصّادق، وأوصى جعفر بن محمد إلى موسى بن جعفر الكاظم، وأوصى موسى بن جعفر إلى ابنه عليّ بن موسى الرّضا، وأوصى عليّ بن موسى الرّضا إلى ابنه محمد بن عليّ [الجواد]، وأوصى محمد بن عليّ إلى ابنه عليّ بن محمد [الهادي]، وأوصى عليّ بن محمد إلى ابنه الحسن بن عليّ [العسكريّ]، وأوصى الحسن بن عليّ إلى ابنه حجّة الله القائم بالحقّ، الذي لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلًا وقسطًا كما مُلئت جورًا وظلمًا...

وقال الصّدوق: وقد أخرجت الأخبار المسندة الصحيحة في هذا المعنى في كتاب (إكمال الدين وإتمام النعمة) في إثبات الغَيْبة وكشف الحيرة».

المجموعة الرابعة:

الإمام المهديّ خاتمة الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام:

صرّحت بذلك أحاديث كثيرة مستفيضة صحيحة دوّنها الأعلام الكبار في مصنّفاتهم، نذكر منهم:

١- الفضل بن شاذان (ت/ ٢٦٠ هـ) في كتابه (الغَيْبة = إثبات الرجعة) ذكر ذلك (كفاية المهتدي ٨٢/ ١٦).

٢- عليّ بن إبراهيم القمّي (كان حيًّا سنة ٣٠٧ هـ) في تفسيره المعروف (٢:

٤٤/ سورة الكهف).

٣- الكليني (ت/ ٣٢٩ هـ) في (الكافي ١: ٥٣٣ ب ١٨٤/ ح ١٥).

٤- النعماني (معاصر للكليني) في كتاب (الغَيْبة ص ٩٤ ب ٤/ ح ٢٥).

٥- الصّدوق (ت/ ٣٨١ هـ) في كتاب (من لا يحضره الفقيه ٤: ١٧٩) وفي (كمال الدين ٢: ٢٥٠ ب ٢٣ ح ٤٥) وفي (الأمالي مجلس ٩١/ ح ١٠).

وفي (عيون الأخبار ١: ٦٠/ ٢٤) وفي (الاعتقادات ص ١٠٤، ١٢٢) وفي (الخصال ٢: ٨٠/ ٥٠).

٦- محمد بن عليّ الخزّاز (من تلامذة الصّدوق) في كتابه (كفاية الأثر ص ٢٣ ب ٢/ ح ١، ص ٨، ب ٣/ ح ١، ص ٣٠ ب ٢/ ح ٣، ص ٣١ ب ٣/ ٥ وفي مواقع كثيرة).

٧- أبو جعفر الطبري (من أعلام القرن الرابع) في (دلائل الإمامة ص ٦٩، ٢٤٠).

٨- ابن عياش الجوهري (ت/ ٤٠١ هـ) في كتابه (مقتضب الأثر ٨، ٩/ ح ٧، ٨).

٩- محمد بن أحمد بن أبي الفوارس (ت/ ٤١٢ هـ) في كتابه (الأربعين، الحديث ٤).

١٠- المفيد (ت/ ٤١٣) في (الإرشاد ٢: ٣٤٨ ب ٥٩/ ح ٦).

١١- أبو الصلاح الحلبي (ت/ ٤٤٧ هـ) في كتابه (تقريب المعارف ١٧٧، ١٧٨، ١٨٣ ق ٢).

١٢- الكراجكي (ت/ ٤٤٩) في كتابه (الاستنصار في النص على الأئمة الأطهار ٣١، ١٧٠).

١٣- الطوسي (ت/ ٤٦٠) في كتاب (الغَيْبة ١٤٠/ ١٠٤، ١٤٢/ ١٠٧، ١٥٤).

١٤- ابن شاذان (من أعلام القرن الخامس) في كتابه (مائة منقبة ١٢٤/ منقبة ٥٨).

١٥- الفتال النيسابوري (ت/ ٥٠٨) في كتابه (روضة الواعظين ١: ١٠٠).

١٦- أبو علي الطبرسـي (ت/ ٥٤٨) في كتاب (إعلام الورى ص ٤ ق ١ ف ٢).

١٧- الخوارزمي (ت/٥٦٨) في كتابه (مقتل الحسين ١: ١٤٦ ف ٧).

١٨- الراوندي (ت/٥٧٣) في (قصص الأنبياء ٣٦٠/ ٤٣٥).

١٩- ابن شهراشوب (ت/٥٨٣) في (المناقب ١: ٢٨٢).

٢٠- أبو منصور الطبرسي (ت/٥٨٨) في (الاحتجاج ٦٨، ٦٩).

٢١- أبـو الفتح الأربلي (فرغ من تأليف كتابه سـنة ٦٨٧ هـ) في كتابه (كشـف الغمة ٢: ٤٤٨).

٢٢- شـيخ الإسلام سـعد الدين الحموي الجويني (ت/٧٣٢) في كتابه فرائد السمطين ٢: ٣١٢، ٣١٣، السمط الثاني، ب ٦١/ ح ٥٦٢، ٥٦٤).

قراءة سنديّة في بعض أحاديث المجموعة الرابعة:

الحديث الأول: الكافي ١: ٥٣٣ ب ١٨٤ / ح ١٥:

●● عن أبي جعفر [الإمام الباقر] عليه السلام قال:
«يكونُ تسعةُ أئمّةٍ بعدَ الحسينِ بنِ عليٍّ تاسعُهُم قائِمُهُم».

رجال الإسناد:

● **ثقة الإسلام الكليني:**

- «شيخ المحدّثين المشهور - تقدّم».

● **عليّ بن إبراهيم:**

- «من أعلام الفقهاء الثّقات - تقدّم».

● **إبراهيم بن هاشم:**

- «معتمد عند الأجلّاء ومن شيوخ الإجازة - تقدّم».

○ **محمد بن أبي عمير:**

- «من أوثق الناس وأعبدهم وأورعهم - تقدّم في أسانيد كثيرة».

○ **سعيد بن غزوان:**

- «من الثّقات» رجال النجاشي ج١: ٤١٠/ ٤٧٧.

○ **أبو بصير:**

- [مـرددٌ بـين يحيى بن القاسـم وليث البخـتري وكلاهما ثقـة] معجم رجال الحديث ٢١/ ٤٧.

●● عن أبي جعفر عليه السلام...

- ورواه النعماني في (الغَيْبة ٩٤/ ٢٥) عن محمد بن يعقوب الكليني...

الحديث الثاني: كمال الدين ١: ٢٨٢ ب ٢٤/ ٣٥:

●● عـن علي بن الحسـين [زيـن العابدين] عن أبيه عن علـيّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ:

«الأئمّةُ منْ بعدي اثنا عَشَرَ أوَّلُهُم أنتَ يا عليُّ، وآخرُهُم القائمُ الذي يفتحُ اللهُ على يديْهِ مشارِقَ الأرضِ ومغارِبَها».

رجال الإسناد:

● **أبو جعفر الصّدوق:**

- «اتّفقت الكلمات على وثاقته وجلالة قدره - تقدّم في أسانيد كثيرة».

● **أحمد بن محمد بن يحيى العطّار:**

- «من مشايخ الصّدوق ذكره مترضّيًا عليه، من مشايخ الإجازة حكم الأصحاب

بصحّة حديثه...» منتهى المقال ١/ ٢٥١.

• **محمد بن يحيى العطّار:**

- «أحد أعلام الشيعة الثّقات - تقدّم».

• **محمد بن عبد الجبار [أبي الصهبان]:**

- «ثقة صاحب ثلاثة من أئمّة أهل البيت: الجواد والهادي والعسكريّ عليهم السلام» الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ٢/ ٤٧٠٠.

• **أبو أحمد محمد بن زياد الأزدي [محمد بن أبي عمير]:**

- «تقدّم في الإسناد السابق».

• **أبان بن عثمان:**

- «محدّث حافظ فقيه، أجمعوا على تصحيح ما يصحّ عنه - تقدّم».

• **ثابت بن دينار الثمالي [أبو حمزة الثمالي]:**

- «من خيار رجال الشيعة وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث - تقدّم».

الحديث الثالث: كمال الدين ١: ٢٤١ ب ٢٢ / ح ٦٤:

- حديث صحيح الإسناد.

انظر:

- المجموعة الأولى/ الحديث الثالث.
- ورواه الفضل بن شاذان في (إثبات الرجعة) تقدّم في نفس المجموعة.

الحديث الرابع: الكافي ١: ٥٢٦/ ح ١:

- حديث صحيح الإسناد.

انظر:

- المجموعة الثالثة/ الحديث الأول.
- وروى الحديث بعدّة أسانيد أخرى صحيحة.

الحديث الخامس: الكافي ٣: ٣٢٥ ب ١٩١/ ح ١٧:

- حديثٌ صحيح الإسناد.

انظر:

- المجموعة الثالثة/ الحديث الثاني.
- وروى بأسانيد أخرى صحيحة.

الحديث السادس: كتاب الفضل بن شاذان [كما في كفاية المهتدي ص ٦٩، الحديث ١٠].

- حديثٌ صحيح الإسناد.

انظر:

- المجموعة الثالثة/ الحديث الثالث.

خلاصة العنوان الأول - المنظومة الأولى

في دراستنا لهذا العنوان (الأئمّة اثنا عشر آخرهم المهديّ) نخلُص إلى النتائج التالية:

النتيجة الأولى:

توفّرنا على مجموعةٍ كبيرةٍ من الأحاديث الصحيحة أكّدت على كون الأئمّة بعد النبيّ ﷺ (اثني عشر إمامًا).

وجميع الصياغات الأخرى «الخلفاء، الأمراء، النقباء، الأوصياء... إلخ» كلّها تصبّ في معطى واحدٍ وهو «الأئمّة الاثنا عشر من أهل البيت» وأيّ معطى آخر لا يملك القدرة على تقديم تفسيرٍ مقبولٍ لتلك الأحاديث.

النتيجة الثانية:

توفّرنا على مجموعةٍ كبيرةٍ من الأحاديث الصحيحة أكّدت أنّ (الإمام المهديّ) هو خاتمة الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام... وهذا يعني أنّه قد وُلد بالفعل، ما دام الواقع التاريخيّ قد أثبت وجود الإمام الحادي عشر من أئمّة أهل البيت وهو «الحسن العسكريّ» ومن الطبيعي أن يكون خَلَفه المهديّ قد وُلد، والأدلّة على ذلك متوفّرة، تناولها البحث بالتفصيل عند معالجة «الإشكاليّة الثانية = إشكاليّة الولادة».

النتيجة الثالثة:

توفّرنا على مجموعة كبيرة من الأحاديث الصحيحة أكّدت أنّ (الإمام المهديّ) هو المؤهَّل لإصلاح العالم في آخر الزّمان، وحسب تعبير الأخبار المتواترة عند المسلمين أنّه «يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا».

النتيجة الرابعة:

إذا سلّمنا بصحّة النتائج الثلاث المتقدّمة فلا مناص من الإذعان والتسليم بصحّة النتيجة الرابعة والتي تؤكّد بقاء الإمام المهديّ وامتداد عمره الشريف إلى حين الظهور.

وهكذا يمكن اعتماد «أحاديث المجموعات المتقدّمة» والتي تُشكّل (العنوان الأول) دليلًا عامًّا في سياق «أدلّة السنّة» لإثبات بقاء الإمام المهديّ وامتداد عمره، ونترك الحديث عن الأدلّة الخاصّة إلى مباحث قادمة إن شاء الله.

العنوان الثاني
«الأرض لا تخلو من حجّة لله»

هذا العنوان تقدّم في مبحث سابق حينما عالجنا «إشكاليّة الولادة»، ويفرض البحث اعتماده مرّة أخرى في معالجة «إشكالية العمر الطويل»، ونظرًا لتوفّر البحث المتقدّم على دراسة الأحاديث سندًا ومتنًا، فلسنا في حاجة إلى إعادة ذلك.

ويمكن التذكير بأهمّ المصادر التي دوّنت أحاديث هذا العنوان:

١- أصول الكافي ١: ١٠١، كتاب الحجّة/ باب أنّ الأرض لا تخلو من حجّة:

في هذا الباب روى الكليني (ثلاثة عشر حديثًا) وتضمّ عددًا من الأحاديث الصحيحة، وأمّا المخدوشة سندًا فهي مجبورة؛ كونها مطابقة متنًا للأحاديث الصحيحة، وقد أكّد أئمّة الجرح والتعديل أنّ الأحاديث الموهونة سندًا تعتمد إذا طابقت متونها متون الأحاديث الصحيحة.

وفي باب لاحق تحت عنوان (لو لم يبق في الأرض إلّا رجلان لكان أحدهما الحجّة) روى الكليني «خمسة أحاديث» وهي تحمل نفس المضمون.

٢- كمال الدين: الجزء الأول/ الباب الثاني والعشرون (أنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله):

في هذا الباب روى أبو جعفر الصّدوق (خمسة وستين حديثًا) تحمل هذا المضمون (أنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله)، وتضمّ عددًا معتدًا به من الأحاديث الصحيحة، وما تبقى فهو مطابق في المتن أو قريب التطابق مع ما صحّ من متون.

٣- أخرجت مجموعة من المصادر كلامًا لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: «اللهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله حجّة».

هذا الكلام مدوّنٌ في (نهج البلاغة) حسب ما جمعه الشريف الرّضي (ت/ ٤٠٤ هـ).

وهناك مصادر أخرى دوّنت كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وبعضها سبقت الشريف الرّضي بكثير.

من هذه المصادر [سبق ذكرها في فصلٍ سابقٍ]:

١- المعيار والموازنة ص ٨١ للإسكافي المعتزلي (ت/ ٢٤٠ هـ).
٢- عيون الأخبار ص ٧ لابن قتيبة (ت/ ٢٧٦ هـ).
٣- تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٠٠ لليعقوبي (ت/ ٢٨٤ هـ).
٤- العقد الفريد ١: ٢٦٥ لابن عبد ربّه (ت/ ٣٢٨).
٥- تهذيب اللغة للأزهري (ت/ ٣٧٠ هـ).
٦- قوت القلوب ١: ٢٢٧ لأبي طالب المكي (ت/ ٣٨٦).
٧- المحاسن والمساوئ ص ٤٠ للبيهقي (ت/ ٤٥٨).
٨- تاريخ بغداد ٦: ٤٧٩ للخطيب البغدادي (ت/ ٤٦٣ هـ).
٩- المناقب ١٣ للخوارزمي الحنفي (ت/ ٥٦٨ هـ).
١٠- مفاتيح الغيب ٢: ١٩٢ للرازي الشافعي (ت/ ٦٠٦ هـ).
١١- شرح نهج البلاغة ١٨: ٣٥١ لابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٥).
١٢- المختصر ص ١٢ لابن عبد البر (ت/ ٧٣٧).
١٣- شرح المقاصد ٥: ٢٤١ للتفتازاني (ت/ ٧٩٣).
١٤- فتح الباري ٦: ٣٨٥ لابن حجر العسقلاني (ت/ ٨٥٢).
١٥- شرح نهج البلاغة ٤: ٦٩١ لمحمد عبده (ت/ ١٣٢٣).

ملاحظة:

اعتمدنا في ذكر هذه المصادر على الأستاذ ثامر هاشم العميدي في كتابه (دفاع عن الكافي ١: ٤٧٩ - ٤٨٠).

الصيغة الاستدلاليّة:

أكّد العنوان الثاني في مجموعة أحاديثه أنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله تعالى في كلّ الأعصر والأزمان وإنّ افتراض خلوّ الأرض في عصرٍ من العصور من وجود حجّة لله تعالى يعني افتراض الكذب في حقّ المعصوم الذي صدر عنه هذا الحديث.

فمتى ما سلّمنا بصحة الحديث وصدق المعصوم فلا يمكن أن نفترض زمانًا ما تخلو الأرض فيه من حجّة لله تعالى وهو «الإمام» لأنّه لا تقوم الحجّة لله إلّا به.

ويعني هذا - بالأدلّة الالتزاميّة - بقاء الإمام حيًّا ما دامت الأرض باقية، وما دام الإنسان موجودًا على الأرض.

قد يُقال: لماذا لا تقوم الحجّة لله بالعلماء الصلحاء والذين لا تخلو الأرض منهم في كلّ زمان؟

نقول: لا تقوم الحجّة لله على العباد إلّا بإنسانٍ معصوم، ليمثّل قوله وفعله وتقريره مصدرًا من خلاله تتحدّد معالم الدين كما جاءت من عند الله تعالى، وأمّا العلماء والفقهاء وإن كانوا في قمّة التقوى والصلاح فهم في معرض الخطأ والاشتباه، وفي معرض الاختلاف والتباين، بل وفي معرض المعصية والانحراف... فلا يصح أن يكون هؤلاء هم الحجّة التي تحدّث عنها هذا الحديث.

العنوان الثالث

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّة».

دوّنت هذا العنوان مصادر الحديث السنّيّة والشيعيّة، وقد تقدّم في فصلٍ سابق كلام مفصّل ومعالجات مستوعبة.

وللتذكير نضع بين يدي القارئ هذه المصادر:

أولًا: مصادر سنيّة:

١- مسند أحمد بن حنبل ٢: ٨٣، ٣: ٤٤٦.

٢- مسند أبي داوود الطيالسي ص ٢٥٩.

٣- المعجم الكبير للطبراني ١٠: ٣٥٠/ ١٠٦٨٧.

٤- المستدرك للحاكم النيسابوري ١: ٧٧.

٥- حلية الأولياء لأبي نعيم ٣: ٢٢٤.

٦- سنن البَيْهقي ٨: ١٥٦، ١٥٧.

٧- الكنى والأسماء ٢: ٣.

٨- جامع الأصول ٤: ٧٠.

٩- شرح صحيح مسلم للنووي ١٢: ٤٤٠.

١٠- مجمع الزوائد للهيثمي ٥: ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٣.

للتوسّع في معرفة المصادر انظر:

- ما تقدّم في الإشكاليّة الثانية/ السند الدينيّ.
- العميدي: دفاع عن الكافي ١: ٤٨٩، ٤٩٠.
- المهديّ المنتظر في الفكر الإسلاميّ (الهامش) ٧٨.

ثانيًا، مصادر شيعيّة،

١- قرب الإسناد ٣٥١/ ١٢٦٠ لعبد الله بن جعفر الحِميري (ت/ ٣١٠ هـ).

٢- بصائر الدرجات ٢٥٩، ٥٠٩، ٥١٠ لمحمد بن الحسن الصفّار (ت/ ٢٩٠ هـ).

٣- أصول الكافي للكليني (ت/ ٣٢٩ هـ).

أ- الجزء الأول: كتاب الحجّة/ باب أنّه من عرف إمام زمانه لم يضرّه تقدّم هذا الأمر أو تأخّر.

- في هذا الباب أخرج الكليني (سبعة أحاديث).

ب- الجزء الأول، كتاب الحجّة/ باب من مات وليس له إمامٌ من أئمّة الهدى.

- في هذا الباب أخرج الكليني (أربعة أحاديث).

ج- الجزء الأول، كتاب الحجّة/ باب معرفة الإمام والرد عليه.

- في هذا الباب أخرج الكليني (أربعة عشر حديثًا).

٤- الإمامة والتبصرة لعليّ بن الحسين بن بابويه القمّي والد الصّدوق (ت/ ٣٢٩ هـ) ص ٢١٩/ ٦٩ باب ١٨.

٥- رجال الكشّي (معاصرٌ للكليني) في ترجمة سالم بن أبي حفصه ٢٣٥/ ٤٢٨.

٦- كمال الدين لأبي جعفر الصّدوق (ت/٣٨١ هـ) ٢: ٤١٢ ، ٤١٣ ب ٣٩/ حديث ١٠، ١١، ١٢، ١٥.

للتوسع انظر:

- ما تقدّم في الإشكالية الثانية/ السند الدينيّ.
- المميدي: دفاع عن الكافي ١: ٤٩١.

الصيغة الاستدلاليّة:

ويتشكّل الاستدلال - هنا - على النحو التالي:

أولًا:

الحديث - في صيَغه المتعدّدة - يفترض وجود إمام في كلّ عصر، وإلّا لما كان معنىً لهذا التكليف الصارم، والمتحرّك في كلّ الأزمنة، والذي يؤكّد وجوب معرفة الإمام على كلّ إنسان ينتمي لهذا الدّين، وفيما تقدّم من بحوث شرحنا مفردات هذا الحديث وما تحمله من دلالات خطيرة.

ثانيًا:

وقد ثبت - من خلال الأدلّة المتوفّرة - أنّ آخر الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام هو «الإمام محمد بن الحسن العسكريّ عليه السلام» الثاني عشر في منظومة الأئمّة الأطهار، وقد تكفّل البحث في فصل متقدّم البرهنة على ولادة هذا الإمام، ولم يدّع أحد القول بوفاته. فالاتجاه الرافض للرأي الشيعي في مسألة المهديّ المنتظر لا يعتمد هذه الدعوى لوضوح بطلانها وإن ردّدها البعض، وإنّما يعتمد «التشكيك في أصل الولادة» وقد أثبتنا بطلان هذا الوهم.

ثالثًا:

فيتعين أن يكون «الإمام محمد بن الحسن العسكريّ» هو «إمام العصر» في المرحلة التاريخيّة التي أعقبت وفاة والده «الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام» وهي مرحلة ممتدّة متصلة بـ «يوم الظهور» حينما يأذن الله تعالى للإمام المهديّ عليه السلام أن يُمارس

مسـؤوليّته الكبرى في تطهـير الأرض من كلّ ظلمٍ وجورٍ، وانحرافٍ وفسـادٍ، وشـركٍ وضلالٍ...

رابعًا:

في ضوء ما تقدّم نخلُص إلى القول بأنّ «الإمام المهديّ المنتظر» حيٌّ يُرزق وقد امتدّ به العمر حتى يأذن الله له بالظهور، وهكذا يصـحّ أن نضـع أحاديث هذا الباب ضمن منظومة الأدلّة العامّة للبرهنة على بقاء الإمام وامتداد عمره الشريف.

العنوان الرابع
«حديث الثقلين»

حديث الثّقلين حديثٌ ثابتٌ متواترٌ دوّنته أهمّ مصادر الحديث والتفسير والتاريخ واللغة والأدب.

من أهم المصادر التي دوّنته:

١- صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣/ حديث ٢٤٠٨.

٢- جامع الترمذي ٥: ٦٦٢.

٣- مسند أحمد بن حنبل ٥: ٢١٦/ ٢١٦٣٣.

٤- المستدرك على الصحيحين ٣: ١١٨/ ٤٥٧٦.

٥- المعجم الكبير للطبراني ٣: ٦٥/ ٢٦٧٨.

٦- الطبقات الكبرى ٢: ٣٤٧.

٧- جامع الأصول ١: ٢٧٨.

٨- حلية الأولياء ١: ٣٥٥.

٩- إحياء الميت للسيوطي ٥٧، ٥٨.

١٠- مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١٦٦.

١٢- الصواعق المحرقة ١٩٤/ الباب التاسع/ الفصل الثاني.

١٣- التلخيص للذهبي ٣: ١٠٩.

للتوسّع في معرفة المصادر انظر:

- ما تقدّم في مباحث هذا الكتاب: الإشكاليّة الثانية، السند الدينيّ/ الأدلّة العامّة - الدليل الرابع.

- كتابنا (التشيّع) ص ١٤٧ - ١٤٩ ط ٧.
- رسالة «حديث الثقلين» صادرة عن دار التقريب بين المذاهب الإسلاميّة في مصر.

نماذج من صِيَغ حديث الثّقلين:

الصيغة الأولى:

○ عن أبي سعيد الخدري عن النبيّ (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) أنّه قال: «إنّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ، وَإنّي تَارِكٌ فيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللهِ عزَّ وجلَّ وَعِتْرَتي، كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتي أَهْلُ بَيْتي، وَإنَّ اللَّطيفَ الْخَبيرَ أَخْبَرَني أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُوني فِيهِمَا»[1].

الصيغة الثانية:

○ عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) يومًا فينا خطيبًا بماء يُدعى خُمًّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكَّر ثمّ قال: «أَمَّا بَعْدُ، أَلا أَيُّهَا النَّاسُ فَإنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فيه الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا به» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فيه، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أَهْلِ بَيْتي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أَهْلِ بَيْتي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أَهْلِ بَيْتي»[2].

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢: ١٩٤ ط بيروت.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٢/ حديث ٢٤٠٨ ط بيروت.

الصيغة الثالثة:

- عن جابر بن عبد الله قال: رَأيْتُ رَسُولَ الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) في حَجَّتِه يَوْمَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلى نَاقَتِه القَصْوَاء يَخْطُبُ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنّي قد تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ أخَذْتُمْ بِه لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي»[1].

الصيغة الرابعة:

- عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم): «إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ: كِتَابَ الله -عزّ وجلّ- حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأرْضِ - أوْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إلى الأرْضِ - وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وإنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ»[2].

الصيغة الخامسة:

- عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلم): «إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي: أحَدُهُمَا أعْظَمُ مِنَ الآخَرِ: كِتَابُ الله حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إلى الأرْضِ، وعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا»[3].

الصيغة السادسة:

- عن زيد بن أرقم قال: لمّا رجع رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) من حجّة الوداع، ونزل غدير خُمّ أمر بدوحات فقُمِمْنَ فقال: «كَأنّي قَدْ دُعِيتُ فَأجَبْتُ إنّي قَدْ تَرَكْتُ فيكم الثَّقَلَيْنِ أحَدُهُمَا أكْبَرُ مِنَ الآخَرِ كِتَابَ الله تَعالى وَعِتْرَتِي فانْظُروا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فيهما فَإنَّهُما لَنْ يَفْتَرِقا حتّى

---

(١) صحيح الترمذي ٥: ٦٦٢ ط بيروت.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٥: ١٨٢ ط بيروت.

(٣) ابن الأثير: جامع الأصول ١: ٢٧٨ ط بيروت.

يَردا عَليَّ الحَوْضَ». ثمّ قال: «إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مَوْلايَ وَأنا مَوْلى كُلِّ مُؤْمِنٍ». ثُم أخذ بيد عليّ رضي الله عنه، فقال: «مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهذا وَليُّهُ اللهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وَعادِ مَنْ عاداهُ»

قال الحاكم: صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه[1].

الصيغة السابعة:

- عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلّم): «أيُّها النَّاسُ إنّي فَرَطُكُمْ وإنَّكُمْ وارِدُونَ عَليَّ الحَوْضَ، فإنّي سائِلُكُمْ حينَ تَرِدُونَ عَليَّ عَنِ الثَّقَلَيْنِ، فانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُوني فيهمَا: الثّقل الأكبَرُ، كِتَابُ اللهِ - عزّ وجلّ - سَبَبٌ طَرَفُهُ بيَدِ اللهِ وطَرَفُهُ أيْديكُمْ، فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، ولا تُضِلّوا ولا تُبَدِّلوا، وعِتْرَتي أهْلُ بَيْتي، فإنّهُ قَدْ نَبَّأني العَليمُ الخَبيرُ أنّهُمَا لَنْ يفترقا حَتّى يَرِدَا عَليَّ الحَوْضَ»[2].

الصيغة الثامنة:

- عن المطّلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه قال: خطبنا رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) بالجحفة فقال:

«ألَسْتُ أوْلَى بِكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: فإنّي سائِلُكُمْ عَنْ اثْنَيْنِ: عَنِ القُرآنِ، وعِتْرَتي»[3].

---

(١) الحاكم: المستدرك على الصحيحين ٣: ١٩٢ ط بيروت.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء ١: ٣٥٥. ط بيروت.

(٣) السيوطي: إحياء الميت ٥٧. ٥٨/ حديث ٤٢ ط بيروت.

الصيغة التاسعة:

* عن رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) قال:
«يوشكُ أن أُقبضَ قبضًا سريعًا، فيُنطَلَقُ بي، وقد قدَّمتُ إليكم القولَ معذرةً إليكم، ألا إنّي مخلّفٌ فيكم كتابَ ربّي عزَّ وجلَّ وعترتي أهل بيتي - ثمّ أخذ بيد عليٍّ فرفعها فقال -: هذا عَليٌّ مَعَ القُرْآنِ، والقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ، فأسألُهُما ما خلَفتُ فيهما»[1].

الصيغة العاشرة:

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم):
«إنّي خَلَّفْتُ فيكُمْ اثْنَيْنِ لَنْ تَضِلوا بَعْدَهُمَا أَبَدًا: كِتَابَ اللهِ وَنَسَبي، ولَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ»[2].

الصيغة الحادية عشر:

* عن أبي عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام في حديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:
«إنّي تاركٌ فيكُم أمرينِ إنْ تَمَسَّكتُم بهما لَنْ تضلُّوا: كتابَ الله وأهلَ بَيْتي عِتْرَتي، أيُّها النَّاسُ اسمعوا قد بلَّغتُ إنَّكم ستَرِدونَ عليّ الحوضَ فأسألُكم عمّا فعلتُم في الثَّقَلينِ، والثَّقلان: كتابُ الله جلّ ذكره وأهلُ بيتي فلا تَسبقوهُم فتهلِكوا ولا تُعلّموهُم فإنَّهم أعلَمُ منكُم...»[3].

---

(١) ابن حجر: الصواعق المحرقة ١٩٤ ب ٩ ف ٢ ط بيروت.

(٢) الهيثمي: مجمع الزوائد ٩: ١٦٦ ط بيروت.

(٣) الكليني: الكافي ١: ٢٩٤/ ح ٣ (كما جاء في إثبات الهداة ٢/ ٢٥).

الصيفة الثانية عشر:

● عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ:
«إنّي تارِكٌ فيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتابَ اللهِ وَعِتْرَتي أَهْلَ بَيْتي، ألا وَهُما الخَليفَتانِ مِنْ بَعْدي، ولَنْ يَفْتَرِقا حَتّى يَرِدا عَلَيَّ الحَوْضَ»(١).

الصيفة الثالثة عشر:

● عن أبي ذر الغفاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«إنّي خَلَّفْتُ فيكُم الثَّقَلَيْنِ كتابَ الله وعِتْرَتي أهلَ بَيْتي، وإنَّهُما لَنْ يَفْتَرِقا حَتَّى يَرِدا عَلَيَّ الحَوْضَ ألا وإنَّ مَثَلَهُما فيكُم كَسَفينَةِ نوحٍ مَنْ رَكِبَها نَجا ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْها غَرِقَ»(٢).

الصيفة الرابعة عشرة:

● روى النعماني بأسـانيد متعدّدة عن النبيّ ﷺ أنّه قال في خطبته في مسـجد الخيف في حجّة الوداع:
«ألا وإنّي مُخَلِّـفٌ فيكم الثَّقَلَيْنِ، الثَّقَلُ الأكْبَرُ القُرآنُ، والثَّقَلُ الأصْـغَرُ عِتْرَتي أَهلُ بَيْتي، هُما حَبْلٌ مَمْدودٌ بَيْنَكُم وبَيْنَ اللهِ، ما إنْ تَمَسَّـكْتُم بِهِما لَنْ تَضِـلُّوا سَبَبٌ مِنْهُ بِيَدِ اللهِ، وسَبَبٌ بِأيديكُم»(٣).

الصيفة الخامسة عشرة:

● عن مسعدة بن صدقه عن أبي عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام في حديث أنّ رسول الله ﷺ قال في آخر خطبة خطبها:

---

(١) الصّدوق: كمال الدين ١: ٢٣٦/ ح ٥٢.

(٢) الصّدوق: كمال الدين١: ٢٣٩/ ٥٩.

(٣) غيبة النعماني ص ٢٩.

«إنّي تـاركٌ فيكـمُ الثَّقَلَيْن، الثَّقَـلُ الأكْبَرُ والثَّقَلُ الأصـغَر، فأمَّا الأكبَرُ فكتابُ رَبّـي، وأمَّا الأصـغَرُ فعترَتـي أهلُ بَيْتـي، فاحفَظـوني فيهِما، فلَنْ تَضِـلُّوا ما تَمَسَّكْتُم بِهِما»[1].

الصيغة السادسة عشرة:

- عن النبيّ ﷺ في حديث طويل أنّه قال في حجّة الوداع:

«ألا وإنّي قَدْ تَرَكْتُ فيكُم أمرينِ إنْ أخَذتُم بِهما لَنْ تَضِلُّوا: كتابَ اللّه وعِتْرَتي أهلَ بَيْتي، ألا فمَن اعتَصَمَ بهِما فَقَد نَجا، ومَنْ خالَفَهُما فقَد هَلَكَ، إنَّهُما لَنْ يَفتَرِقا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوضَ»[2].

الصيغة السابعة عشرة:

- عن أبي عبد اللّه [الإمام الصّـادق] ﷺ قال: سُـئل أمير المؤمنين ﷺ عن قول رسول اللّه ﷺ:

«إنّي تارِكٌ فيكُمُ الثَّقَلَيْن كتابَ اللّه وَعِتْرَتي» مَنْ العِترَة؟

فقال: «أنا والحَسَـنُ والحُسَـينُ والأئمَّةُ التِّسْـعَةُ مِنْ ولدِ الحُسَـين، تاسِـعُهُم مَهْدِيُّهُم، لا يُفارِقونَ كِتابَ اللّهِ ولا يُفارِقُهُم حتّى يَردوا عَلى رَسـولِ اللّهِ ﷺ حَوضَهُ»[3].

---

(١) تفسير العياشي ١: ٥/ ح ٩.

(٢) تفسير القمّي ١: ١٧٣.

(٣) الكوراني: معجم أحاديث الإمام المهديّ ٤: ٢١٩/ ٦٨٩.

دلالات حديث الثّقلين

يحمل هذا الحديث - في صيَغه المتعدّدة - مجموعة دلالات كبيرة ومهمّة جدًا، أشار إليها أستاذنا الكبير آية الله السيد محمد تقي الحكيم في كتابه القيّم (الأصول العامّة للفقه المقارن) نوجزها كما يلي:

الدلالة الأولى:

دلالته على عصمة أهل البيت... وذلك:

أولًا:

«لاقترانهم بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتصريحه بعدم افتراقهم عنه، ومن البديهي أنّ صدور أيّ مخالفة للشريعة سواء كانت عن عمد أم سهو أم غفلة، تُعتبر افتراقًا عن القرآن في هذا الحال...»[1].

ثانيًا:

«ولأنّه اعتبر التمسّك بهم عاصمًا عن الضّلالة دائمًا وأبدًا، كما هو مقتضى ما تُفيده كلمة لن التأبيديّة، وفاقد الشيئ لا يُعطيه»[2].

وثالثًا:

«على أنّ تجويز الافتراق عليهم بمخالفة الكتاب وصدور الذّنب منهم تجويزٌ للكذب على الرّسول ﷺ الذي أخبر عن الله عزّ وجلّ بعدم وقوع افتراقهما، وتجويز الكذب عليه متعمدًا في مقام التبليغ والإخبار عن الله في الأحكام وما يرجع إليها من

(١) محمد تقي الحكيم: الأصول العامّة للفقه المقارن ص ١٦٦.

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٦.

موضوعاتها وعللها منافٍ لافتراض العصمة في التبليغ، وهي ممّا أجمعت عليها كلمة المسلمين على الإطلاق...»[١].

الدلالة الثانية:

«لزوم التمسّك بهما معًا لا بواحدٍ منهما منعًا من الضّلالة...»[٢].

«وبالطبع إنّ معنى التمسّك بالقرآن هو الأخذ بتعاليمه والسير على وفقها، وهو نفسه معنى التمسّك بأهل البيت عدل القرآن»[٣].

الدلالة الثالثة:

«بقاء العترة إلى جنب الكتاب إلى يوم القيامة؛ أي لا يخلو منهما زمانٌ من الأزمنة ما داما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، وهي كناية عن بقائهما إلى يوم القيامة، يقول ابن حجر: (وفي أحاديث الحثّ على التمسّك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسّك به إلى يوم القيامة، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أمانًا لأهل الأرض كما يأتي ويشهد لذلك الخبر السابق: في كلّ خلفٍ من أمّتي عدولٌ من أهل بيتي [الصواعق ١٤٩])»[٤].

ومن خلال هذه الدلالة يتّضح لنا السبب في اعتماد (حديث الثّقلين) أحد الأدلّة العامّة لإثبات بقاء الإمام المهديّ وامتداد عمره الشريف.

الدلالة الرابعة:

«دلالته على تميّزهم بالعلم بكلّ ما يتصل بالشريعة وغيره، كما يدلّ على ذلك اقترانهم بالكتاب الذي لا يُغادر صغيرةً ولا كبيرة، ولقوله صلى الله عليه وآله: (ولا تعلّموهم فإنّهم

(١) المصدر نفسه ص ١٦٦ - ١٦٧.
(٢) المصدر نفسه ص ١٦٦ - ١٦٧.
(٣) المصدر نفسه ص ١٦٧ - ١٦٨.
(٤) المصدر نفسه ص ١٦٧ - ١٦٨.

أعلم منكم)».[١]

أيّ الروايتين أوثق؟

يذهب بعض الدارسين أنّ «كتب السنّة التي ذكرته - يعني حديث الثّقلين - بلفظ (سنّتي) أوثق من الكتب التي روته بلفظ (وعترتي)».[٢]

إلّا أنّ هذا الكلام يبدو مرتجلًا وغير دقيق؛ ولنا عليه مجموعة ملاحظات:

الملاحظة الأولى:

إنّ المقارنة بين المصادر التي دوّنت حديث الثّقلين وفق رواية «وعترتي» والمصادر التي اعتمدت الرواية الأخرى تكشف الفارق الكبير جدًا بين المجموعتين من المصادر.

فالمجموعة الأولى من المصادر التي اعتمدت رواية «وعترتي» تبلغ عشرات المصادر من الصحاح والسّنن والمسانيد والمستدركات، ممّا أنتج تواترًا في جميع طبقات الحديث، وطرقه إلى الصحابة كثيرة، ورواته منهم - أي الصحابة - كثيرون جدًا، ورواياته في أعلى درجات الصحة[٣].

وأمّا المجموعة الثانية التي اعتمدت رواية (وسنّتي) فهي لا تكاد تبلغ أصابع اليد الواحدة، وهي مشتركة في رواية الحديثين معًا، ما عدا موطّأ مالك فقد اقتصر على رواية (وسنّتي) معتمدًا روايةً مرفوعةً ضعيفةً حيث قال راوي الموطّأ: عن مالك أنّه بلغه أنّ رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما: كتاب الله، وسنة نبيه» [الموطّأ ٢: ٢٠٨] ولعلّ الموطّأ هو أقدم مصادرها في كتب الحديث، كما أنّ ابن هشام هو أقدم رواتها في كتب السِيَر، ما عدا

---

(١) المصدر نفسه ص١٦٨.

(٢) أبو زهرة: الإمام الصّادق ص١٩٩.

(٣) محمد تقي الحكيم: الأصول العامّة للفقه المقارن ص١٧١.

هذين الكتابين فقد ذكرها ابن حجر في صواعقه مرسلةً وذكرها الطبراني فيما حكى عنه[١].

الملاحظة الثانية:

أشكل أستاذنا السيد محمد تقي الحكيم على رواية (وسُنّتي) بقوله: «أمّا من حيث المضمون فأنا - شخصيًّا - لا أكاد أفهم كيف يمكن أن تكون السُنّة مرجعًا يُطلب إلى المسلمين في جميع عصورهم أن يتمسّكوا بها إلى جنب الكتاب، وهي غير مجموعة على عهده صلى الله عليه وآله، وفيها الناسخ والمنسوخ، والعام والخاصّ، والمطلق والمقيّد...»[٢].

إلى أن قال: «وما دمنا نعلم أنّ السُنّة لم تُدوّن على عهد الرسول صلى الله عليه وآله، وأنّ النبيّ مُنزّهٌ عن التفريط برسالته، فلا بدّ أن نفترض جعلُ مرجعٍ تُحدّد لديه السنّة بكلّ خصائصها، وبهذا تتّضح أهمية حديث الثّقلين وقيمة إرجاع الأمّة إلى أهل البيت فيه لأخذ الأحكام عنهم كما تتضح أسرار تأكيده على الاقتداء بهم، وجعلهم سفن النجاة تارة، وأمانًا للأمّة أخرى، وباب حطة ثالثة، وهكذا...»[٣].

الملاحظة الثالثة:

لو سلّمنا بصحّة رواية (وسُنّتي) فلا تعارض في المقام فكلّ ما عند أهل البيت هو من السُنّة، وهم أصدق الأمناء على أحاديث جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) المصدر نفسه ص ١٧١، ١٧٢.

(٢) المصدر نفسه ص ١٧٢.

(٣) المصدر نفسه ص ١٧٣، ١٧٤.

المنظومة الثانية

الأحاديث الخاصّة

(رواياتٌ أخبرت عن الغَيْبة وطول العمر)

توفّرت مصادر الحديث على عددٍ كبيرٍ جدًا من الروايات التي يمكن اعتمادها أدلّةً مباشرةً على مسألة «طول العمر» عند الإمام المهديّ عليه السلام.

ويمكن تصنيف هذه الروايات إلى أربع طوائف:

- الطائفة الأولى: «رواياتٌ أخبرت عن مطلق الغَيْبة، إلّا أنّها غَيْبةٌ تمتدّ إلى يوم الظهور.
- الطائفة الثانية: رواياتٌ أخبرت عن غَيْبةٍ طويلة.
- الطائفة الثالثة: رواياتٌ أخبرت عن غَيْبتين: صغرى وكبرى.
- الطائفة الرابعة: رواياتٌ أخبرت عن طول العمر في حياة الإمام المهديّ.

وقد تناول البحث في معالجته للإشكاليّة الثانية - إشكاليّة الولادة - عددًا من هذه الروايات - سندًا ومتنًا -.

ويأتي إن شاء الله مزيدٌ من الروايات حينما تصل النوبة إلى معالجة الإشكاليّة الرابعة - إشكالية الغَيْبة -.

ويفرض سياق البحث - هنا - وهو في صدر معالجة (إشكاليّة العمر الطويل) أن يستعين بنماذج من هذه الروايات بصِيَغها المتنوعة، لتشكّل «أدلّةً خاصّةً» تُضاف إلى ما سبق من «أدلّةٍ عامّة».

الرواية الأولى:

- الكافي ١: ٣٤٠/ حديث ١٥:

◉◉ عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله [الصّادق] عليه السلام يقول: «إنْ بَلَغَكُم عَن صاحِبِكُم [يعني الإمام المهديّ] غَيْبَةٌ فَلا تُنْكِروها».

رجال الإسناد كلّهم ثقات:

- **ثقة الإسلام الكليني صاحب الكافي:**

- «شيخ المحدّثين المشهور - تقدّم في أسانيد كثيرة».

- **عدّة من أصحابنا:**

- «العدّة في إسناد الكليني تعني مجموعة من الرواة فيهم عددٌ من الأجلّاء الثّقات كما تقدّم».

- **أحمد بن محمد:**

- [مردّدٌ بين الأشعري والبرقي وكلاهما ثقة] الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ١/ ٤٨٢.

- **عليّ بن الحكم [بن الزّبير]:**

- «ثقة جليل القدر» الخلاصة ٩٣/ ١٤.

- **أبو أيوب الخزّاز:**

- [إبراهيم بن عيسى وقيل ابن عثمان وهو ثقة كبير المنزلة] رجال النجاشي ج١: ٩٧/ ٢٤.

- **محمد بن مسلم:**

- «أحد الفقهاء الأعلام الثّقات - تقدّم».

الرواية الثانية:

- الكافي ١: ٣٤٠/ حديث ١٩:

○○ عن إسحاق بن عمّار قال: قال أبو عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام: «للقائمِ غيبَتانِ إحداهُما قَصيرَةٌ والأُخرى طَويلَةٌ...».

رجال الإسناد كلّهم ثقات:

○ **ثقة الإسلام الكليني:**

- شيخ المحدّثين المشهور.

○ **محمد بن يحيى [العطّار]:**

- «أحد أعلام الفقهاء الثّقات - تقدّم».

○ **محمد بن الحسين بن أبي الخطّاب:**

- «ثقة عين جليل القدر - تقدّم في أسانيد كثيرة».

○ **الحسن بن محبوب:**

- «من الفقهاء الأجلّاء الثّقات - تقدّم في أسانيد كثيرة».

○ **إسحاق بن عمار:**

- «أحد المشاهير الأعيان ثقة، كثير الحديث» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٣١٠.

- ورواه النعماني في الغَيْبة (١٧٠/ ١) أيضًا بإسناد صحيح.

الرواية الثالثة:

- كمال الدين ١: ٢٨٧ ب ٢٥/ حديث ٤:

●● عن أبي بصير، عن الصّادق جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: قال

رسول الله ﷺ:

«المهديُّ مِنْ ولدي اسمُه اسمي، وكُنيَتُهُ كُنيتي، أشبهُ النّاس بي خَلْقًا وخُلُقًا، تكونُ له غيبةٌ وحيرةٌ حتّى تضلَّ الخلقَ عن أديانِهِم، فعندَ ذلكَ يُقبلُ كالشّهابِ الثّاقبِ، فيملأُها قِسْطًا وعدلًا كَما مُلِئَتْ ظُلْمًا وجَورًا».

رجال الإسناد كلّهم ثقات:

- **أبو جعفر الصّدوق:**
  - «رئيس المحدّثين المعروف».
- **(١) عليّ بن الحسين بن بابويه والد الصّدوق:**
  - «أحد أعاظم الطائفة الإماميّة - تقدّم».
- **(٢) ومحمد بن الحسن بن الوليد:**
  - «من أعاظم شيوخ الصّدوق - تقدم».
- **(٣) ومحمد بن موسى المتوكّل:**
  - «من شيوخ الصّدوق وكان يعتمد عليه - تقدم».

جميعًا قالوا حدّثنا:

- **(١) سعد بن عبد الله:**
  - «من فقهاء الطائفة الأجلّاء الثّقات - تقدم».
- **(٢) وعبد الله بن جعفر الحِميري:**
  - «من أجلّاء الفقهاء الثّقات - تقدّم».

⊙ (٣) ومحمد بن يحيى العطّار،

- «أحد أعلام الفقهاء الثّقات - تقدّم».

جميعًا قالوا حدّثنا:

⊙ (١) أحمد بن محمد بن عيسى،

- «شيخ القمّيين وفقيههم الثّقة - تقدّم».

⊙ (٢) وإبراهيم بن هاشم،

- «من شيوخ الإجازة المتمدين - تقدّم».

⊙ (٣) وأحمد بن أبي عبد الله البرقي،

- «أحد كبار الفقهاء الثّقات - تقدم».

⊙ (٤) ومحمد بن الحسين بن أبي الخطّاب،

- «ثقة عين جليل القدر - تقدّم».

جميعًا قالوا: حدّثنا:

⊙ أبو علي الحسن بن محبوب السرّاد،

- «من الفقهاء الأجلّاء الثّقات - تقدّم».

⊙ داوود بن الحصين،

- «كوفي ثقة» رجال النجاشي ج١: ٣٦٧/ ٤١٩.

⊙ أبو بصير،

- «مردّد بين يحيى بن القاسم وليث البختري وكلاهما ثقة كما تقدّم».

الرواية الرابعة:

- كمال الدين ١: ٣٤١ ب ٣٢/ حديث ٢٢:

◎◎ عن صفوان بن مهران الجمّال قال: قال الصّادق جعفر بن محمد عليه السلام:

«أما والله ليغيبنَّ عنكُم مهديُكم حتّى ليقولَ الجاهلُ منكم، ما لله في آلِ محمد حاجةٌ ثمّ يُقبلُ كالشّهابِ الثّاقِبِ، فيملأُها عدلًا وقِسطًا، كما مُلِئَت جَورًا وظُلمًا».

رجال الإسناد كلّهم ثقات:

◎ **أبو جعفر الصّدوق:**

- «رئيس المحدّثين المعروف».

◎ **أحمد بن محمد بن يحيى العطّار:**

- «من مشايخ الإجازة حكم الأصحاب بصحّة حديثه - تقدّم».

◎ **محمد بن يحيى العطّار:**

- «أحد أعلام الفقهاء الثّقات - تقدّم».

◎ **إبراهيم بن هاشم:**

- «من شيوخ الإجازة المعتمدين - تقدم».

◎ **محمد بن أبي عمير:**

- «من أصدق الناس وأوثقهم وأعبدهم - تقدّم».

◎ **صفوان بن مهران الجمّال:**

- «من الفقهاء الثّقات الصالحين من شيوخ أصحاب الإمام الصّادق وخاصته وبطانته» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٤٧٠.

الرواية الخامسة:

- كمال الدين ١: ٣٥٠ ب ٣٣/ حديث ٤٤:

◎◎ عن زرارة قال: قال أبو عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام:
«يأتي على النّاسِ زمانٌ يغيبُ عنهم إمامُهُم، فقلتُ له: ما يصنعُ النَّاسُ في ذلكَ الزَّمانِ؟
قال: يَتمَسَّكونَ بالأمرِ الذي هُم عليهِ حتَّى يتبيَّنَ لهم».

رجال الإسناد ثقات:

● **أبو جعفر الصّدوق:**

- رئيس المحدّثين المعروف.

● **عليّ بن الحسين بن بابويه والد الصّدوق:**

- «أحد أعاظم الطائفة الإماميّة - تقدم».

● **عبد الله بن جعفر الحِميَري:**

- «من أجلّاء الفقهاء الثّقات - تقدّم».

● **أيوب بن نوح:**

- «أحد المحدّثين الثّقات، عظيم المنزلة عند الأئمّة عليهم السلام» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٨٣٢.

● **محمد بن أبي عمير:**

- «من أوثق الناس وأصدقهم وأعبدهم - تقدّم».

● **جميل بن درّاج:**

- «من كبار الفقهاء ووجوه علماء الشيعة ثقة، جليل، كثير الرواية» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٢٤٥.

● **زرارة بن أعين:**

- «من مشاهير رجال الشيعة فقهًا وحديثًا ومعرفةً بالكلام وهو ممّن أجمعوا على وثاقتهم وجلالتهم» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٤٢٢.

الرواية السادسة:

- غَيْبة النعماني ١٧١/ حديث ٢:

●● عن إبراهيم بن عمر اليماني قال: سمعت أبا جعفر [الباقر] عليه السلام يقول:

«إنّ لصاحبِ هذا الأمرِ غَيبتينِ... وسمعته يقول: لا يقومُ القائمُ ولأحدٍ في عنقه بيعةٌ...».

رجال الإسناد كلّهم ثقات:

● **محمد بن إبراهيم النعماني:**

- «من كبار علماء الإماميّة ومحدّثيهم عظيم القدر، شريف المنزلة» موسوعة طبقات الفقهاء ٤/ ١٥٣٣.

● **أحمد بن محمد بن سعيد [بن عقدة]:**

- «أحد مشاهير الحفّاظ، وأعلام الحديث، وأمره في الثقة والجلالة أشهر من أن يُذكر» موسوعة طبقات الفقهاء ٤/ ١٣٠٢، الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ١/ ٥٤٥.

● **عليّ بن الحسن بن فضّال:**

- «من أجلّة الفقهاء والمحدّثين ووجه من وجوههم، ثقة، عارفٌ بالحديث» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ١٠٢٢.

- **عبد الرحمن بن أبي نجران:**

- «من أجلّاء المحدّثين وثقاتهم» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٩٦٣.

- **عليّ بن مهزيار:**

- «من كبار الفقهاء وعيون المحدّثين، جليل القدر، واسع الرواية، من العبّاد المجتهدين» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ١٠٢٩.

- **حمّاد بن عيسى:**

- «من الفقهاء المحدّثين من أصحاب الأئمّة الطاهرين، من أصحاب الإجماع، وثّقه النجاشي والطوسي وغيرهما» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٩٠٥.

- **إبراهيم بن عمر اليماني:**

- «أحد شيوخ الشيعة وفقهائهم قال عنه النجاشي: شيخٌ من أصحابنا ثقة، وقَبل روايته العلّامة، وضعفه ابن الغضائري».

انظر:

- موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٢٨٨. منتهى المقال ١/ ٦١.

ملاحظة:

هناك من يتحفّظ على تضعيفات ابن الغضائري، ثمّ إنّ جرحه غير معلّل، فلا يقدّم على التعديل، ولو سلّمنا بالخدشة في إبراهيم بن عمر اليماني، فلا يضرّ ذلك في اعتماد هذه الرواية ما دام متنها مطابقًا للمتون الصحيحة.

الرواية السابعة:

- كمال الدين ١: ٥١، مقدّمة المصنّف:

●● عن عبد السلام بن صالح الهروي عن أبي الحسن عليّ بن موسى

الرّضا، عن أبيه، عن آبائه عن عليّ ﷺ قال: قال النبيّ ﷺ:

«والـذي بَعثَني بالحقّ بشـيرًا ليغيبنَّ القائم من ولـدي بعهد معهود إليه منّي، حتَّى يقولَ أكثرُ النَّاس، ما للهِ في آلِ محمدٍ حاجة، ويَشُـكُّ آخرونَ في ولادَته، فمَن أدرَكَ زَمانَهُ فليتمسَّك بدينِه، ولا يجعل للشيطانِ إليه سبيلًا بشكِّه فيُزيله عن ملّتي، ويُخرجه مِن ديني، فقد أخرج أبويكم من الجنَّة من قَبلُ...».

رجال الإسناد كلّهم ثقات:

- **أبو جعفر الصّدوق:**
  - «رئيس المحدّثين وقد اتّفقت الكلمات على وثاقته وجلالة قدره - تقدم».
- **محمد بن موسى بن المتوكّل:**
  - «أحـد مشـايخ الصّـدوق ومن كبـار المحدّثين، روى عنه الصّـدوق مترضّـيًا مترحّمًـا، وثّقة العلّامة في الخلاصـة، وابن داوود في رجالـه وآخرون... ولم يَرِد فيه قدح» موسوعة طبقات الفقهاء ٤/ ١٦٤٧، منتهى المقال ٦/ ٢٨٩٨.
- **عليّ بن إبراهيم القمّي:**
  - «من أعلام الفقهاء الأجلّاء الثّقات - كما تقدّم».
- **إبراهيم بن هاشم القمّي:**
  - «من شيوخ الإجازة المعتمدين - تقدم».
- **عبد السلام بن صالح الهروي:**
  - «ثقة، صحيح الحديث» الخلاصة ١١٧/ ٢، رجال النجاشي ج٢: ٦٠/ ٦٤١.

الرواية الثامنة:

- علل الشرائع ١: ٢٤٦ ب ١٧٩/ حديث ٩:

●● عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر [الإمام الباقر] ﷺ يقول - في حديث

جاء فيه -:

«إنَّ للقائمِ غيبةً قبلَ ظهورِهِ...».

رجال الإسناد كلّهم ثقات:

- **أبو جعفر الصّدوق:**

- رئيس المحدّثين المعروف.

- **عبد الواحد بن محمد بن عبدوس النيسابوري:**

- «من مشايخ الصّدوق المعتبرين، روى عنه كثيرًا مترضّيًا، وذكره الفاضل الجزائري في خاتمة قسم الثّقات» منتهى المقال ٤/ ١٨٤٣.

- **عليّ بن محمد بن قتيبة:**

- «محدّث فاضل، صاحب الفضل بن شاذان وراوية كتبه، اعتمد عليه أبو عمرو الكشّي في كتاب الرجال ذكره صاحب الحاوي في قسم الثّقات» منتهى المقال ٥/ ٢١٠٦.

- **حمدان بن سليمان [التاجر]:**

- «ثقة من وجوه الأصحاب» الخلاصة ٦٢/ ٢.

- **محمد بن الحسين [بن أبي الخطّاب]:**

- «ثقة، عين، جليل القدر - تقدم».

- **الحسن بن محبوب:**

- «من الفقهاء الأجلّاء الثّقات - تقدم».

- **عليّ بن رئاب:**

- «أحد كبار العلماء، ثقة، جليل القدر» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٥٥٨.

● زرارة بن أعين:

- «من مشاهير الفقهاء الأجلّاء الثّقات كما تقدّم».

الرواية التاسعة:

- كمال الدين ٢: ٤٠٩ ب ٣٨/ حديث ٩:

●● أبو عليّ بن همّام قال: سمعت محمد بن عثمان العمري قدّس الله روحه يقول: سمعت أبي يقول: سُئل أبو محمد الحسن بن عليّ [العسكريّ] عليه السلام وأنا عنده عن الخبر الذي رُوي عن آبائه عليهم السلام:

«إنَّ الأرضَ لا تخلُو منْ حُجّة لله على خلقه إلى يوم القيامة، وأنَّ مَنْ ماتَ ولم يَعرفْ إمامَ زَمانه ماتَ ميتةً جاهليّةً» فقال [عليه السلام]:

«إنّ هـذا حـقٌّ كمـا أنّ النّهار حقّ - فقيل له - يا ابن رسـول الله فمَن الحجّة والإمام بعدك؟

فقـال: ابني محمّدٌ هو الإمـامُ والحجّةُ بعدي، منْ مـاتَ ولم يعرفْهُ ماتَ ميتةً جاهليّـةً، أمَا إنَّ له غيبةً يَحارُ فيهـا الجَاهلونَ، ويَهلكُ فيها المبطلونَ، ويَكذبُ فيهـا الوقّاتونَ، ثُمَّ يَخـرُجُ فَكَأنّي أنظُرُ إلى الأعلامِ البيضِ تخفُقُ فوقَ رأسِـهِ بنَجَفِ الكُوفَة».

رجال الإسناد كلهم ثقات:

● أبو جعفر الصّدوق:

- رئيس المحدّثين المعروف.

● محمد بن إبراهيم بن إسحاق:

- «من مشـايخ الصّـدوق، أكثر الرواية عنه مترضّيًا مترحّمًا» منتهى المقال ٥/ ٢٣٩٥.

⊙ **أبوعليّ محمد بن همّام:**

- «مـن شـيوخ الشـيعة ومحدّثيهم، ثقة، جليـل القدر، كثـير الحديث، محقّق» موسوعة طبقات الفقهاء ٤/ ١٦٥١.

⊙ **محمد بن عثمان العَمْري:**

- «السفير الثاني للإمام المهديّ، له منزلة جليلة عند الطائفة - تقدم».

⊙ **عثمان بن سعيد العَمْري:**

- «السفير الأول للإمام المهديّ عليه السلام، له منزلة جليلة عند الطائفة - تقدم».

إسنادٌ آخر:

- رواه عليّ بن محمد الخزّاز في كفاية الأثر ص ٢٩٢.

⊙ **عليّ بن محمد الخزّاز:**

- «من الفقهاء الأجلّاء الثّقات - تقدّم».

⊙ **أبو المفضّل الشيباني:**

- «كان في أول عمره ثبتًا ثمّ خلط، وجلّ أصـحابنا يغمزونه ويضعّفونه - حسب النجاشي - ثمّ قال: رأيت هذا الشيخ وسمعت منه كثيرًا ثمّ توقّفت عن الرواية عنه إلا بواسطة بيني وبينه» رجال النجاشي ج٢: ٣٢١/ ١٠٦٠.
- قـال أبـو عليّ الحائري في منتهى المقال: «لا يخفى أنّ توقف النجاشـي رحمه الله يُشـير إلى عدم ضـعفه عنده وإلّا فأيّ مدخلٍ للواسـطة، بـل الظّاهر أنّه مجـرّد تورّع واحتياط عن اتهامه بالروايـة عن المتهمين، وإيقاعه فيما أوقعوا ذلك ووقعوهم فيه كما وقعوا فيه فتدبّر» منتهى المقال ٦/ ٢٧٢٢.

● **بقيّة الإسناد:** حدّثني أبو همّام إلى آخر ما جاء في كمال الدين.

الرواية العاشرة:

- كمال الدين ٢: ٤٠٩ ب ٣٨/ حديث ٨:

●● موسى بن جعفر البغدادي قال: سمعت أبا محمد الحسن بن عليّ عليه السلام يقول – في حديث جاء فيه –:

«أما إنّ لولَدِي غَيْبَةً يرتابُ فيها النَّاسُ إلّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ».

رجال الإسناد يُعتمد عليهم:

● **أبو جعفر الصّدوق:**

- رئيس المحدّثين المعروف.

● **أحمد بن محمد بن يحيى العطّار:**

- «من مشايخ الإجازة حكم الأصحاب بصحّة حديثه – تقدّم».

● **سعد بن عبد الله:**

- «من الفقهاء الأجلّاء الثّقات – تقدّم».

● **موسى بن جعفر البغدادي:**

- «قال الوحيد البهبهاني في تعليقته: في رواية محمد بن أحمد بن يحيى عنه وعدم استثنائه دلالة على عدالته كما مرّ فيه، وفي الوسيط ما يُنبئ عن حسن حاله» منتهى المقال ٦/ ٢٠٦١.

- ورواه أيضا الخزّاز في الكفاية (ص ٢٩١) كما في كمال الدين بتفاوت، وبنفس الإسناد.

الرواية الحادية عشرة:

- كمال الدين ١: ٢٨٧ ب٢٥/ حديث ٥:

●● عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:
«المهديُّ من ولـدي، تكونُ لهُ غَيْبـةٌ وحَيرةٌ تضِـلُّ فيها الأمَمُ، يأتـي بذَخيرَةِ الأنبياءِ، فيملأُها عدلًا وقِسطًا كما مُلِئَت جَورًا وظُلمًا».

رجـال الإسنـاد كلّهم ثقات: ما خلا صـالح بن عقبـه وأبيه، أمّا صـالح بن عقبة فاتّهمـه البعض بالكـذب والغلو ونفى آخرون هـذه التهمة، ويظهر من الصّـدوق أنّ كتابه معتمد الأصـحاب، ولهذا ذكر أخباره المشـايخ وعملوا بها (انظر: منتهى المقال ٤/ ١٤٥١).

وأمّا أبوه فلم أعثر له على ذكر... وممّا يهوّن الأمر أنّ متن هذه الرواية مقاربٌ لمتونٍ أخرى صحيحة الإسناد كما تقدّم، فلا تضرّ الخدشة في إسنادها.

الرواية الثانية عشرة:

- كتاب إثبات الرجعة للفضل بن شاذان [كما ذكر في إثبات الهداة ٥/ ٦٧٨]:

●● عـن أبي حمزة الثّمـالي عن أبي عبد الله [الإمام الصّـادق] عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله - في حديث جاء فيه -:
«التاسعُ منْ ولد ابني الحُسين الذي يَظهرُ بعدَ غَيْبته الطويلة فيُعلنُ أمرَ الله، ويُظهرُ دينَ اللهِ، وينتقِمُ منْ أعداءِ اللهِ، ويَملأُ الأرض عدلًا وقِسطًا كما مُلئَت ظُلمًا وجَورًا».

رجال الإسناد كلّهم ثقات:

● **الفضل بن شاذان:**

- «من كبار فقهاء الإماميّة الأجلّاء الثّقات - تقدّم في أسانيد كثيرة».

ملاحظة:

كتاب الفضل بن شاذان أُلِّف قبل ولادة الإمام المهديّ.

- **عبد الرحمن بن أبي نجران:**

- «من أجلّاء المحدِّثين وثقاتهم - تقدم».

- **عاصم بن حميد الحنَّاط:**

- «من أعيان علماء الشيعة ثقة، صدوق» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٤٧٤.

- **أبو حمزة الثمالي:**

- «من خيار رجال الشيعة وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث - تقدَّم في أسانيد كثيرة».

الرواية الثالثة عشرة:

- كتاب الفضل بن شاذان [كما عن إثبات الهداة ٥/ ٦٧٩]:

●● محمد بن عبد الجبار قال: قلت لسيِّدي الحسن بن عليّ عليه السلام: يا ابن رسول الله جعلني الله فداك أحبّ أن أعلم من الإمام وحجّة الله على عباده من بعدك؟

فقال: «إنَّ الإمامَ وحجّةَ الله من بعدي ابني سَميُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكَنيُّهُ الذي هو خاتَمُ حُجَجِ الله وآخرُ خُلَفائه... - إلى أن قال - ألا إنَّه سيولَدُ ويغيبُ عن النَّاسِ غيبةً طويلةً ثمّ يظهرُ...».

رجال الإسناد كلّهم ثقات وهذا الإسناد من أقصر الأسانيد:

- **الفضل بن شاذان:**

- «من كبار الفقهاء الأجلّاء الثّقات».

- محمد بن عبد الجبّار بن أبي الصهبان:

- «ثقة، صاحب ثلاثة من الأئمّة: الجواد والهادي والعسكريّ عليهم السلام» الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ٢/ ٤٧٠٠.

الرواية الرابعة عشرة:

- كتاب الفضل بن شاذان (على ما فيه كفاية المهتدي/ الحديث ١٠):

محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر [الإمام الباقر] عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام - في حديث ذكر فيه أسماء الأئمّة إلى أن قال -:

«ثـمَّ الحجّةُ بنُ الحسنِ الذي تنتهي إليه الخلافةُ والوصايةُ، ويغيبُ مدّةً طويلةً، ثمَّ يَظهرُ ويَملأُ الأرضَ عَدْلًا وقِسْطًا كما مُلِئَت جَوْرًا وظُلمًا».

رجال الإسناد كلّهم ثقات:

- الفضل بن شاذان:

- «الفقيه الجليل الثّقة».

- فضالة بن أيوب:

- «محدّث جليل، ثقة في الحديث، فقيه...» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٥٩٨.

- أبان بن عثمان:

- «محدّث حافظ فقيه، من الستّة أصحاب الإمام الصّادق عليه السلام الذين أجمعت الشيعة على تصحيح ما يصحّ عنهم والإقرار لهم بالفقه» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٢٨٣.

- محمد بن مسلم:

- «أحد الفقهاء الأعلام الثّقات - تقدّم».

الرواية الخامسة عشرة:

- كتاب الفضل بن شاذان [على ما في كفاية المهتدي/ الحديث ١٩]:

●● عن أبي صفيّة ثابت بن دينار عن أبي جعفر [الإمام الباقر] عليه السلام قال: قال الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام - في حديث ذكر فيه الإمام المهديّ فقال -:

«وهو الذي يغيبُ مدّةً طويلةً، ثمَّ يظهر ويملأُ الأرضَ قِسطًا وعَدْلًا كما مُلِئَت جَورًا وظُلمًا».

رجال الإسناد كلّهم ثقات:

● **الفضل بن شاذان:**

- الفقيه الجليل الثقة..

● **الحسن بن محبوب:**

- فقيه جليل ثقة - تقدم».

● **مالك بن عطية البجلي:**

- «ثقة، عظيم الولاء لأهل البيت عليهم السلام، وقد أخذ العلم من الإمام الصّادق عليه السلام» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٦١٩.

● **أبو صفيَة ثابت بن دينار [أبو حمزة الثَمالي]:**

- «من خيار رجال الشيعة وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث - تقدّم».

الرواية السادسة عشرة:

- كتاب الفضل بن شاذان [على ما في كفاية المهتدي/ حديث ٢٠]:

●● عن أبي خالد الكابلي قال: دخلت على سيّدي عليّ بن الحسين بن عليّ

بن أبي طالب عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله أخبرني بالذين فرض الله تعالى طاعتهم ومودّتهم، وأوجب على عباده الاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال: «يا كابلي إنَّ أولي الأمرِ الذينَ جعلَهُم الله أئمّةَ النّاسِ وأوجبَ عليهم طاعَتَهم: أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ ثمَّ الحسنُ عمّي ثمَّ الحسينُ أبي، ثمَّ انتهى الأمرُ إلينا.

- إلى أن قال - ثمَّ تمتدُّ الغَيْبةُ بوليِّ اللهِ الثّاني عَشَرَ مِنْ أوصياءِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله والأئمّةِ بعدَهُ... إلى آخر الحديث».

رجال الإسناد كلّهم ثقات:

- **الفضل بن شاذان:**

- الفقيه الجليل الثّقة.

- **صفوان بن يحيى:**

- «ثقة ثقة عين، أوثق أهل زمانه عند أهل الحديث وأعبدهم» الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ١/ ٢٨٢٨.

- **إبراهيم بن أبي زياد [الكرخي]:**

- «روى عنه المشايخ الثلاثة في الكتب الأربعة وابن أبي عمير وصفوان بسند صحيح وكلّ ذلك يُشعر بوثاقته، وقد حكم بعض الأعلام بأنّه أبو أيوب الخزّاز الثّقة» منتهى المقال ١/ ٢٤، الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ١/ بعد ١٥٢.

- **أبو حمزة الثّمالي:**

- «من خيار الشيعة وثقاتهم - تقدّم».

- **أبو خالد الكابلي:**

- «روى الكشّي أنّه من حواريّ عليّ بن الحسين عليه السلام، وقال الفضل بن شاذان: لم يكن في زمن عليّ بن الحسين عليه السلام إلّا خمسة نفرٍ عدّ منهم أبا خالد

الكابلي واسمه وردان ولقبه كنكر» الخلاصة ١٧٧/ ٢.

- وقال في معجم الثّقات: من ثقات عليّ بن الحسين، رواه في أصول الكافي الرقم ٩٤٣.

الرواية السابعة عشرة:

- كتاب الفضل بن شاذان (على ما في إثبات الهداة ٥/ ٦٨١):

●● أحمد بن إسحاق بن عبد الله الأشعري قال: سمعت أبا محمد الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام يقول:

«الحمدُ لله الذي لمْ يُخرجْني منَ الدُّنيا حتَّى أراني الخَلفَ منْ بَعدي أشبهُ النَّاس برسولِ الله صلى الله عليه وآله خَلقًا وخُلُقًا يحفَظُه الله تعالى في غَيْبته، ثمَّ يَظهَرُ فيملأُ الأرضَ قِسطًا وعدلًا كما مُلئَت جَورًا وظُلمًا».

رجال الإسناد كلّهم ثقات، وهذا الإسناد من أقصر الأسانيد:

○ **الفضل بن شاذان:**

- الفقيه الجليل الثّقة.

○ **أحمد بن إسحاق بن عبد الله الأشعري:**

- «وافد القمّيين إلى الأئمّة عليهم السلام لأخذ المسائل والردود منهم، وكان محدّثًا ثقة، وشيخًا جليل القدر» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٧٦٤.

الرواية الثامنة عشرة:

- كتاب الفضل بن شاذان (على ما في إثبات الهداة ٥/ ٦٨٣):

●● إبراهيم بن محمد بن فارس الشيباني عن أبي محمد [الإمام العسكريّ] عليه السلام وذكر حديثًا فيه أنّه دخل عليه وعنده غلام فسأله عنه فقال:

«هو ابني وخليفتي مِنْ بَعدي، وهو الذي يَغيبُ غَيْبةً طويلةً، ويَظهرُ بعدَ امتلاءِ

الأرضِ جَورًا وظُلمًا فَيَملأها عَدلًا وقِسطًا».

رجال الإسناد ثقات:

° **الفضل بن شاذان:**

- الفقيه الجليل الثقة.

° **إبراهيم بن محمد بن فارس النيشابوري:**

- في الخلاصة: لا بأس في نفسه، ولكن بعض من يروي عنه.
- وقال العياشي عنه: فهو في نفسه لا بأس به ولكن بعض من يروي هو عنه.
- وقال المحقّق البحراني: وثّقه ابن طاووس.
- في حاشية الشهيد الثاني على الخلاصة هكذا: في الكشّي: ثقة في نفسه.
- ذكره في الحاوي في الثّقات، ثمّ في الحسان.

انظر:

- منتهى المقال ١/ ٧٤.

الرواية التاسعة عشرة:

- كمال الدين ١: ٣٦١ ب ٣٤/ حديث ٥:

●● عن يونس بن عبد الرحمن قال: دخلت على موسى بن جعفر [الكاظم] عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله أنت القائم بالحقّ؟

فقال: «أنا القائمُ بالحقِّ، لكنَّ القائمَ الذي يُطهِّرُ الأرضَ مِنْ أعداءِ اللهِ عزَّ وجلَّ ويملؤها عدلًا كما مُلِئت جَورًا وظُلمًا وهُو الخامسُ من ولدِي، له غيبةٌ يطولُ أمدُها خَوفًا على نفسِه، يرتدّ فيها قومٌ، ويثبُتُ فيها آخرون... إلى آخر الحديث».

رجال الإسناد ثقات:

- **أبو جعفر الصّدوق:**

- رئيس المحدّثين المعروف.

- **أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني:**

- «من مشايخ الصّدوق روى عنه مترحّمًا مترضّيًا وقال عنه: كان رجلًا ثقة ديّنًا فاضلًا» منتهى المقال ١/ ١٥٢.

- **عليّ بن إبراهيم القمّي:**

- «من أعلام الفقهاء الأجلّاء الثّقات».

- **إبراهيم بن هاشم:**

- «من شيوخ الإجازة المعتمدين».

- **صالح بن السندي:**

- «يظهر من ابن الوليد الوثوق به وفي روايته عن جعفر بن بشير ما يدلّ على وثاقته».

انظر:

- منتهى المقال ٤/ ١٤٤٧.
- يونس بن عبد الرحمن: «فقيه، محدّث، مفسّر، جليل الشأن، عظيم المنزلة عند أهل البيت عليهم السلام وقد وردت عنهم أخبار كثيرة تشيد بفضله وسمو منزلته» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ١٢٢٦.

الرواية العشرون:

- كمال الدين ٢: ٣٨٤، ٣٨٥ ب ٣٨/ حديث ١:

⊙⊙ عن أحمد بن إسحاق الأشعري قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن عليّ عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدئًا:

«يا أحمدَ بن إسحاقَ إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى لم يخلُ الأرضَ منذُ خلقَ آدمَ عليه السلام ولا يُخليها إلى أنْ تقومَ السَّاعةُ منْ حُجَّةٍ للهِ على خلقه...

- وبعد كلام ذكر ابنه وقال عنه أنّه - سَميُّ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وكَنيُّهُ الذي يملأُ الأرضَ قِسْطًا وعَدلًا كما مُلئت جَورًا وظُلمًا... - إلى أن قال - واللهِ ليغيبنَّ غَيْبةً لا ينجو فيها منَ الهلكةِ إلَّا مَنْ ثَبَّتَه اللهُ عزَّ وجلَّ على القولِ بإمامَتِه ووَفَّقَهُ فِيها للدُّعاءِ بِتَعجيلِ فَرَجِه... إلى آخر الحديث».

رجال الإسناد ثقات:

⊙ **أبو جعفر الصّدوق:**

- رئيس المحدّثين المعروف.

⊙ **علي بن عبد الله الوراق:**

- «روى عنه الصّدوق مترحّمًا».

⊙ **سعد بن عبد الله:**

- «فقيه، جليل ثقة».

⊙ **أحمد بن إسحاق:**

- «محدّث ثقة، شيخ جليل القدر».

الرواية الواحدة والعشرون:

- كمال الدين ٢: ٣٨١ ب ٣٧/ حديث ٥:

◉◉ عن أبي هاشم داوود بن القاسم الجعفري قال:

«سمعت أبا الحسن صاحب العسكر [الإمام الهادي] عليه السلام يقول:

«الخلفُ مِنْ بَعدي ابني الحسنُ [الإمام العسكريّ] وكيفَ للنَّاسِ بالخَلَفِ مِنْ بَعْدِه؟

فقلت: ولِمَ جعلني الله فداك؟

قال: لأنَّكم لا ترونَ شَخْصَه... الحديث».

رجال الإسناد ثقات:

◉ **أبو جعفر الصّدوق:**

- «اتّفقت الكلمات على وثاقته وجلالة قدره، وعظم منزلته - تقدّم في أسانيد كثيرة».

● **محمد بن الحسن [بن الوليد]:**

- «من أعاظم شيوخ الصّدوق، كان يعتمد عليه ويتبعه فيما يذهب إليه - تقدّم».

◉ **سعد بن عبد الله القمّي:**

- «من فقهاء الطائفة الأجلّاء الثّقات - تقدّم».

● **محمد بن أحمد العلوي:**

- «يظهر من النجاشي أنّه من شيوخ الأصحاب، وذهب الوحيد إلى وثاقته لرواية الأجلّه عنه وعدم استثناء ابن الوليد إيّاه، وتصحيح العلّامة روايات هو في طريقها».

انظر:

- منتهى المقال ٥/ ٢٤٥٤.
- الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ٢/ بعد ٤٧٨٥.
- أبو هاشم داوود بن القاسم الجعفري: «عظيم المنزلة عند الأئمّة ﷺ، شريف القدر، ثقة - تقدّم في أسانيد كثيرة».

الرواية الثانية والعشرون:

- الكافي ١: ٣٣٨/ حديث ٨:

●● عن معروف بن خربوذ عن أبي عبد الله [الإمام الصّادق] ﷺ قال: «إنّما نحنُ كنجوم السَّماءِ كُلَّما غابَ نجمٌ طَلعَ نجمٌ حتَّى إذا أَشرتُم بأصابِعِكُم ومِلتُم بأَعناقِكُم غَيَّبَ اللهُ نَجمَكُم [يعني غيبة الإمام المهديّ] فاستوتْ بنو عبدِ المطَّلِبِ، فلم يُعرَف أيٌّ من أيٍّ فإذا طَلَعَ نَجمُكم فاحمَدوا ربَّكُم».

رجال الإسناد ثقات:

● **ثقة الإسلام الكليني:**

- صاحب الكافي شيخ المحدّثين المشهور.

● **علي بن إبراهيم:**

- «من أعلام الفقهاء الأجلّاء الثّقات - تقدّم».

● **إبراهيم بن هاشم:**

- «من شيوخ الإجازة المعتمدين - تقدّم».

● **حنان بن سدير بن حكيم:**

- «في الفهرست: ثقة له كتاب» الفهرست ٦٤/ ٢٥٤.

● **معروف بن خربوذ:**

- «عدّه الكشّي من أصحاب الإجماع، ذكره ابن حبّان في الثّقات، وقال الذّهبي في ميزانه: صدوق شيعي» موسوعة طبقات الفقهاء ١/ ٢٦٠.

الرواية الثالثة والعشرون:

- الكافي ١: ٣٤٠/ حديث ١٨:

●● عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام يقول: «إنّ للقائم غَيْبةً قَبلَ أنْ يَقومَ... إلى آخر الحديث».

رجال الإسناد كلّهم ثقات ما عدا جعفر بن محمد [بن مالك] ففيه كلامٌ يأتي:

● **ثقة الإسلام الكليني:**

- صاحب الكافي...

● **محمد بن يحيى العطّار:**

- «أحد أعلام الفقهاء الثّقات - تقدّم».

● **جعفر بن محمد بن مالك:**

- «قال الطوسي: كوفي ثقة، ويضعّفه قوم، ووثّقه المامقاني، روى عنه الشيخ النبيل الثقة أبو عليّ بن همّام، والشيخ الجليل الثّقة أبوغالب الرازي» منتهى المقال ٢/ ٥٩٣، الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ١/ ١٢٠٥.

● **الحسن بن معاوية:**

- «قال في معجم رجال الحديث: تقدّم في إسماعيل بن محمد بن إسماعيل، أنّه سمع أصحابنا منه مثل أيوب بن نوح، والحسن بن معاوية، ومحمد بن

الحسين، وعليّ بن الحسن بن فضّال، وفي ذلك دلالة على جلالته ومعروفيّته» معجم رجال الحديث ٥: ١٣٩/ ٣١٤٦.

- **عبد الله بن جبلة:**

- «فقيه مشهور، ومحدّث ثقة عدّ من أصحاب الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٩٧٦.

- **عبد الله بن بكير:**

- «أحد الفقهاء والمحدّثين الأعلام المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفُتيا والأحكام، وكان كثير الرواية، ثقة في نقله للحديث، ممّن أجمعت الطائفة على تصحيح ما يصحّ عنهم» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٥١٢.

- **زرارة بن أعين:**

- «من مشاهير رجال الشيعة فقهًا وحديثًا ومعرفةً بالكلام وهو ممّن أجمعوا على وثاقتهم وجلالتهم - تقدّم».

ملاحظة:

الخدشة في جعفر بن محمد بن مالك لا تضرّ بصحّة اعتماد الرواية ما دام متنها مطابقًا لمتون صحيحة الإسناد، وما دام له شواهد ومتابعات، هكذا قرّر رجال الجرح والتعديل ونقّاد الحديث وأئمّته.

روى الحديث نفسه أبو جعفر الصّدوق في كمال الدين (٢: ٣٤٢ ب٣٣/ حديث ٢٤):

ورجال الإسناد كلّهم ثقات ما عدا خالد بن نجيح ففيه كلام.

- **أبو جعفر الصّدوق:**

- شيخ المحدّثين المعروف.

- **أحمد بن محمد بن يحيى العطّار:**
- «من مشايخ الإجازة حكم الأصحاب بصحّة حديثه».

- **سعد بن عبد الله:**
- «من الفقهاء الأجلّاء الثّقات».

- **أحمد بن محمد بن عيسى:**
- «شيخ القمّيين ووجيههم وفقيههم بلا مدافعة».

- **عثمان بن عيسى:**
- «من وكلاء الإمام الكاظم الثّقات» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ١٠١٢.

- **خالد بن نجيح:**
- «في الكشّي أنّه من أهل الارتفاع إلّا أنّ بعضهم عدّه ممدوحًا لأنّ للصّدوق طريقًا إليه» منتهى المقال ٣/ ١٠٦٠.

- **زرارة بن أعين:**
- «من أجلّاء الفقهاء الثّقات».

الرواية الرابعة والعشرون:

- عيون أخبار الرّضا (ع) ٢: ٢٤٧/ حديث ٦:

●● الحسن بن عليّ بن فضّال عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام أنّه قال:

«كأنّي بالشّيعة عند فقدهم الثالث من ولدي، يطلبون المرعى فلا يجدونه، فقلت: ولم ذاك يا ابن رسول الله؟ قال: لأنّ إمامهم يغيبُ عنهم، قلت: ولمَ ذاك؟ قال: لئلّا يكونَ في عنقِهِ لأحد بيعةٌ إذا خرجَ».

رجال الإسناد ثقات:

- **أبو جعفر الصّدوق:**

- رئيس المحدّثين المعروف.

- **محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني:**

- «من مشـايخ الصّـدوق أكثر مـن الرواية عنه مترضّـيًا مترحّمًـا وكنّاه بأبي العباس» منتهى المقال ٥/ ٢٣٩٥.

- **أحمد بن محمد الهمداني:**

- «استظهر في معجم رجال الحديث كونه أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، وقال الطوسي: أمره [يعني ابن عقدة] في الثّقة والجلالة وعظم الحفظ أشهر من أن يُذكر» الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ١/ ٥٤٥، ٥٩٣.

- **عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضّال:**

- «مـن أجلّـة الفقهاء والمحدّثين، ووجـه من وجوههم، ثقة، عـارفٌ بالحديث، مسموع قوله فيه» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ١٠٢٢.

- **الحسن بن عليّ بن فضّال:**

- «من فقهاء الشيعة المعروفين، محدّث، ثقة، جليل القدر، صحب الإمام الرّضا عليه السلام وروى عنه، وكان خصيصًا به» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٨٧٥.

الرواية الخامسة والعشرون:

- كمال الدين ١: ١٥٢ ب ٦/ حديث ١٦:

●● عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر [الإمام الباقر] عليه السلام يقول: «في صـاحبِ هـذا الأمرِ أربعُ سُـنَنٍ من أربعةِ أنبيـاء - إلى أن قال - وأمّا من

عيسى فيقال: أنّه مات ولم يمت...».

رجال الإسناد كلّهم ثقات:

وقد مرّ ذكرهم في أسانيد سابقة، ما خلا سليمان بن داوود [المنقري] ففيه كلام، إلّا أنّ صاحب معجم رجال الحديث قد رجّح توثيق النجاشي حيث قال: «لا عبرة بتضعيفهم مع توثيق النجاشي» الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ١/ ٢٦١٢.

الرواية السّادسة والعشرون:

- كمال الدين ٢: ٣٦٠ ب ٣٤/ حديث ٢:

●● عن عباس بن عامر القصباني قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر [الإمام الكاظم] عليه السلام يقول:

«صاحِبُ هَذا الأَمْرِ يَقولُ النَّاسُ أَنَّهُ لَمْ يُولَدْ بَعْدُ».

رجال الإسناد ثقات إلاّ الخشّاب فهو ممدوح:

- **أبو جعفر الصّدوق:**
- شيخ المحدّثين المعروف.

- **عليّ بن الحسين بن بابويه والد الصّدوق:**
- «أحد أعاظم الطائفة الإماميّة - تقدّم في أسانيد كثيرة».

- **سعد بن عبد الله الأشعري:**
- «من الفقهاء الأجلّاء الثّقات - تقدّم في أسانيد كثيرة».

- **الحسن بن موسى الخشّاب:**
- «من فقهاء الإماميّة المعروفين المشهورين، وقال في الوجيزة: ممدوح» موسوعة

طبقات الفقهاء ٣/ ٨٨٤، منتهى المقال ٢/ ٨٢١.

○ **العباس بن عامر القصباني:**

- «شيخٌ محدّث، ثقة صدوق، كثير الحديث» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٩٥٢.

الرواية السابعة والعشرون:

- غَيبة النّعماني ١٧٣/ حديث ٨:

●● عن محمد بن مسلم الثّقفي، عن الباقر أبي جعفر عليه السلام أنّه سمعه يقول:

«إنّ للقائم غَيبَتين يُقالُ له في إحْداهُما هَلَكَ، ولا يُدرَى في أيّ وادٍ سَلَكَ».

- المتن في هذه الرواية مطابقٌ للمتون الأخرى ذات الأسانيد الصحيحة، فلا يضرّ وجود بعض المجاهيل في إسنادها، فهذا الضّعف مجبورٌ كما قرّر ذلك نقّاد الحديث وأئمّته.

الرواية الثامنة والعشرون:

- الكافي ١: ٣٣٩ ب ١٣٨/ حديث ١٢:

●● عن عُبيد بن زرارة عن أبي عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام قال:

- «للقائم غَيبَتانِ يَشْهَدُ في إحداهُما المَواسِمَ يَرَى النَّاسَ وَلا يَرَوْنَهُ».

المتن له شواهد كثيرة في روايات أخرى صحيحة، فلا تضرّ الخدشة في إسناد هذه الرواية.

الرواية التاسعة والعشرون:

- كمال الدين ٢: ٣٩٠ ب ٣٨/ حديث ٤:

◉◉ عن الحسـن بن عليّ بن فضّال قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرّضا عليه السلام يقول - في حديث له عن الخضر عليه السلام جاء فيه:

«وسيُؤنِسُ اللهُ بِهِ وَحْشَةَ قائِمِنا في غَيْبَتِهِ ويَصِلُ بِهِ وَحْدَتَهُ».

رجال الإسناد بين ثقات وممدوحين:

◉ **أبو جعفر الصّدوق:**

- شيخ المحدّثين المعروف.

◉ **المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي:**

- «من مشـايخ الصّدوق، ترضّى عليه في المشـيخة، وذكره في العيون، روى عنه التلعكبري كتب العياشي» الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ٢/ ٥٧٩٠.

◉ **جعفر بن محمد بن مسعود:**

- «فاضل ممدوح» منتهى المقال ٢/ ٥٩٥.

◉ **محمد بن مسعود العياشي:**

- «من كبار فقهاء الشـيعة الإماميّة، ثقة، صدوق، عينٌ من عيون هذه الطائفة» موسوعة طبقات الفقهاء ٤/ ١٦٤٤، الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ٢/٥٥٧٩.

◉ **جعفر بن أحمد بن أيوب:**

- «محدّث صحيح الحديث والمذهب متكلم» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٨٤٦.

◉ **الحسن بن علي بن فضّال:**

- «من فقهاء الشيعة الأجلّاء الثّقات - تقدّم».

الرواية الثلاثون:

- كمال الدين ١: ٣٠٢ ب ٢٧/ حديث ١١

۞۞ عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام عن آبائه عن عليّ عليه السلام أنّه قال في خطبة له على منبر الكوفة:

«اللهمَّ إنّه لا بُدَّ لأرضكَ من حجّة لكَ على خلقكَ، يَهديهم إلى دينك، ويُعلِّمُهم علمَك، لئلّا تَبطُلَ حجّتُك، ولا يَضِلَّ أتباعُ أوليائكَ بَعْدَ إذْ هَدَيْتَهم به، إمّا ظاهرٌ لَيسَ بالمُطاع، أو مُكْتَتمٌ مُتَرَقَّبٌ إذا غابَ عَنِ النّاسِ شَخْصُهُ في حالِ هِدايَتِهم فإنَّ عِلْمَهُ وآدابَهُ في قُلوبِ المؤمنينَ مُثْبَتَةٌ فهم بها عاملون».

رجال الإسناد ثقات:

۞ **أبو جعفر الصّدوق:**

- شيخ المحدّثين المعروف.

۞ **عليّ بن الحسين بن بابويه والد الصّدوق:**

- «أحد أعاظم الطائفة الإماميّة - تقدّم».

۞ **سعد بن عبد الله الأشعري:**

- «من الفقهاء الأجلّاء الثّقات».

۞ **هارون بن مسلم الكاتب:**

- «محدّث، ثقة، وجه، صاحب تصانيف» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ١٢٠٠.

۞ **سُعدان بن مسلم:**

- «شيخٌ كبير القدر، جليل المنزلة، له أصلٌ، روى عنه جماعة من الثّقات والأعيان كصفوان، وروى عنه ابن أبي عمير بسندٍ صحيح في الكافي (١/ ١٧٨)» الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ٢/ ٢٤٨٠.

○ **مسعدة بن صدقة:**

- في تعليقة الوحيد البهبهاني (٣٣٣): قال جدّي: الذي يظهر من أخباره في الكتب أنّه ثقة. لأنّ جميع ما يرويه في غاية المتانة موافقٌ لما يرويه الثّقات. ولهذا عملت الطائفة بما رواه. بل لو تتبعت وجدت أخباره أسدّ وأمتن من أخبار مثل جميل بن درّاج وحريز بن عبد الله» منتهى المقال ٦/ ٢٩٦٧.

الرواية الواحدة والثلاثون:

- كمال الدين ٢: ٢٧٦ ب ٣٥/ حديث ٧:

●● عن الريّان بن الصّلت قال: قلت للرّضا عليه السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال:

«أنا صَاحِبُ هذا الأمر. ولكنّي لستُ بالذي أَمْلَأُها عَدلًا كما مُلئت جَورًا - إلى أن قال: - ذاكَ الرابعُ مِنْ وِلدي. يُغَيِّبُهُ اللهُ في سَتْرِهِ ما شَاء، ثُمَّ يُظهِرُهُ فيَملأ [به] الأرضَ قِسطًا وعَدلًا كما مُلئت جَورًا وظُلمًا».

رجال الإسناد ثقات:

● **أبو جعفر الصّدوق:**

- شيخ المحدّثين المعروف.

○ **أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني:**

- «من مشايخ الصّدوق قال عنه: كان رجلًا ثقة ديّنًا صالحًا - تقدّم».

● **عليّ بن إبراهيم:**

- «من أعلام الفقهاء الأجلّاء الثّقات - تقدّم».

- **إبراهيم بن هاشم:**

- «من شيوخ الإجازة المعتمدين - تقدّم».

- **الرّيان بن الصّلت:**

- «محدّث فقيه، ثقة، صدوق» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٩١٧.

الرواية الثانية والثلاثون:

- كمال الدين ٢: ٣٦٨، ٣٦٩ ب٣٤/ حديث ٦:

● عن أبي أحمد محمد بن زياد الأزدي قال: سألت سيّدي موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ فقال عليه السلام:

«النِّعمةُ الظَّاهِرَةُ الإمامُ الظَّاهِرُ، والباطنةُ الإمامُ الغَائِبُ، فقلت له: ويكون في الأئمّة من يَغيبُ؟

قال: نعم، يَغيبُ عن أبصارِ النَّاس شَخْصُهُ، ولا يَغيبُ عن قلوب المؤمنين ذِكْرُه، وهو الثَّاني عَشَرَ مِنَّا يُسهِّلُ اللهُ لَهُ كلَّ عَسيرٍ، ويُذَلِّلُ لَهُ كُلَّ صَعْبٍ، ويُظهِرُ لَهُ كُنوزَ الأَرْضِ - إلى آخر الحديث».

رجال الإسناد ثقات:

- **أبو جعفر الصّدوق:**

- شيخ المحدّثين المعروف.

- **أحمد بن زياد الهمداني:**

- «ثقة ديّن صالح - تقدّم».

◉ عليّ بن إبراهيم:

- «من أعلام الفقهاء الثّقات - تقدّم».

◉ إبراهيم بن هاشم:

- «من شيوخ الإجازة المعتمدين - تقدّم».

◉ أبو أحمد بن زياد الأزدي [محمد بن أبي عمير]:

- «من أوثق الناس وأورعهم وأعبدهم - تقدّم في أسانيد كثيرة».

الرواية الثالثة والثلاثون:

- كمال الدين ١: ٢٨٨، ٢٨٩ ب ٢٦/ حديث ١:

◉◉ عن الأصبغ بن نباتة قال: أتيت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فوجدته متفكّرًا ينكتُ في الأرض فقلت: يا أمير المؤمنين، مالي أراك متفكّرًا تنكتُ في الأرض أرَغبتَ فيها؟

فقال: «لا والله ما رَغِبْتُ فيها ولا في الدُّنيا يومًا قطُّ، ولكنْ فكَّرتُ في مولود يكونُ منْ ظَهري، الحادي عشَرَ من ولدي هو المهديُّ يملأُها عَدلًا كما مُلِئَت جَورًا وظُلمًا، تكونُ له حيْرةٌ وغَيْبةٌ، يَضِلُّ فيها أقوامٌ، ويهتدي فيها آخرون - إلى آخره».

رجال الإسناد ثقات إلّا الجهني فهو ممدوح وكذلك الأصبغ.

◉ أبو جعفر الصّدوق:

- شيخ المحدّثين المعروف.

◉ (١) عليّ بن الحسين بن بابويه والد الصّدوق:

- «أحد أعاظم الطائفة الإماميّة - تقدّم».

● (٢) **محمد بن الحسن بن الوليد:**

- «من الفقهاء الأعاظم - تقدّم».

- قالا: حدّثنا

● (١) **سعد بن عبد الله:**

- «من فقهاء الطائفة الأجلّاء الثّقات».

● (٢) **عبد الله بن جعفر الحِمْيَري:**

- «من أجلّاء الفقهاء الثّقات».

● (٣) **محمد بن يحيى العطّار:**

- «أحد أعلام الفقهاء الثّقات».

● (٤) **أحمد بن إدريس:**

- «من كبار فقهاء الشـيعة، وثقات محدّثيهم، وأحد مشـايخ الكليني» موسوعة طبقات الفقهاء ٤/ ١٢٥١.

جميعًا عن:

● (١) **محمد بن الحسين بن أبي الخطّاب:**

- «ثقة عين جليل القدر... تقدّم في أسانيد كثيرة».

● (٢) **أحمد بن محمد بن عيسى:**

- «شيخ القمّيين وفقيههم الثّقة».

● (٣) **أحمد بن محمد بن خالد البرقي:**

- «أحد كبار الفقهاء الثّقات - تقدّم».

(٤) إبراهيم بن هاشم:

- «من شيوخ الإجازة المعتمدين».
- جميعًا عن:

الحسن بن عليّ بن فضّال:

- «من فقهاء الشّيعة الأجلّاء الثّقات - تقدّم».

ثعلبة بن ميمون:

- «أحد وجوه الشيعة، قارئ، فقيه، ثقة، كثير العبادة» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٣٣٦.

مالك الجهني:

- «وردت أحاديث يُستفاد منها حسن حاله ومكانته عند الإمامين الباقر والصّادق عليهما السلام» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٦١٧.

الحارث بن المغيرة النصري:

- «قال عنه النجاشي: ثقة ثقة» رجال النجاشي ج١: ٣٣٣/ ٣٥٩.
- وعن موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٣٤٩: «العالم الجليل أبوعلي النصري... وكان جليل القدر، كبير الشأن، رفيع المنزلة، شهدت بذلك عدّة روايات».

الأصبغ بن نباته:

- «من كبار التابعين، كان شيخًا ناسكًا عابدًا من خواصّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام» موسوعة طبقات الفقهاء ١/ ١٠٠.

الإشكاليّة الثالثة - الإشكال الثاني:

الإشكال العقليّ

«استحالة بقاء الإنسان هذا العمر الطويل»

الإشكاليّة الثالثة - الإشكال الثاني:

نقد الإشكال العقليّ

تتشكّل «الاستحالة العقليّة» من خلال وجود ما يُسمَّى بـ «التناقض». فهل أنّ افتراض بقاء الإنسان هذا العمر الطويل يستبطن وجود هذا «التناقض»؟

القائلون بالاستحالة العقليّة في هذا المقام يدّعون أنّ هذا الافتراض يختزن في داخله بالفعل حالًا من «التناقض».

فما مدى صحّة هذه الدعوى منطقيًا؟

إنّ معالجة الدعوى المذكورة تفرض أن نحدّد معنى «التناقض» من وجهة النّظر المنطقي.

تعريف التناقض في الاصطلاح المنطقيّ:

يمكن أن نستعين بمثالٍ توضيحي لإعطاء تعريفٍ مبسّطٍ للتناقض المنطقيّ.

إذا طرحنا هاتين القضيّتين:

- الإنسان مخلوق.
- الإنسان غير مخلوق.

فهل تصدقان معًا؟

وهل تكذبان معًا؟

لا يمكن ذلك في الحالين، بل الصحيح أنّ إحدى القضيّتين صادقة، والأخرى كاذبة، وهذا الاختلاف في القضيّتين - صدقًا وكذبًا - يُسمّى «التناقض».

ولكنّ هذا التناقض لا يتحقّق بين القضيّتين إلّا إذا توفّر ما يُسمّى بـ «شروط التناقض».

وتتمثل في:

أولًا: اتحاد القضيّتين في الوحدات التالية:

١- الموضوع.

٢- المحمول.

٣- الزّمان.

٤- المكان.

٥- القوّة والفعل.

٦- الكلّ والجزء.

٧- الشّرط.

٨- الإضافة.

ثانيًا: اختلاف القضيّتين في الوحدات التالية:

١- الكم

٢- الكيف

٣- الجهة

وعلى هذا الأساس يمكن أن نعرّف التناقض كما يلي:

«اختلاف في القضيّتين يقتضي لذاته أن تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة»[1].

وفي ضوء هذا التعريف المنطقيّ للتناقض، نسأل مرّة أخرى: هل أنّ افتراض بقاء الإنسان آلاف السنين يُنتج «تناقضًا»؟

إذا كان الأمر كذلك، فهذا الافتراض مستحيل منطقيًّا وفلسفيًّا.

---

(١) المظفر: المنطق ص ١٦٦ - ١٦٩.

ولكنّ المسألة - من الواضح - أنّها ليست كذلك.

فمن خلال الافتراض المذكور لا تتشكّل قضيتان متناقضتان.

يمكن أن يُدّعى أنّ هذا الافتراض ينتج تناقضًا وذلك بصوغ القضيّتين على النحو التالي:

- الإنسان يمكن أن يعيش آلاف السنين.
- الإنسان لا يمكن أن يعيش آلاف السنين.

هاتان القضيّتان متناقضتان، فهما لا تصدقان معًا، ولا تكذبان معًا.

فإذا كانت القضيّة الثانية صادقة كما هو الواقع، فإنّ القضية الأولى وهي التي تفترض «إمكان بقاء الإنسان آلاف السنين» تكون قضيّة كاذبة.

وبالتالي «فعقيدة بقاء المهديّ آلاف السنين» عقيدة باطلة عقلًا وهو المطلوب إثباته.

إلّا أنّ هذا الاستدلال يحمل خللًا واضحًا.

ولتوضيح ذلك نقول:

- الإنسان لا يمكن أن يعيش آلاف السنين.
(وذلك ضمن الظروف الطبيعيّة العاديّة).

- الإنسان يمكن أن يعيش آلاف السنين.
(وذلك ضمن الظروف الاستثنائيّة غير العاديّة كما إذا اقتضت الحكمة الربانيّة ذلك).

لا نجد تناقضًا بين القضيّتين.

ولعلّ المفارقة التي أوقعت هؤلاء في شبهة «التناقض» أنّهم لم يُفرّقوا بين ثلاثة

أنواع من «الإمكان».

١-الإمكان العمليّ.

٢-الإمكان العلميّ.

٣-الإمكان المنطقيّ (أو الفلسفيّ).

وقد عالج الشهيد السّيد محمد باقر الصدر هذه المسألة في (بحثه حول المهديّ) معالجة علميّة دقيقة، فأعطى تعريفًا واضحًا مبسّطًا لكلّ نوعٍ من هذه الأنواع الثلاثة.

فالإمكان العمليّ - كما أوضحه - هو «أن يكون الشيئ ممكنًا على نحوٍ يُتاح لي أو لك أو لأيّ إنسانٍ آخر فعلًا أن يحقّقه، فالسفر عبر المحيط والوصول إلى قاع البحر، والصعود إلى القمر، أشياء أصبح لها إمكان عمليّ فعلًا، فهناك من يمارس هذه الأشياء فعلًا بشكلٍ وآخر»[1].

والإمكان العلميّ هو ما لا يتوفّر لدى العلم أيّ مبرّرٍ لرفضه، وإن كانت وسائله المتيسّرة عاجزة بالفعل عن تحقيقه «فصعود الإنسان إلى كوكب الزّهرة لا يوجد في العلم ما يرفض وقوعه، فالصعود إلى كوكب الزّهرة ممكنٌ علميًّا، وإن لم يكن ممكنًا عمليًّا فعلًا وعلى العكس من ذلك الصعود إلى قرص الشمس في كبد السّماء فإنّه غير ممكنٍ علميًّا»[2].

والإمكان المنطقيّ أو الفلسفيّ «أن لا يوجد لدى العقل وفق ما يُدركه من قوانين قَبْليّة - أي سابقة على التجربة - ما يُبرّر رفض الشيئ والحكم باستحالته، فوجود ثلاث برتقالاتٍ تنقسم بالتساوي وبدون كسرٍ إلى نصفين ليس له إمكانٌ منطقيّ، لأنّ العقل يُدرك - قبل أن يمارس أيّ تجربة - أنّ الثلاثة عددٌ فرديّ وليس زوجًا، فلا يُمكن أن تنقسم بالتساوي [وبدون كسرٍ] لأنّ انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجًا، فتكون

---

(١) محمد باقر الصدر: بحث حول المهديّ ص٦٥.

(٢) المصدر نفسه: ص ٦٦.

فـردًا وزوجًا في وقت واحد، وهذا تناقض، والتناقض مسـتحيلٌ منطقيًا، ولكن دخول الإنسـان في النّار دون أن يحترق، وصعوده للشـمس دون أن تحرقه الشمس بحرارتها ليس مسـتحيلًا من الناحية المنطقيّة، إذ لا تناقض في افتراض أنّ الحرارة لا تتسرب من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة وإنّما هو مخالف للتجربة...»[1].

وهنا يمكن أن نخضع مسألة «امتداد عمر الإنسان آلاف السنين» إلى حالات الإمكان الثلاث:

أولًا: الإمكان المنطقيّ أو الفلسفيّ:

امتداد عمر الإنسان آلاف السنين أمرٌ «ممكن منطقيًا وفلسفيًا» لأنّ ذلك ليس مرفوضًـا مـن وجهة نظرٍ عقليّةٍ تجريديّـةٍ، ولا يوجد في افتراضٍ من هـذا القبيل أيّ تناقضٍ.

ثانيًا: الإمكان العمليّ:

وأمّـا من الناحيـة العمليّة المألوفة، فامتداد عمر الإنسـان آلاف السـنين ليس ميسـورًا وممكنًـا على نحو الإمكانـات العمليّة للنزول إلى قاع البحر أو الصـعود إلى القمـر، كون العلـم بوسـائله وأدواته الحاضـرة فعـلًا، والمتاحة من خـلال التجربة البشريّة المعاصرة لم يوفّر للإنسان هذه القدرة العمليّة.

ثالثًا: الإمكان العلميّ:

وأمّـا مـن الناحية العلميّة النظريّـة فلا يوجد ما يُبرّر رفضـ «إمكانيّة امتداد عمر الإنسان آلاف السنين»[2].

ولنـا معالجة تفصـيليّة لهذا الجانب الأخـير حينما يتناول البحث «الإشـكال الثالث – الإشكال العلميّ».

(١) المصدر نفسه: ص٦٦.
(٢) المصدر نفسه: ص٦٧.

وفي ضوء هذا الطرح يمكن أن نخلص إلى النتيجة التالية:

إنّ الإيمان ببقاء «الإمام المهديّ» هذا العمر الطويل لا يُواجه أيّ صعوبة «عقليّة» ما دام طول العمر من الأمور الممكنة منطقيًّا وفلسفيًّا، وإن كان ذلك لا زال في دائرة «عدم الإمكان العمليّ».

وربّما اختلط الأمر لدى أولئك المعترضين من وجهة النّظر العقليّة، فلم يُميّزوا بين «الإمكان المنطقيّ» و«الإمكان العمليّ» فأصدروا حكمهم باستحالة بقاء الإنسان هذا العمر الطويل، كون ذلك غير ممكنٍ عمليًّا..

ولم يلتفتوا أنّ ذلك لا يُشكّل «استحالةً عقليّةً» ولا «استحالةً علميّة».

وإذا كان هذا الامتداد في «عمر الإمام المهديّ» يبدو غريبًا في حدود الواقع المألوف في حياة النّاس وفي حدود منجزات العلم المعاصرة، إلّا أنّه لا غرابة في ذلك ضمن «الإرادة الإلهيّة» التي صمّمت عمر «هذا القائد» المعدّ من قِبَل الله تعالى لممارسة الدور التغييريّ الكبير في العالم.

كما أنّ الدور الكبير - نفسه - المناط أداؤه بهذا «القائد» أمرٌ غير مألوف في حركة التاريخ، وأكثر غرابة من مسألة العمر الطويل في حياة الإنسان.

وليس من الصدفة - كما يقول السيد الصدر -: «أن يقوم شخصان فقط بتفريغ الحضارة الإنسانيّة من محتواها الفاسد، وبنائها من جديد، فيكون لكلّ منهما عمر مديد يزيد على أعمارنا الاعتياديّة أضعافًا مضاعفة، أحدهما مارس دوره في ماضي البشريّة وهو نوح الذي نصّ القرآن الكريم على أنّه مكث في قومه ألف عام إلّا خمسين سنة[1]، وقُدّر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من جديد.

(١) العنكبوت: ١٤ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

والآخر يُمارس دوره في مستقبل البشريّة وهو المهديّ الذي مكث في قومه حتى الآن أكثر من ألف عام، وسيُقدَّر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد. فلماذا نقبل نوحًا الذي ناهز ألف عام على أقلّ تقدير، ولا نقبل المهديّ؟»[١].

إنّ امتداد العمر لوليّ الله الثاني عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام المنصوصين هو جزءٌ من المخطّط الربانيّ في سياق الإعداد ليوم الظهور الأكبر، حيث تنتظر البشريّة ذلك اليوم الذي تنطلق فيه حركة الإصلاح الكبرى في العالم «يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا».

ولعلّنا نقرأ في الأخبار الصادرة عن المعصومين عليهم السلام ما يُشير إلى أنّ «الغَيْبة والتعمير» في حياة الإمام المهديّ عليه السلام يحملان من الحكم والمصالح والأسرار التي تعجز العقول عن إدراكها، وربّما أوضحت الأخبار بعض هذه الأسرار.

اقرأ هذه الروايات:

١- عن أبي عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام قال:
«صاحبُ هذا الأمرِ تغيبُ ولادَتُهُ عن هذا الخلقِ، كي لا يكونَ لأحدٍ في عنقه بيعةٌ إذا خَرَجَ، ويُصلحُ اللهُ أمرَهُ في ليلة»[٢].

٢- عن سعيد بن جبير قال: قال عليّ بن الحسين سيّد العابدين عليه السلام:
«القائمُ منّا تَخفى ولادَتُهُ على النّاسِ حتّى يقولوا: لمْ يولَدْ بعدُ ليَخرُجَ حينَ يَخرُجُ وليسَ لأحدٍ في عُنُقِه بَيْعَةٌ»[٣].

٣- عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام قال:

---

(١) محمد باقر الصدر: بحث حول المهديّ، ص ٧٢ - ٧٣.
(٢) الصّدوق: كمال الدين ٢: ٤٨٠ ب ٤٤/ حديث ٥.
(٣) كمال الدين ١: ٢٢٢، ٢٢٣ ب٢١/ حديث ٦.

«يقومُ القائمُ وليسَ لأحدٍ في عُنُقِه بَيْعَةٌ»(١).

٤- عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام قال:
«يقومُ القائمُ وليسَ لأحدٍ في عُنُقِه عهدٌ ولا عقدٌ ولا بيعةٌ»(٢).

٥- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:
«صاحبُ هذا الأمرِ ليسَ لأحدٍ في عُنُقِه عهدٌ ولا عقدٌ ولا بيعةٌ»(٣).

٦- عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصّادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول:
«إنَّ لصاحبِ هذا الأمرِ غَيْبةً لا بدَّ منها، يرتابُ فيها كلُّ مُبطِلٍ.
فقلت: ولِمَ جُعِلتُ فداك؟
قال: لأمرٍ لمْ يؤذَنْ لنَا في كَشفِه لكم.
قلت: فما وجه الحكمة في غَيْبته؟
قال: وجهُ الحكمة في غَيْبته وجهُ الحكمة في غيباتِ مَنْ تقدَّمَهُ من حججِ اللهِ تعالى ذِكْرُه، إنَّ وجهَ الحكمَةِ في ذلكَ لا يَنكشفُ إلّا بعدَ ظُهورِه، كما لَمْ يَنكشفْ وَجهُ الحِكمةِ فيما آتاهُ الخضرُ عليه السلام مِنْ خَرْقِ السَّفينة، وقَتلِ الغُلام، وإقامةِ الجدارِ لموسى عليه السلام إلّا وقتَ افتراقِهِما، يا ابن الفَضل: إنَّ هذا الأمرَ أمرٌ من [أمرِ] الله تعالى، وسرٌّ مِنْ سرِّ الله، وغيبٌ من غيبِ الله ومتى عَلمنا أنَّ الله عزَّ وجلَّ حكيمٌ، صَدَّقنا بأنَّ أفعاله كُلَّها حِكمةٌ، وإنْ كانَ وجهُها غيرَ منكشفٍ»(٤).

٧- عن إسحاق بن يعقوب عن صاحب الزّمان صلوات الله عليه في آخر التوقيع الوارد في جواب كتابه الذي سأل محمد بن عثمان العَمْري أن يوصله إليه عجّل

---

(١) غيبة النعماني ١٩١ ب ١٠/ حديث ٤٥.
(٢) الكليني: الكافي ١: ٣٤٢ كتاب الحجّة باب في الغَيْبة.
(٣) المسعودي: إثبات الوصية ٢٢٣.
(٤) الصّدوق: كمال الدين ٢: ٤٨١ - ٤٨٢ ب٤٤/ ح ١١.

الله فرجه:

«أمّـا علّةُ ما وَقَـعَ منَ الغَيْبة فإنَّ اللهَ عـزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْـأَلُواْ عَنْ أَشْـيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾(١) إنّه لمْ يكنْ لأحد منْ آبائي عليهم السلام إلّا وقـدْ وقعتْ في عنقه بيعةٌ لطاغيةِ زمانـه، وإنّي أخرجُ حينَ أخرجُ ولا بيعةَ لأحد مـن الطواغيت في عُنُقي، وأما وجهُ الانتفاع بي في غَيْبَتي فكالانتفاع بالشّـمس إذا غيَّبها عن الأبصارِ السَّحابُ، وإنّي لأمانٌ لأهلِ الأرض كما أنَّ النُّجومَ أمانٌ لأهلِ السَّـماء، فاغلقوا بابَ السُّؤالِ عمَّا لا يَعنيكُم ولا تَكلَّفُوا علِمَ ما قدْ كُفيتُم، وأكْثِروا الدُّعاءَ بتعجيلِ الفَرَجِ، فإنَّ ذلكَ فَرَجُكُمْ...»(٢).

٨- عن أبي الحسـن عليّ بن موسـى الرّضـا عليه السلام قـال: «كأنّي بالشّـيعة عندَ فقْدهم الثّالثَ منْ ولدي كالنَّعَم يَطلُبونَ المرعى فلا يَجدونَه، قلتُ: ولمَ ذاكَ يا ابنَ رسولِ الله؟ قال: لأنَّ إمامَهُم يَغيبُ عَنهم.

فقلت: ولمَ؟

قال: لئَلّا يكونَ في عنُقِه لأحدٍ بيعةٌ إذا قامَ بالسَّيفِ»(٣).

ملاحظة:

حينمـا يعالـج البحث «إشـكاليّة الغَيْبة» يأتـي الحديث عن مزيـدٍ من الأخبار والروايات.

لماذا هذه الكثافة من الرّوايات؟

إنّ ظاهرة «الغَيْبة وطول العمر» من الأمور غير المألوفة: ممّا فرض وجود كثافة من الروايات التي تعالج هذا الأمر وتهيّئ الذّهنيات لقبوله واسـتيعابه، وكون الشّـيئ غير مألوف لا يُشكّل استحالةً عقليّةً كما أوضحنا ذلك.

(١) المائدة: آية ١٠١.

(٢) كمال الدين ٢: ٤٨٣ - ٤٨٥ ب ٤٥/ حديث ٤.

(٣) الصّدوق: عيون أخبار الرّضا ١: ٢٧٣ ب ٢٨/ ح ٦.

ولعلَ في الروايات ما يُشير إلى مواجهة حالات الإنكار المحتملة:

- عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام يقول: «إنْ بلغَكُم عنْ صاحبِكم غَيْبةٌ فلا تُنكِروها»(١).

- وعن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام يقول: «إنْ بلغَكُم عنْ صاحبِ هذا الأمرِ غَيْبةٌ فلا تُنكِروها»(٢).

- عن سدير قال: سمعت أبا عبد الله [الإمام الصّادق] يقول:
«في القائم سُـنَّةٌ منْ يوسـفَ، قلتُ: كأنَّكَ تذكر حيرةً أو غَيْبةً - إلى أن قال - فمـا تنكرُ هـذه الأمَّةُ أنْ يكونَ اللهُ تباركَ وتعالى في وقتٍ من الأوقاتِ يُريدُ أنْ يَستُرَ حُجَّتَهُ»(٣).

- عن صفوان بن مهران الجمّال قال: قال الصّادق جعفر بن محمد عليه السلام:
«أما واللهِ ليَغيبَنَّ عنكُم مهديُّكم حتَّى يقولَ الجاهلُ منكم: ما للهِ في آلِ محمَّد حاجـة، ثمَّ يُقبِلُ كالشِّـهابِ الثَّاقِـبِ فيملأُها عَدلًا وقِسـطًا كَمـا مُلِئَت جَورًا وظُلمًا»(٤).

- عـن غيـاث بن إبراهيم عن أبي عبـد الله [الإمام الصّـادق] عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:
«مَنْ أنْكَرَ القَائمَ مِنْ ولدِي فقدْ أنْكَرَني»(٥).

---

(١) الكليني: الكافي ١: ٣٤٠ / ح ١٥.
(٢) المصدر نفسه ١: ٣٣٨/ ح ١٠.
(٣) الصّدوق: كمال الدين ٢: ٣٤١ ب ٣٣/ ح ٢١.
(٤) المصدر نفسه ٢: ٣٤١ ب ٣٣/ حديث ٢٢.
(٥) المصدر نفسه ٢: ٤١٢ ب ٣٩/ حديث ٨.

● وعنه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:
«مَنْ أَنْكَرَ القائِمَ مِنْ ولدي في زمانِ غَيْبتِه ماتَ ميتةً جاهليّةً»[١].

عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصّادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول:
«إنَّ لصاحبِ هذا الأمرِ غَيْبةً لا بدَّ مِنها، يرتابُ فيها كلُّ مُبطلٍ...»[٢].

● عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام:
«إنَّ ابنـي هُـو القائـمُ مِنْ بعـدي، وهُو الذي تَجـري فيه سُـنَنُ الأنبياءِ عليهم السلام بالتعمـيرِ والغَيْبةِ حتّى تَقسـو قلوبٌ لطولِ الأَمَدِ، فلا يَثبـتُ على القولِ إلّا مَنْ كتبَ اللهُ عزَّ وجلَّ في قلبِهِ الإيمانَ وأيَّدَه بروحٍ منه»[٣].

● عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام قال:
«مـا تُنكِرون أنْ يَمُدَّ اللهُ لصـاحِبِ هذا الأمـرِ في العمرِ كما مدَّ لنوحٍ عليه السلام في العُمُرِ»[٤].

---

(١) المصدر نفسه ٢: ٤١٢ ب ٣٩/ حديث ١٢.
(٢) المصدر نفسه ٢: ٤٨١ ب ٤٤/ حديث ١١.
(٣) المصدر نفسه ٢: ٥٢٤ ب ٤٦/ حديث ٤.
(٤) الطوسي: الغَيبة ٤٢١/ حديث ٤٠٠.

الإشكاليّة الثالثة - الإشكال الثالث:

الإشكال العلميّ

«افتراض هذا العمر الطويل افتراضُ غير علميّ»

١٤٧

الإشكاليّة الثالثة - الإشكال الثالث:

نقد الإشكال العلميّ

«من خلال مجموعة ملاحظات»

الملاحظة الأولى:

صحيحٌ أنّ العلم - بوسائله الميسورة - لا زال غير قادرٍ على إعطاء الحياة هذا الامتداد الطويل، إلاّ أنّه ليس في معطياته ما يبرّر رفض هذا الافتراض.

فمن الناحية العلميّة لا نجد أيّ صعوبةٍ في تبنّي الفكرة، فلا يوجد حتى الآن أيّ مقولةٍ علميّةٍ تدّعي استحالة بقاء الإنسان حيًّا لمدّةٍ طويلة تتجاوز العمر المألوف.

وربّما نجد محاولاتٍ علميّةً تتّجه لإثبات إمكانيّة أن يعيش الإنسان لمدّة أطول من العمر المألوف، وهذه المحاولات - ومن خلال التجارب التي أُجريت على قسم من الخلايا الحيوانيّة - استطاعت أن تصل إلى فرضيّة علميّة تقول بإمكانيّة أن يتوفّر الإنسان على عمرٍ طويل، إذا أمكن أن يُوفّر لنفسه مواصفاتٍ موضوعيّة تحميه من المؤثرات الخارجيّة.

وقد أكّد عددٌ كبيرٌ من العلماء بأنّ امتداد عمر الإنسان بشكلٍ يتجاوز كثيرًا الأعمار المألوفة، أمرٌ غير مستحيلٍ من وجهة نظر العلم.

١- يقول هاتس سلي وانجل هارت (مديرا قسم البيئة في أكاديميّة العلوم السوفيتيّة): «إنّ أمل البشريّة في إطالة العمر اقترب من مرحلة التحقّق»(١).

٢- قال البرفسور الفرنسي شبس في كتابه (الأمل بحياة طويلة): «يستطيع الإنسان بالاستفادة من مواهبه الطبيعيّة، وقدراته التمدّنية أن يعيش حياة أطول، وأكثر فعّالية، ويؤخّر الشّيخوخة سنوات أطول»(٢).

(١) صحيفة اطلاعات الإيرانيّة، العدد ١٢٦٣١ سنة ١٣٤٧ هـ. ش [على ما في (عمر المهديّ بين العلم والأديان) لعلي أكبر مهدي بور ص ١٣. تعريب السيد باسم الهاشمي].

(٢) المصدر السابق: العدد ١١٧٣١، سنة ١٣٤٤ هـ. ش [على ما في عمر المهديّ لعلي أكبر ص ١٤].

٣- قال الدكتور كليورد هاورز الأمريكي: «استطاع الطب أن يرفع القيود والحدود المانعة من طول عمر الإنسان بمساعدة علم التغذية، ونستطيع في هذا اليوم أن نكون آملين بعمرٍ طويلٍ، خلافًا لما كان عليه آباؤنا وأجدادنا»[١].

٤- قال البرفسور إتينكر أحد المهتمين والمتخصّصين بعلم (الكريونيك = انجماد بدن الإنسان): «أعتقد أنّ التقدّم التكنيكي الذي قمنا به في (عمليّة انجماد بدن الإنسان) سيُمكّن البشريّة في القرن الواحد والعشرين من أن تعيش آلاف السنين»[٢].

٥- كتب أحد الأطباء الانكليز: «لقد استطاع بعض العلماء أن يُطيل عمر حشرة من حشرات الفواكه إلى تسعمائة ضعف من عمرها الحالي، وعلى هذا يبدو أنّنا نستطيع أن نُضاعف عمر الإنسان الطبيعي الذي هو ثمانين عامًا إلى اثنتين وسبعين ألف سنة»[٣].

٦- ذكرت مجلة المقتطف في أحد أعدادها (ج٣ مج ٥٩) تحت عنوان (هل يخلد الإنسان في الدنيا) هذه الفقرة: «لكنّ العلماء الموثوقين يقولون إنّ كلّ الأنسجة من جسم الحيوان تقبل البقاء إلى ما لا نهاية له، وأنّه في الإمكان أن يبقى الإنسان حيًّا ألوفًا من السّنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته، وقولهم هذا ليس مجرّد ظنٍ، بل هو نتيجةٌ علميّةٌ مؤيّدةٌ بالامتحان».

٧- جاء في كتاب (في انتظار الإمام) للعلّامة الكبير الشيخ عبد الهادي الفضلي قوله: «إنّ جماعةً من العلماء المحدثين أمثال: الدكتور ألكس كارل، والدكتور جاك لوب، والدكتور ورن لويس، وزوجته، وغيرهم قاموا بإجراء عدّة تجارب في معهد (روكفلر) بنيويورك على أجزاء مختلفة من النبات والحيوان

(١) الطريق نحو حياة جديدة ص ١٤ [كما عن عليّ أكبر مهدي بور في كتابه (عمر المهديّ) ص ١٤].
(٢) مجلة دانشمند الإيرانيّة، السّنة ٦، العدد٦، الصفحة ١٤٧ [كما عن عليّ أكبر مهدي بور في (عمر المهديّ) ص ١٤].
(٣) مجلة الهلال: آذار ١٩٢٠، العدد ٥، الصفحة ٦٠٧ [كما عن (عمر المهديّ) ص ١٤، ١٥].

والإنسان، وكان من بين تلكم التجارب ما أُجريت على قطع من أعصاب الإنسان وعضلاته وقلبه وجلده وكليته، فرُؤي أنّ هذه الأجزاء تبقى حيّة نامية ما دام الغذاء اللازم موفورًا لها، وما دامت لم يعرض لها عارضٌ خارجيّ، وأنّ خلايا تنمو وتتكاثر وفق ما يُقدّم لها من غذاء.

وأكّد تقريرٌ نشرته الشركة الوطنيّة الجيوغرافيّة أنّ الإنسان يستطيع أن يعيش (١٤٠٠) سنة إذا ما خدّر مثل بعض الحيوانات»[١].

فهذه المقولات وإن كانت لا زالت «فرضيّات» إلّا أنّها تُشكّل دعمًا إلى حد ما لفكرة (بقاء الإمام المهديّ) حيًّا هذا العمر الطويل، ويكفي أن تُلغي هذه المقولات دعوى التنافي بين الفكرة والعلم الحديث.

الملاحظة الثانية:

يمكن أن نُعطي لمسألة امتداد عمر الإنسان قبولًا علميًّا إذا حاولنا أن نفهم «التفسير الفسلجي» لظاهرة الشيخوخة والهرم لدى الإنسان.

هناك احتمالان في تفسير هذه الظاهرة - حسب ما أورد ذلك الشهيد الصدر في بحثه حول الإمام المهديّ -:

الاحتمال الأول:

يعتبر ظاهرة الشيخوخة قانونًا طبيعيًا «يفرض على أنسجة جسم الإنسان وخلاياه بعد أن تبلغ قمّة نموّها أن تتصلّب بالتدريج، وتُصبح أقلّ كفاءة للاستمرار في العمل إلى أن تتعطّل في لحظة معيّنة حتى لو عزلناها عن تأثير أيّ عامل خارجيّ»[٢].

---

(١) الفضلي: في انتظار الإمام ص٥٥.

(٢) محمد باقر الصدر: بحث حول المهديّ ص٦٧.

الاحتمال الثاني:

يَعتبرُ ظاهرة الشيخوخة خاضعة للعوامل الخارجيّة فهذا «التصلّب وهذا التناقض في كفاءة الأنسجة والخلايا الجسميّة للقيام بأدوارها الفسيولوجيّة نتيجة صراعٍ مع عوامل خارجيّة كالميكروبات أو التسمّم الذي يتسرّب إلى الجسم من خلال ما يتناوله من غذاءٍ مكثّفٍ أو ما يقوم به من عملٍ مكثّفٍ أو أيّ عاملٍ آخر»[١].

كتب الدكتور كيلورد هاورز الألماني يقول:

«إنّي أعتقد أنّ الشيخوخة تبدأ من كيفيّة التغذية وقد أقام العلماء في كافّة أنحاء العالم آلاف الأدلّة المُحكمة يُثبتون من خلالها أنّ طول عمر الإنسان يرتبط بالتغذية، وخلصوا إلى القول: إنّ منبع قوّة الشباب مرتبطٌ بتغذيةٍ جيدةٍ أو بغذاءٍ كامل»[٢].

ويقول العالم الروسي إيليا ميجينيكوف:

«يتولّد يوميًّا حوالي (١٣٠ تريليون) مكروب في الإنسان، إلّا أنّ معظمها لا يضرّ بالبدن. وبعضها يكون سامًّا فتقوم بتسميم البدن بالسّموم التي تنتجها، ويحتمل أنّها هي التي تؤثّر على شيخوخة الخلايا والأنسجة الحيّة في بدن الإنسان»[٣].

في ضوء هذين الاحتمالين:

إذا أخذنا بوجهة النظر العلميّة الثانية في تفسير ظاهرة الشيخوخة «فهذا يعني أنّ بالإمكان نظريًّا، إذا عُزلت الأنسجة التي يتكوّن منها جسم الإنسان عن تلك المؤثّرات المعيّنة أن تمتّد بها الحياة وتتجاوز ظاهرة الشيخوخة، وتتغلّب عليها نهائيًّا»[٤]..

---

(١) المصدر السابق: ص ٦٨.

(٢) جواز سفر نحو حياة جيدة [على ما ذكر مهدي بور في (عمر المهديّ) ص ٢٦، ٢٧].

(٣) مجلة دانشمند الإيرانيّة. السّنة ٦. العدد ١. الصفحة ١٤٤ [على ما ذكر مهدي بور في (عمر المهديّ) ص ٢٨].

(٤) محمد باقر الصدر: بحث حول المهديّ. ص ٦٨.

وإذا أخذنا بوجهة النظر الأولى «فليس معنى هذا عدم افتراض أيّ مرونة في القانون الطبيعي، بل هو على افتراض وجوده قانونٌ مرن، لأنّنا نجد في حياتنا الاعتياديّة، ولأنّ العلماء يشاهدون في مختبراتهم العلميّة أنّ الشيخوخة كظاهرة فسيولوجيّة لا زمنيّة، قد تأتي مبكّرة وقد تتأخر ولا تظهر إلّا في فترة متأخرة، حتى أنّ الرجل قد يكون طاعنًا في السّن، ولكنّه يملك أعضاء ليّنة ولا تبدو عليه أعراض الشيخوخة كما نصّ على ذلك الأطباء.

بل إنّ العلماء استطاعوا عمليًّا أن يستفيدوا من مرونة ذلك القانون الطبيعي المفترض، فأطالوا عمر بعض الحيوانات مئات المرات بالنسبة على أعمارها الطبيعيّة، وذلك بخلق ظروف وعوامل تؤجّل فاعليّة قانون الشيخوخة...»[1].

ووفق هذا الاتجاه تتحرّك في مختلف أنحاء العالم نشاطاتٌ علميّةٌ مكثفةٌ لمكافحة ظاهرة الشيخوخة.

يقول الدكتور فورونوف:

«لقد أجريت (٦٠٠) اختبار ناجح، ويمكنني أن أعلن بقاطعيّة أنّ بالإمكان في المستقبل القريب تجديد قوى كبار السّن، والقضاء على إنحناء قاماتهم، وتأخير مرحلة الشيخوخة، وإطالة فترة قوّة وشباب الإنسان، وسيكون بالإمكان تغيير صفاته وعاداته أيضًا»[2].

ونُشير هنا إلى مجموعة دراسات وأبحاث صادرة عن علماء متخصّصين في شؤون البيئة، تناولت موضوع (إطالة العمر) ومسألة (الشيخوخة) كما وردت في البحث القيّم (عمر المهديّ بين العلم والأديان) [3]:

١- (نحو حياة جديدة) للبروفسور شيس الفرنسي.

(١) المصدر السابق: ص ٦٨.
(٢) تفسير الطنطاوي ١٧: ٢٢٠ (على ما في عمر المهديّ ص ٣١).
(٣) علي أكبر مهدي بور: عمر المهديّ بين العلم والأديان ص ٤٤.

٢- (الخلود) لناتان دارينك.

٣- (علم إطالة العمر) لكوفلاند الروسي.

٤- (إطالة العمر) لبارفين نيكاليجف.

٥- (الخلود) للبروفسور اتينكر.

٦- (طول عمر الحيوانات والنباتات والناس) لتارخانف.

٧- (عمر طويل) للبروفسور يلي بلز.

٨- (العمر الطويل) للدكتور س بير الفرنسي.

٩- (فن طول العمر) لهوفلند.

١٠- (جواز سفرٍ نحو حياةٍ جديدة) للدكتور هاوزر الألماني.

الملاحظة الثالثة:

على أساس ما تقدّم من الملاحظتين الأولى والثانية اتضح «أنّ العلم من الناحية النظريّة، وبقدر ما تُشير إليه اتجاهاته المتحرّكة لا يوجد فيه أبدًا ما يرفض إمكانيّة إطالة عمر الإنسان، سواء فسّرنا الشيخوخة بوصفها نتاج صراعٍ واحتكاكٍ مع مؤثراتٍ خارجيّةٍ أو نتاج قانونٍ طبيعيّ للخليّة الحيّة نفسها يسير بها نحو الفناء.

«ويتلخّص من ذلك: إنّ طول عمر الإنسان وبقاءه قرونًا متعدّدة أمرٌ ممكنٌ منطقيًا، وممكنٌ علميًّا، ولكنّه لا يزال غير ممكنٍ عمليًّا، إلّا أنّ اتجاه العلم سائرٌ في طريق تحقيق هذا الإمكان عبر طريقٍ طويل»[1].

وفي ضوء هذه النتيجة: لا نجد أيّ صعوبةٍ علميّةٍ تواجه فكرة «الإمام المهديّ» في غَيْبته وامتداد عمره، كما يدّعي الإشكال الثالث فيما أثاره من أنّ افتراض هذا العمر الطويل افتراضٌ غير علميّ.

(١) محمد باقر الصدر: بحث حول المهديّ ص ٦٩.

١٥٥

الإشكاليّة الثالثة - الإشكال الرابع:

الإشكال العقيديّ

«افتراض العمر الطويل يتنافى مع الثابت العقيديّ»

من الثوابت العقيديّة «حتميّة الموت» و«حتميّة الأجل» و«نفي الخلود».

وهذا ما أكّدته نصوصٌ صريحةٌ في القرآن:

① ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾. (آل عمران: ١٨٥)

② ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾. (النساء: ٧٨)

③ ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾. (ق: ١٩)

④ ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾. (الواقعة: ٦٠)

⑤ ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾. (الجمعة: ٨)

⑥ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾. (الزمر: ٣٠)

⑦ ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾. (المنافقون: ١١)

⑧ ﴿إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾. (يونس: ٤٩)

⑨ ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾. (الزمر: ٤٢)

⑩ ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾. (الأنبياء: ٣٤)

في ضوء هذه الثوابت العقيديّة لا نجد مبرّرًا لتشكّل «عقيدة البقاء والامتداد» كما هي عقيدة المهديّ عند الشيعة، استنادًا إلى مقولات صادرة ممّن لا يؤمن بالله تعالى، كما أنّ (الشيخوخة) قانونٌ إلهي صارمٌ لا يمكن إلغاؤه أو التحكّم فيه، كما تدّعي تلك المقولات الباطلة والأفكار الموهومة التي تتنافى مع «المسلّمات القرآنيّة» و«الثوابت الدينيّة».

- ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾. (يس: ٦٨)
- ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾. (النحل: ٧٠)

الإشكالية الثالثة - الإشكال الرابع:

نقد الإشكال العقيديّ

«من خلال مجموعة ملاحظاتٍ»

الملاحظة الأولى:

إنّ الفرضـيّة المذكورة - فرضـيّة العمر الطويل - لا تُشكّل تنافيًا مع النصوص القرآنيّـة التي تتحـدّث عن (الموت والأجـل)، لأنّ (حتمية الموت) كمـا هو الثابت في المنظور القرآنيّ لا تنفي (إمكانيّة البقاء) وامتداد الحياة المحكوم في النهاية (لقانون الموت).

والمقولات العلميّة التي تتحدّث عن (إمكانيّة البقاء والخلود) لا تقصـد المعنى الواقعـيّ لهاتـين الكلمتين، فليـس في ما ثبت من تلك المقولات مـا يتحدّث عن «العمر اللامحـدود»، فمن الممكن أن تدّعي مقـولات العلماء «إمكانيّة امتـداد العمر طويلًا» ولكن ليس إلى ما لا نهاية في الزّمن.

ثمّ إنّ المسـألة في ما هـو «الاعتقاد ببقاء الإمام المهديّ» ليس إنكارًا (لحتميّة الموت) ليكون (النقض) في ما سـاقه هؤلاء المشـكّكون من الاستشـهاد بآيات «الموت والأجل ونفي الخلود».

الملاحظة الثانية:

لا جـدل في أنّ (الأجـل) من المسـلّمات الإيمانيّة، إلّا أنّ الرؤيـة - المفهوميّة - لفكـرة الأجـل لا زالت في حاجـة إلى الكثير من الإيضـاح، وربّما يُقال بـأنّ (الأجل) خاضـعٌ لشروط موضوعيّة، وإلّا فكيف نفهم الأحاديث الصحيحة التي تؤكّد أنّ بعض الأعمال لها تأثيراتها في إطالة العمر ونقصانه.

ومن هذه الأعمال:

١- الصدقة وأعمال البر:

● قال النبيّ صلى الله عليه وآله:

«تَصَدَّقُوا وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بالصَّدَقَة، فَإنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفَعُ عَنِ الأعْرَاض وَالأمْرَاض وَهِيَ زِيَادَةٌ في أعْمَالِكُمْ وَحَسَنَاتِكُمْ»[1].

● وقال صلى الله عليه وآله:

«إنَّ اللّه لا إله إلّا هو لَيَدْفَعُ بالصَّدَقَةِ الدَّاءَ والدُّبَيْلَةَ[2] والحَرَقَ والغَرَقَ والهَدْمَ والجُنونَ، - وعدّ صلى الله عليه وآله - سبعين بابًا من السّوء[3]»[4].

● قال الإمام الباقر عليه السلام:

«البِرُّ والصَّدَقَةُ يَنْفِيانِ الفَقْرَ، ويَزِيدانِ في العُمُرِ ويَدْفَعانِ عَنْ صاحِبِهِما سَبْعِينَ مِيتَةَ سُوءٍ»[5].

● وقال الإمام الصّادق عليه السلام:

«الصَّدَقَةُ بِاليَدِ تَقي مِيتَةَ السُّوءِ، وتَدْفَعُ سَبْعينَ نَوْعًا مِن أنواعِ البَلاءِ»[6].

٢- صلة الأرحام وقطيعة الأرحام:

● قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«صنيعُ المعروفِ يدفعُ ميتةَ السُّوءِ، والصَّدقةُ في السِّرِ تُطفئُ غضبَ الرَّبِ، وصلةُ الرَّحِمِ تزيدُ في العُمُرِ وتنفي الفقرَ، ولا حولَ ولا قوةَ إلّا باللّهِ كنزٌ من كنوزِ الجنَّةِ وهي شفاءٌ من تسعةٍ وتسعينَ داءً أدناها الهمُّ»[7].

---

(١) المتّقي الهندي: كنز العمّال ٦/ ٣٧١، كتاب الزكاة، ب٢ (في السخاء والصدقة) ح ١٦١١٢.

(٢) الدُّبَيْلة - كجهينة مصغّرة - : الطاعون والخُراج (بضم الخاء) ودُمّل يظهر في بطن صاحبه فيقتله، ومرض في الجوف لفساد يجتمع فيه، والدُّبيلة والدُّبلة واحد. (هامش الكافي مصدر الرواية)

(٣) في الفقيه والبحار (من الشّر).

(٤) الكليني: الكافي ٤/ ٨، أبواب الصدقة، ب٢ (إنّ الصدقة تدفع البلاء)، ح٣. (دار الأضواء)

(٥) الصّدوق: الخصال، ص ٤٨، باب الاثنين، ح ٥٣. (منشورات جماعة المدرسين)

(٦) الكليني: الكافي ٤/ ٦، أبواب الصّدقة، ب٢ (فضل الصّدقة)، ح٢. (دار الأضواء)

(٧) الصّدوق: ثواب الأعمال وعقابها ٥٣٠/ ٩٨٨.

• وقال ﷺ:
«مَنْ سَرَّهُ النَّسَاءُ فِي الأَجَلِ، وَالزِّيَادَةُ فِي الرِّزْقِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[١].

• وقال ﷺ:
«إِنَّ القَومَ لَيَكونونَ فَجَرَةً ولا يَكونُونَ بَرَرَةً، فَيَصِلُونَ أَرْحامَهُم، فَتَنْمَى أَعْمالُهُم وَتَطُولُ أَعْمارُهُم، فَكَيفَ إِذا كانُوا أَبْرارًا بَرَرَةً»[٢].

• وقال ﷺ:
«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمُدَّ اللهُ فِي عُمُرِهِ، وأَنْ يَبْسُطَ فِي رِزْقِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ...»[٣].

• قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له:
«أَعُوذُ بِاللهِ مِن الذُّنوبِ التي تُعَجِّلُ الفَناءَ».
فقام إليه عبد الله بن الكوّاء اليَشْكُريّ فقال: يا أميرَ المؤمنينَ أوتكونُ ذُنوبٌ تُعَجِّلُ الفَناءَ؟
فقال [عليه السلام]: «نَعَم، وَيلَكَ! قَطيعَةُ الرَّحِم...»[٤].

• وقال رسول الله ﷺ:
«إِنَّ الرَّجلَ لَيَصِلُ رَحِمَهُ وقَدْ بَقِيَ مِنْ عُمُرِهِ ثلاثُ سنينَ، فَيُصَيِّرُها اللهُ عزَّ وجلَّ ثلاثينَ سَنَةً، ويَقْطَعُها وقَدْ بَقِيَ مِنْ عُمُرِهِ ثَلاثونَ سَنَة، فَيُصَيِّرُها اللهُ ثلاثَ سنين، ثُمَّ قال ﷺ: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٥]»[٦].

---

(١) الكليني: الكافي ٢/ ١٦٠. كتاب الإيمان والكفر، ب٦٨ (صلة الرحم)، ح١٦. (دار الأضواء)
(٢) المصدر نفسه: ص ١٦٢، ح٢١. (دار الأضواء)
(٣) المصدر نفسه: ص ١٦٤، ح٢٩. (دار الأضواء)
(٤) الكليني: الكافي ٢/ ٣٤٨. كتاب الإيمان والكفر، ب١٤٢ (قطيعة الرّحم)، ح١٦. (دار الأضواء)
(٥) الرعد: آية ٣٩.
(٦) الطوسي: الأمالي، ص ٤٨٠، مجلس ١٧، ح١٨.

- وقال صلى الله عليه وآله:

«صِلةُ الرَّحِمِ تُعمِّرُ الدِّيارَ، وتَزيدُ في الأعمارِ، وإنْ كانَ أهلُها غيرَ أخيارٍ»[1].

- وقال الإمام الصّادق عليه السلام لميسر:

«قَدْ حَضَرَ أجَلُكَ غَيرَ مَرَّةٍ وكُلَّ ذَلِكَ يُؤَخِّرُهُ اللهُ بِصِلَتِكَ لِرَحِمِكَ وَبِرِّكَ قَرَابَتَكَ»[2].

كما أكّدت الكثير من الدراسات وجود عدّة مؤثّرات تُساهم في إطالة عمر الإنسان منها:

١- الاطمئنان الرّوحي.

٢- عامل الوراثة.

٣- عامل التغذية.

٤- الاعتدال في تناول الطعام.

٥- عامل المحيط.

٦- نوع العمل.

٧- كثرة الحركة والمشي (الحيويّة والنشاط).

٨- وعوامل أخرى كثيرة[3].

الملاحظة الثالثة:

لنفترض أنّ قانون (الشيخوخة والأجل) قانونٌ صارمٌ لا يمكن تجاوزه بحالٍ من الأحوال، ولا يمكن الانفلات منه بأيّ صورةٍ من الصّور، وأنّ العلم - في حاضره ومستقبله - عاجزٌ تمامًا عن تغيير ظروف هذا القانون وشروطه.

ولكن أليس الله تعالى بقادرٍ على أن يُعطّل (القانون الطبيعي) وهو الخالق

(١) المصدر نفسه: ح١٨.

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٩/ ٢٨٩، كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، ب٩، ح٩.

(٣) كتاب (أولين دانشكاد) الفارسي ٢: ٢١٣، [على ما في كتاب (عمر المهديّ بين العلم والأديان) ص ٤٥ - ٥٥].

لهذا القانون، إذا اقتضت المصلحة الإلهيّة ذلك؟

فالله سبحانه وتعالى قد عطّل الكثير من (القوانين الطبيعيّة) بالنسبة لبعض الأنبياء عليهم السلام لمصالح اقتضتها حكمته تعالى.

واليكم بعض الأمثلة:

المثال الأول: نبيّ الله إبراهيم الخليل عليه السلام:

اتخذ نبيّ الله إبراهيم الخليل عليه السلام قراره الحاسم في تحطيم الأصنام ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾[1]، وبدأ في تنفيذ القرار ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾[2].

فلمّا جاءوا إلى المعبد ليُمارسوا طقوسهم العباديّة وجدوا ما حدث بآلهتهم ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[3].

وعندما اكتشفوا أنّ (إبراهيم) هو الذي حطّم آلهتهم، أصدروا حكمهم في حقّه ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[4].

وهنا تدخّلت الرعاية الإلهيّة لإبراهيم عليه السلام، فعطّلت (قانون الإحراق) ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[5].

فالإرادة الإلهيّة التي أوجدت هذا القانون هي التي عطّلته وجمّدته وأوقفته حينما اقتضت الحكمة والمصلحة الإلهيّة ذلك في حماية نبيٍّ من أنبياء الله تعالى.

اقرأ القصّة في سورة الأنبياء: الآيات ٥١ حتى ٧٠.

---

(١) الأنبياء: آية ٥٧.
(٢) الأنبياء: آية ٥٨.
(٣) الأنبياء: آية ٥٩.
(٤) الأنبياء: آية ٦٨.
(٥) الأنبياء: آية ٦٩.

المثال الثاني: نبيّ الله موسى الكليم عليه السلام:

قرّر فرعون أن يعتمد القوّة في مواجهة موسى وأتباعه، فأمر الله سبحانه نبيّه أن يخرج من أرض مصـر هو والجماعة التي آمنت به ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾(١).

وصمّم فرعون على ملاحقتهم ومطاردتهم، وأوشك على الوصول إليهم ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾(٢).

هنا دخل الرّعب في قلوب أصـحاب موسى ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ ففرعون خلفهم والبحر أمامهم.

إلّا أنّ نبيّ الله موسى وهو الواثق كلّ الوثوق برعاية الله وحمايته طمأنهم ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾(٣).

وتدخّلت العناية الإلهيّة ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾(٤).

هكذا عطّل الله سبحانه (قانون السيولة في الماء) لتنفتح أمام موسى وأصحابه طُرق العبور.

واستمرّ فرعـون وجنوده في ملاحقتهم فاقتحموا الطرق اليابسـة المفتوحة في وسط الماء ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾(٥).

ولما خرج موسى وأصحابه، وتوسط فرعون وجنوده، أعادت القـدرة الإلهية

(١) الشعراء: آية ٥٢.
(٢) الشعراء: آية ٦١.
(٣) الشعراء: آية ٦٢.
(٤) الشعراء: آية ٦٣.
(٥) الشعراء: آية ٦٤.

إلى الماء سيولته فانطبق البحر عليهم ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾(١).

فالإرادة الإلهية التي أوجدت هذا القانون هي التي عطّلته وجمّدته وأوقفته حينما اقتضت الحكمة والمصلحة الإلهية ذلك في حماية نبيّ من أنبياء الله تعالى، ثمّ أعادته مرة أخرى لإهلاك الظالمين المستكبرين في الأرض..

اقرأ:

- سورة الشعراء: الآيات ٥٢ - ٦٨.

المثال الثالث: قصّة أصحاب الكهف:

إنّهم الفتية الذين آمنوا بربّهم، وفرّوا بأنفسهم من اضطهاد الظلمة، فقد جاءت الروايات أنّ هؤلاء الفتية كانوا في زمن ملكٍ جبّار عاتٍ، وكان يدعو أهل مملكته إلى عبادة الأصنام، فمن لم يجبه قتله، وكان هؤلاء الفتية قومًا مؤمنين يعبدون الله عزّ وجلّ، ووكّل الملك بباب المدينة، ولم يدع أحدًا يخرج حتى يسجد للأصنام، فخرج هؤلاء بعلّة الصيد، وذلك أنّهم مرّوا براعٍ في طريقهم، فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم وكان مع الراعي كلبٌ فأجابهم الكلب وخرج معهم.

فلمّا أمسوا دخلوا إلى ذلك الكهف والكلب معهم فألقى الله عليهم النّعاس(٢).

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾(٣) للتخلّص من ظلم ذلك الحاكم الكافر الذي يفرض على الناس عبادة الأصنام بالقهر والتعسّف، ولم يكن لهؤلاء الفتية المؤمنين قدرة على المواجهة أو العيش في ظلّ هذا الجو الضاغط [من وحي القرآن ١٤: ٢٨٠].

وحينما لجأوا إلى الكهف سألوا الله سبحانه أن يفتح لهم أبواب الفرج والرشاد

---

(١) الشعراء: آية ٦٥ - ٦٦.

(٢) الطباطبائي: الميزان في تفسير الميزان ١٣: ٢٧٩. في تفسير الآيات (٩ - ٢٦) من سورة الكهف.

(٣) الكهف: آية ١٠.

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[١].

وهنا تدخّلت العناية الإلهيّة فألقت عليهم النّعاس، وعطّلت لديهم «حاسة السّمع» ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[٢] وكما قال صاحب الكشّاف: أي ضربنا عليها حجابًا من أن تسمع، يعني أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبّههم بها الأصوات [تفسير الكشّاف ٢: ٤٧٣].

ويستمر القرآن في سرد قصّتهم إلى أن يقول:

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾[٣] قيل: إنّهم كانوا مفتوحي الأعين حال نومهم كالأيقاظ.

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾[٤] لئلّا تأكلهم الأرض، ولا تبلى ثيابهم ولا تبطل قواهم البدنيّة بالركود والخمول طول المكث (من وحي القرآن ١٤: ٢٩٢).

﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[٥] أي بفناء الكهف، وكأنّه في حال الاستيقاظ والحراسة.

﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[٦].

واستمروا في رقدتهم أكثر من ثلاثة قرون ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾[٧].

وفي القصّة تفاصيل أخرى تجدونها في سورة الكهف (الآيات ٩ - ٢٦).

---

(١) الكهف: آية ١٠.
(٢) الكهف: آية ١١.
(٣) الكهف: آية ١٨.
(٤) الكهف: آية ١٨.
(٥) الكهف: آية ١٨.
(٦) الكهف: آية ١٨.
(٧) الكهف: آية ٢٥.

فالإرادة الإلهيّة تدخّلت هنا لتُعطّل قانونًا أوجدته وخلقته لمصلحةٍ اقتضتها في حماية جماعةٍ من عباد الله الصالحين.

المثال الرابع: قصّة خروج النبيّ الأكرم محمد ﷺ من داره ليلة الهجرة:

أجمعت قريش على قتل رسـول الله ﷺ وذلك بعد أن مات ناصـره أبو طالب، وأخذوا من كلّ قبيلةٍ بغلام نهد، وصمّموا أن يجتمعوا عليه فيضربوه بأسيافهم ضربة رجلٍ واحد، فلا يكون لبنيّ هاشم قوة بمعاداة جميع قريش.

فلمّا بلغ رسـول الله ﷺ أنّهم أجمعوا علـى أن يأتوه في الليلة التي اتعدّوا فيها أقام عليًّا عليه السلام مقامه على الفراش وخرج ﷺ من داره، والمشـركون يطوّقون الدار، ويترصّدون بكلّ يقظةٍ وانتباهٍ كلّ حركة، فضرب الله على أبصارهم وحمى رسوله من كيدهم وشرّهم.

وصـار ﷺ إلى الغار فكمن فيه، وأتت قريش فراشه فوجدوا عليًّا فقالوا: أين ابن عمك؟

قال: قلتم له أخرج عنّا فخرج عنكم.

فطلبـوا الأثر فلم يقعـوا عليه، وأعمـى الله عليهم المواضـع، فوقفوا على باب الغار وقد عششت عليه حمامة، فقالوا: ما في هذا الغار أحدٌ وانصرفوا، وخرج رسول الله ﷺ متوجّهًا إلى المدينة...

تُقـرأ تفاصـيل ذلك في كتب التاريخ والسـيرة من أمثال تاريـخ العقوبي (ج٢: ٣٧ – ٤٠).

وهكـذا تدخّلت الرعاية الإلهيّـة، فعطّلت وجمّدت وأوقفت (قانون الإبصـار) عند هؤلاء المشـركين المترصّدين، حينما اقتضـت الحكمة ذلك حمايةً لسيّد الأنبياء والمرسلين محمدٍ ﷺ.

هـذه أمثلة تؤكّد تدخّـل (الإرادة الإلهيّة) في تعطيل بعض القوانين الصـارمة والتي هي من صنع الله تعالى، حينما تقتضي حكمته تعالى ذلك.

وهـذا اللـون مـن التعطيـل للقانـون الطبيعـي يُسـمّى في المصـطلح الدينـيّ «المعجزة».

إشكالٌ يواجه هذا التفسير للمعجزة:

وهنا يُثار إشكالٌ في مواجهة هذا التفسير للمعجزة، باعتبار أنّ تعطيل القانون الطبيعي يختزن في داخله تجميد العلاقة الضـروريّة القائمة بين الظواهر الطبيعيّة، والتـي تمّ تحديدها من خلال الأسـس التجريبيّة والاسـتقرائيّة وهكـذا ينتج لنا هذا التفسير تناقضًا علميًّا واضحًا.

ولكي نُعالج هذا الإشكال نُحاول أن نتناول التفسير العلميّ للعلاقة القائمة بين الظواهر الطبيعيّة، وقد برز تصوّران في ذلك يمثّلان وِجهتي نظرٍ مختلفتين:

١ - وجهة النظر [الكلاسيكيّة] القديمة:

وهـي وجهة نظرٍ «تفترضـ أنّ كلّ ظاهرتين اطّرد اقـتران إحداهما بالأخرى، فالعلاقة بينهما علاقة ضـروريّة، والضرورة تعني أنّ من المستحيل أن تنفصل إحدى الظاهرتين عن الأخرى»[١].

فمن الواضح أنّ العلم يكتشف (القانون الطبيعيّ) من خلال التجربة والملاحظة المنتظمة، فلو لاحظنا ظاهرتـين مثل (ظاهرة النّار) و(ظاهرة الإحراق) ووجدنا أنّ العلاقة بينهما ثابتة ومطّردة دائمًا فإنّنا نسـتطيع أن نستدلّ بهذا الاطّراد على وجود (قانـونٍ طبيعيّ) وهو (قانون الإحراق) بالنسـبة للنّار، أي أنّ النّار سـببٌ للإحراق، وهذه «السببيّة» ذاتيّة وضروريّة، ولا يمكن انفصامها وتجميدها.

---

(١) محمد باقر الصدر: بحث حول المهديّ ص ٧٩.

ووفق هذه النظرة [الكلاسيكيّة] القديمة ينطلق الإشكال الذي يُواجه التفسير المذكور للمعجزة، باعتبارها تعطيلٌ للقانون الطبيعيّ، بما يفرضه هذا التعطيل من تجميدٍ وفصم للعلاقة الضروريّة الذاتيّة بين الظواهر الطبيعيّة، وما يترتّب على ذلك من المناقضة للعلم.

٢- وجهة النظر العلميّة الحديثة:

وتُحاول أن تُفسِّر (القانون الطبيعيّ) لا على أساس (العلاقة الضروريّة الذاتيّة) بين الظواهر الطبيعيّة، وإنّما على أساس (الاقتران) أو (التتابع المطّرد) بين الظاهرتين، وهذا ما يؤكّده (المنهج الاستقرائيّ) فهو لا يُبرهن على (علاقة ضروريّة) بين الظواهر وإنّما على (اطّراد الاقتران)، وتفسير هذا الاطّراد في الاقتران «كما يمكن صياغته على أساس افتراض الضرورة الذاتيّة، كذلك يمكن صياغته على أساس افتراض حكمة دعت منظّم الكون إلى ربط ظواهر معيّنة بظواهر أخرى باستمرار، وهذه الحكمة نفسها تدعو أحيانًا إلى الاستثناء فتحدث المعجزة»[1].

وفي ضوء هذا التفسير أصبحت (المعجزة) بمفهومها الدينيّ أكثر وضوحًا، ممّا كانت عليه في ظلّ التفسير [الكلاسيكيّ] القديم.

وهكذا لمعالجة الإشكال المذكور يمكن التنازل عن فكرة الضرورة في القانون الطبيعيّ، واعتماد المنطق الآخر القائم على أساس (قانون الاقتران) أو (التتابع المطّرد) كما يذهب إلى ذلك أستاذنا الشهيد السيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه.

وهنا نعود لمسألة (العمر الطويل) في حياة (الإمام المهديّ) لنجد تفسيرها المقبول من خلال (الإعجاز الإلهيّ) إذا كانت التفسيرات الأخرى غير قادرة على مقاربة الذهنيّة الغيبيّة الإيمانيّة.

---

(١) محمد باقر الصدر: بحث حول المهديّ ص ٨٠.

فـإذا كانـت الإرادة الإلهيّة قـد عطّلت عددًا من القوانـين الطبيعيّة من خلال (الإعجاز) حفاظًا على حياة الأنبياء عليهم السلام ليُمارسـوا أدوارهم الرسـاليّة الكبيرة - كما هو صريح القرآن - فما المانع أن تتدخّل هذه الإرادة فتعطّل (قانون الشيخوخة) و(قانون الأجل) لتمنح (الإمام المهديّ) هذا العمر الطويل في سياق الإعداد الربانيّ ليوم الظهور.

ولا نعتقـد بوجود أيّ صـعوبة تواجـه (الذهنيّة الإيمانيّة) في قبول (التفسـير الإعجازيّ) لظاهرة (العمر الطويل) في حياة الإمام المهديّ عليه السلام.

فالتفسـير الإعجازي لكثير من الظواهر أمرٌ مألوفٌ في الوعي الدينيّ، ليس في الإسـلام فحسب، بل في كلّ الديانات التي تعتمد (الإيمان بالله) أساسًا في متبنيّاتها العقيديّة.

وإذا كانـت (الذهنيّة الماديّة) تجد صـعوبةً في قبول هذا التفسـير الإعجازيّ، فلنا في التفسيرات العلميّة السابقة ما يُرضي قناعاتها.

وبهـذا تلتئم القناعـات الدينيّة والماديّة في قبول هـذه الظاهرة - ظاهرة بقاء الإنسـان آلاف السـنين - والتي تجسّدت بشكلٍ واضـحٍ في حياة (الإمام المهديّ) كما أكّدت ذلك النصوص الدينيّة في كتب المسلمين.

الإشكاليّة الثالثة - الإشكال الخامس:

الإشكال التاريخيّ

«لم يُحدِّث التاريخ عن بقاء إنسانٍ هذا العمر الطويل»

الإشكالية الثالثة - الإشكال الخامس:

نقد الإشكال التاريخيّ
«من خلال مجموعة ملاحظات»

الملاحظة الأولى:

إنّ الكثير من المصنّفات والمؤلّفات دوّنت أسماء أعدادٍ كبيرةٍ من المعمّرين.

من هذه المصنّفات والمؤلّفات[1]:

١- (المعمّرون) لهشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت/ ٢٠٤ هـ).

٢- (المعمّرون والوصايا) لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت/ ٢٥٠ هـ).

٣- (المعارف) لابن قتيبة الدينوري (ت/ ٢٦٧ هـ).

٤- (مروج الذهب) لعليّ بن الحسين المسعودي (٣٣٣).

٥- (كمال الدين) للشيخ الصّدوق (ت/ ٣٨١ هـ).

٦- (الفصول الأربعة) للشيخ المفيد (ت/ ٤١٣ هـ).

٧- (كنز الفوائد) لمحمد بن عليّ الكراجكي (ت/ ٤٤٩ هـ).

٨- (الغَيْبة) للشيخ الطوسي (ت/ ٤٦٠ هـ).

٩- (البحار) للمجلسي (ت/ ١١١٠هـ).

١٠- (تفسير الجواهر ٣٤/ ٨٦) للطنطاوي - أحد العلماء المعاصرين -.

١١- منتخب الأثر ٢: ٢٧٣.

١٢- الإمام المهديّ بين الإثبات وعاصفة الشّبهات.

١٣- الإمام المنتظر أمل المعصـومين الأطهار، وقد توفّر هذا الكتاب على ذكر (٢٢٤) من أسماء المعمّرين (ص ٥٦٧ - ٦٠٧).

(١) كما جاء في كتاب (عمر المهديّ بين العلم والأديان) ص ٢٣، ٢٤.

الملاحظة الثانية:

للبرهنة على مصداقيّة هذه الظاهرة التاريخيّة نطرح هذه الشواهد والأرقام:

١- آدم أبو البشر عليه السلام (عاش ٩٣٠ سنة).

انظر:

- كمال الدين ٢/ ٢٠٢ [كما عن الحكيمي في كتاب الإمام المنتظر ص ٥٦٧].
- كنز الفوائد ٢٤٥ [كما عن الحكيمي ٥٦٧].
- التوراة: سفر التكوين [كما عن مهدي بور في عمر المهديّ ٦٩].

٢- إدريس عليه السلام (عاش ٩٦٥ سنة).

انظر:

- كنز الفوائد ٢٤٥ [الحكيمي في الإمام المنتظر ٥٦٧].
- إلزام الناصب ١: ٢٨٨ [الحكيمي ٥٦٧].

وهناك رأيٌ آخر أنّ نبيّ الله إدريس عليه السلام قد رُفع إلى السّماء ولا زال حيًّا.

٣- نوح عليه السلام (عاش ٢٥٠٠ سنة).

انظر:

- كمال الدين ٢: ٢٠٢ [عن الحكيمي: المنتظر ٦٠٣].

٤- سام بن نوح (عاش ٦٠٠ سنة).

انظر:

- منتخب الأثر ص ٢٧٦.

٥- إبراهيم عليه السلام (عاش ١٧٥ سنة).

انظر:

- كمال الدين ٢: ٢٠٣ [الحكيمي: المنتظر ٥٦٧].
- كنز الفوائد ٢٤٥ [الحكيمي: المنتظر ٥٦٧].

٦- شيث بن آدم (عاش ٩١٢ سنة).

انظر:

- التوراة: سفر التكوين، الباب الخامس، الفقرة ٨، ١١ [مهدي بور: عمر المهديّ ص ٦٩، ٧٠].

٧- عيسى عليه السلام.

وقد رفع إلى السّماء بنصّ القرآن، وأكّدت الأحاديث الصحيحة المتواترة أنّه سوف ينزل في آخر الزّمان، ويُصلّي خلف الإمام المهديّ عليه السلام، ويقتل الدجّال، ويكسر الصليب كما تقدّم ذلك...

٨- أروى بن شلم (ملك ١٠٠٠ سنة).

انظر:

- كمال الدين ٢: ٢٤٠ [الحكيمي: المنتظر ٥٦٨].

٩- أكثم بن صيفي الأسدي (عاش ٣٣٠ سنة).

وكان ممّن أدرك النبيّ صلى الله عليه وآله وآمن به.

انظر:

- غَيْبة الطوسي [الحكيمي: المنتظر ٥٦٩].
- كتاب المعمّرين ١٠ [الحكيمي: المنتظر ٥٦٩].
- كنز الفوائد ٢٤٩ [الحكيمي: المنتظر ٥٦٩].

١٠- أصحاب الكهف.

وقد نصّ القرآن على بقائهم أحياء وهم نيام، وكلبهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد، فلبثوا في رقدتهم الأولى ﴿ ثَلَاثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ الكهف: الآية ٢٥.

١١- الخضر عليه السلام...

هناك جدلٌ بين المسلمين حول شخصيّة (الخضر) في اسمه ونسبه ونبوّته، وحياته إلى الآن(١).

وتتّفق الأقوال أنّه العبد الذي أشارت إليه الآية في سورة الكهف في قصّة موسى ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ الكهف: ٦٥.

وفي بقائه حيًا هناك اتجاهان:

الاتجاه الأول:

يرى أنّه قد مات، ولهم في ذلك أدلّة ذكرها ابن كثير في (قصص الأنبياء ص ٢٨١ – ٢٨٥).

الاتجاه الثاني:

ويرى أنّ الخضر لم يمت، ويعتمد أصحاب هذا الرأي على بعض الروايات.

قال النووي في (تهذيبه): «قال الأكثرون من العلماء هو - يعني الخضر - حيٌّ موجودٌ بين أظهرنا»(٢).

وقال أبو عمرو بن صلاح في (فتاويه): «هو حيٌّ عند جماهير العلماء والصالحين والعامّة منهم، وإنّما شذّ بإنكاره بعض المحدثين»(٣).

---

(١) ابن كثير: قصص الأنبياء، ٢٦٩.

(٢) الحكيمي: المنتظر، ٥٧٨.

(٣) الإصابة ١: ٤٣١ [الحكيمي: المنتظر ٥٧٨].

وقال ابن جرير الطبري: «الخضر والياس باقيان يسيران في الأرض»[١].

وقال أبو مخنف لوط بن يحيى في أول كتاب (المعمّرين) له: «أجمع أهل العلم بالأحاديث والجمع لها أنّ الخضر أطول آدميّ عمرًا»[٢].

ورُوي عن الحسن البصري أنّ إلياس والخضر باقيان إلى الصيحة الأولى وأنّهما يجتمعان في موسم كلّ عام[٣].

وقال الثعلبي: «يُقال: إنّ الخضر لا يموت إلّا في آخر الزّمان عند رفع القرآن»[٤].

ما يهمّنا هنا هو التأكيد على وجود عدد غير قليل من علماء المسلمين يعتقدون ببقاء (الخضر) وهم من غير الشيعة طبعًا، وهذا يُعبّر عن كون الفكرة - بقاء الإنسان عمرًا طويلًا - تُشكّل فرضيّةً مقبولةً في الذهنيّة الإسلاميّة، ولا يضرّ بذلك إنكار البعض الآخر، والمنكرون لا يعتمدون (الاستبعاد العقليّ) وإنّما ينطلقون من التشكيك في الروايات والأخبار الواردة.

وإذا صحّ أنّ فكرة بقاء الخضر مقبولةٌ - ولو عند بعض المسلمين - فلماذا لا تكون فكرة بقاء الإمام المهديّ مقبولة ولو عند هذا البعض.

١٢- تيم بن ثعلبة (عاش ٥٠٠ سنة).

انظر:

- تذكرة الخواص ٢٠٥ [الحكيمي: المنتظر ٥٧٣].
- كتاب المعمّرين ٣١ [الحكيمي: المنتظر ٥٧٣].

(١) المجلسي: البحار ١٣/ ٢٧ [الحكيمي: المنتظر ٥٧٨].

(٢) الحكيمي: المنتظر. ٥٧٨.

(٣) الإصابة ١: ٤٣١ [الحكيمي: المنتظر ٥٧٨].

(٤) الحكيمي: المنتظر. ٥٧٩.

١٣- جعفر بن قرط العامري (عاش ٣٠٠ سنة وأدرك الإسلام).

انظر:

- كتاب المعمّرين ٤٣ [الحكيمي: المنتظر ٥٧٤].

١٤- الحرث بن مضاض الجرهمي (عاش ٤٠٠ سنة).

انظر:

- الغَيْبة للطوسي ٨٨.
- كتاب المعمّرين ٤٢.
- تذكرة الخواص ٢٠٥.
- كنز الفوائد ٢٥١.
- [الحكيمي: الإمام المنتظر ٥٧٧].

١٥- ذو القرنين (وقد جاء في التوراة أنّه عاش ٣٠٠٠ سنة).

انظر:

- تذكرة الخواص ٢٠٤ (الحكيمي: المنتظر ٥٨٠).

١٦- سليمان بن داوود عليه السلام (عاش ٧١٢ سنة).

انظر:

- كمال الدّين ٢: ٢٠٣.

١٧- شدّاد بن عاد بن أرم - صاحب الجنّة (عاش ٩٠٠ سنة).

انظر:

- كمال الدين ٢: ٢٣٦.
- الشيعة والرّجعة ١: ٢٣٩ عن أخبار الدول.

[الحكيمي: المنتظر ٥٨٦].

١٨- عامر بن الضرب (عاش ٥٠٠ سنة).

انظر:

- تذكرة الخواص ٢٠٥ [الحكيمي: المنتظر ٥٨٩].

١٩- عبد المسيح بن عمرو بن قيس (عاش ٣٥٠ سنة وأدرك الإسلام ولم يُسلم).

انظر:

- كتاب المعمّرين ٣ [الحكيمي: المنتظر ص ٥٩١].

٢٠- عبيد بن شريد الجرهمي (عاش ٣٥٠ سنة وأدرك النبيّ ﷺ وحسُن إسلامه).

انظر:

- كمال الدين ٢: ٢٣٢ [الحكيمي: المنتظر ٥٩٢].

٢١- عدي بن وادع الأزدي (عاش ٣٠٠ سنة وأدرك الإسلام وأسلم وغزا).

انظر:

- كتاب المعمّرين ٣٨ [الحكيمي: المنتظر ٥٩٢].

٢٢- قس بن ساعدة (عاش ٦٠٠ سنة).

انظر:

- كنز الفوائد ٢٥٤ [الحكيمي: المنتظر ٥٩٧].

٢٣- كعب بن دادة النخعي (عاش ٣٠٠ سنة).

انظر:

- كتاب المعمّرين ٦٦ [الحكيمي: المنتظر ٥٩٨].

٢٤- نفيل بن عبد الله (عاش ٧٠٠ سنة).

انظر:

- تذكرة الخواص ٢٠٥ [الحكيمي: المنتظر ٦٠٣].

٢٥- حسب روايات صحيحة مدوّنة في مصادر الحديث المعتمدة أنّ الدجّال كان حيًّا في عصر النبيّ ﷺ، وأنّه يخرج في آخر الزّمان..

كما وردت روايات صحيحة ذُكر فيها (ابن صائد أو ابن صيّاد) واحتمال كونه الدجّال.

انظر:

- صحيح مسلم: باب خروج الدجّال، باب ذكر ابن صيّاد.
- سنن ابن ماجه: أبواب الفتن، باب فتنة الدجّال.
- سنن أبي داوود: كتاب الملاحم، باب خبر الجسّاسة.
- سنن الترمذي: كتاب الملاحم، خبر ابن صائد.

الملاحظة الثالثة:

ليس صحيحًا أن نرفض الفكرة - أيّ فكرة - لمجرّد كونها تصطدم مع مألوفاتنا الذهنيّة أو الاجتماعيّة أو التاريخيّة أو الطبيعيّة، إنّ مخالفة المألوف ليس مبرّرًا علميًّا للرفض.

إنّ مسألة (الإمام المهديّ) في كلّ خصوصيّاتها تأسّست من خلال (نصوص إسلاميّة) ثابتة، فالمنهج العلميّ في البحث يفرض أن تُناقش (أساسيّات) الفكرة

وبكلّ خصوصيّاتها، ومتى توفّر البحث على إثبات تلك الأساسيّات فلا مبرّر للرّفض اعتمادًا على مجرّد (استبعادات) وهميّة - كما هي مخالفة المألوف - وإذا لم يتوفّر البحث على إثبات تلك الأساسيّات فلا جدوى في إثارة هذا اللون من الإشكالات العقيمة، ولعلّ اللجوء إلى هذا النمط من التشكيكات ينطلق من شعورٍ بالعجز في محاسبة الأساسيّات والمرتكزات.

ونحن في مجاراتنا لهذه الإشكالات لا يعني التأكيد على (القيمة العلميّة) لها بقدر ما هو (المنهج) الذي يُحاول أن يُلاحق كلّ الإثارات - مهما كانت قيمتها العلميّة - لملأ كلّ الفراغات في مسار البحث.

إشكالٌ روائي:

لقد دوّنت مصادر الحديث عددًا من الروايات الصحيحة تؤكّد أنّ الذين وُلدوا في زمن الرسالة لا يمكن أن تتجاوز أعمارهم القرن [مائة سنة]، وإذا كانت الأعمار في ذلك العصر لا تتجاوز هذا الحدّ، فما بعده من الأعصار أولى بذلك[1].

وهناك طائفةٌ أخرى من الروايات تؤكّد أنّ أعمار هذه الأمّة ما بين الستّين إلى السبعين، وقليلٌ ممّن يجوز ذلك.

ومن هذه الروايات:

١ - عن عبد الله بن عمر: أنّ رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) صلّى ليلة العشاء ثمّ قال:

«أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هذِهِ، فَإِنَّه إلى مَائة سَنَةٍ لاَ يَبْقَى مِمَّن هوَ على وَجْهِ الأَرْضِ اليَوم أحدٌ»[2].

---

(١) القفاري: أصول مذهب الشيعة ٢: ٨٦٦.

(٢) ابن كثير: قصص الأنبياء ص ٢٨٤.

٢- وجاء في مسند أحمد بن حنبل عن عبد الله بن عمر - وساق الحديث نفسه -(١).

٣- وجاء في مسند أحمد بن حنبل - أيضًا - عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) قبل موته بقليل أو بشهر:

«ما مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ - أَوْ مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ الْيَوْمَ مَنْفُوسَةٍ - يَأْتِي عَلَيْهَا مَائَةُ سَنَةٍ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ حَيَّةٌ»(٢).

٤- وجاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله عن النبيّ (صلى الله عليه [وآله] وسلم) أنه قال قبل أن يموت بشهر:

«تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ؟ وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَأُقْسِمُ بِاللهِ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ»(٣).

٥- وجاء في جامع الترمذي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم):

«ما عَلى الأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ يَأْتِي عَلَيْها مِائَةُ سَنَةٍ»(٤).

٦- جاء في جامع الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم):

«عُمْرُ أُمَّتِي مِنْ سِتِّينَ سَنَةً إِلَى سَبْعِينَ».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة، وقد رُوي من غير وجه عن أبي هريرة(٥).

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٨٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣١٤.

(٣) صحيح مسلم، فضائل الصحابة ٢١٨.

(٤) جامع الترمذي، حديث ٢٢٥٠.

(٥) جامع الترمذي، كتاب الزهد/ حديث ٢٢٣١.

٧- وجاء في جامع الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم):

«أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إلى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ»[١].

٨- جاء في سنن ابن ماجه عن أبي هريرة أنّ رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) قال:

«أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إلى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ»[٢].

٩ - المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري.

انظر:

الجزء الثاني: كتاب التفسير، الأحاديث ٢٥٩٧ - ٣٦٠١.

نقد الإشكال الروائي:

نُلاحظ على هذا الإشكال:

أولاً:

لا يُستفاد من الأحاديث الخمسة الأولى أنّ أعمار هذه الأمّة لا تتجاوز القرن، وغاية ما تدلّ عليه هذه الأحاديث أنّ الجيل الذي عاصر النبوّة لا يبقى منه أحدٌ بعد مائة سنة، ولا أولوية في المقام كما يدّعي صاحب (أصول عقيدة الشيعة) لأنّ الأمور الواقعيّة التكوينيّة لا تخضع لأقيسة الأولويّات.

ثانيًا:

لا ندري فيما إذا كانت هناك دراسةٌ تاريخيّةٌ دقيقةٌ تُثبت صدقيّة هذه الأحاديث بالنسبة لجيل الصحابة وهل بالفعل لم تمتد بهم الأعمار إلى الحدّ المذكور؟

(١) المصدر نفسه، كتاب الدعوات/ حديث ٣٢٥٠.

(٢) سنن ابن ماجه: كتاب الزّهد، باب الأمل والأجل.

ثالثًا:

أمّا بقيّة الأحاديث التي تؤكّد أنّ أعمار هذه الأمّة ما بين السّتين إلى السبعين، فلو سلّمنا بها فهي تتحدّث عن المعدّل العام للأعمار، ولا تنفي وجود حالاتٍ استثنائيّة تتجاوز هذا الحد.

إنّ الواقع التاريخيّ يُبرهن على وجود الكثير من تلك الحالات الاستثنائيّة، وكذلك الواقع المعاصر يشهد على ذلك.

رابعًا:

ثمّ إنّ بقاء الإمام المهديّ عليه السلام، كما أسلفنا محكومٌ لإرادةٍ إلهيّةٍ لا يعجزها شيئ، فلا معنى لهذه الإشكالات والإثارات والاستبعادات.

مصادفةٌ غريبة:

في جلسات الكتابة وأنا أحمل القلم بيدي أُدوّن أسماء المعمّرين، وإذا بالهاتف يرنّ، رفعت السّماعة فكان المتحدّث الأخ المهذّب والصديق الوفي الأستاذ موسى جعفر السّوري، - وكنت يومئذٍ في سوريا - وبعد تبادل كلمات الترحيب والمحبّة فاجأني بقوله - وما كان يعلم طبعًا بمشروعي الكتابي - قائلًا: عند خالي أحد المعمّرين وله من العمر (١٣٠ سنة) ويرغب في السّلام عليكم، فتحدّثت معه عبر الهاتف، واتفقنا على اللقاء، وتمّ اللقاء في منزل الأستاذ موسى جعفر فوجدته شيخًا كبيرًا طاعنًا في السّن، إلّا أنّه يملك كلّ قواه العقليّة والبدنيّة، يتحدّث وفي حديثه قوّة وجرأة وصفاء، ذاكرته جيّدة، سمعه لا يُتعب المتكلّم، بصره حادّ ويقرأ من دون الحاجة إلى النظارة، وكان ممّن انخرط في الجيش العثماني.

وسهرنا ليلةً ممتعة جدًا مع ذكريات تاريخيّة كانت لا زالت حاضرةً في ذاكرته، فأضافت هذه التجربة رقمًا عمليًا حيًّا لأرقامي التي اعتمدت فيها على ما دوّنه الآخرون.

[١٨٩]

الإشكاليّة الثالثة - الإشكال السّادس:

الإشكال العمليّ

«ما هي الحكمة في غَيْبة الإمام المهديّ وطول عمره؟»

١٩١

الإشكاليّة الثالثة - الإشكال السّادس:

نقد الإشكال العمليّ
«من خلال مجموعة نقاط»

النقطة الأولى:

نتساءل نقضًا؟

- ما الحكمة في بقاء نبيّ الله المسيح عيسى بن مريم حيًّا إلى آخر الزّمان؟
- ما الحكمة في بقاء الخضر - بناء على القول ببقائه -؟
- ما الحكمة في بقاء الدجّال، وفي الروايات كما يؤكّد وجوده منذ عصر النبيّ ﷺ؟
- ما الحكمة في غيبات عدد من الأنبياء عليهم السلام ما أكّدت ذلك روايات كثيرة؟

١-عن زيد الشحّام عن أبي عبد الله [الصّادق] عليه السلام قال:

«إِنَّ صَالِحًا عليه السلام غَابَ عَنْ قَوْمِهِ زَمَانًا...» كمال الدين ١: ١٣٦ ب٢/ ٦.

رجال الإسناد كلّهم ثقات:

- **أبو جعفر الصّدوق:**
- «شيخ المحدّثين المعروف - تقدّم».
- **محمد بن الحسن بن الوليد:**
- «من الفقهاء الأعاظم الأجلّاء الثّقات - تقدّم في أسانيد كثيرة».
- **محمد بن الحسن الصفّار:**
- «فقيه ثقة جليل القدر - تقدّم في أسانيد كثيرة».
- **سعد بن عبد الله الأشعري:**
- «من فقهاء الطائفة الأجلّاء الثّقات - تقدّم في أسانيد كثيرة».

○ **عبد الله بن جعفر الحِميري:**

- «من أجلّاء الفقهاء الثّقات - تقدّم في أسانيد كثيرة».

قالوا (جميعًا) حدّثنا:

○ **محمد بن الحسين بن أبي الخطّاب:**

- «ثقة، عين، جليل القدر - تقدّم في أسانيد كثيرة».

○ **عليّ بن أسباط الكوفي:**

- «فقيه، محدّث، ثقة، أخذ الفقه والحديث عن الإمامين الرّضا والجواد عليهما السلام، وروى عنهما».

- موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ١٠١٧.

○ **سيف بن عميرة النخعي:**

- «محدّث، فقيه، ثقة كثير الرواية، أخذ العلم عن الإمام أبي عبد الله الصّادق عليه السلام، و روى عنه، وعن الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام».

- منتهى المقال ٣/ ١٤١٢.

- موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٤٥٩.

○ **زيد الشحّام:**

- «أحد الفقهاء الأعلام المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفُتيا والأحكام، ثقة عين» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٤٣٢.

٢- عن أبي بصير عن أبي عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام:

- وذكر حديثًا طويلًا تكلّم فيه عن غَيْبة نبيّ الله إبراهيم عليه السلام. كمال الدين ١: ١٢٧ ب ٤/ حديث ٧.

رجال الإسناد كلهم ثقات:

- **أبو جعفر الصّدوق:**
- شيخ المحدّثين المعروف.

- **(١) عليّ بن الحسين بن بابويه والد الصّدوق:**
- «أحد أعاظم الطائفة الإماميّة - تقدّم في أسانيد كثيرة».

- **(٢) محمد بن الحسن بن الوليد:**
- «من الفقهاء الأعاظم الأجلّاء الثّقات - تقدّم».

قالا: حدّثنا:

- **سعد بن عبد الله الأشعري:**
- «من فقهاء الطائفة الأجلّاء الثّقات - تقدّم».

- **يعقوب بن يزيد بن حمّاد:**
- «ثقة صدوق» رجال النجاشي ج٢: ٤٢٦/ ١٢١٦.

- **محمد بن أبي عمير:**
- «من أوثق النّاس وأورعهم، وأعبدهم، وأنسكهم - تقدّم في أسانيد كثيرة».

- **هشام بن سالم:**
- «أحد شيوخ الشيعة في الفقه والكلام، أخذ العلم عن الإمامين أبي عبد الله الصّادق عليه السلام وأبي الحسن الكاظم عليه السلام، وعُدّ من الفقهاء الأعلام المأخوذ منهم الحلال والحرام والفُتيا والأحكام» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٧٠٢.

- **أبو أيوب الخزّاز:**
- «فقيه، محدّث، ثقة، كبير المنزلة، وهو أحد الأعلام الفقهاء الذين يأخذ عنهم الشيعة مسائل الحلال والحرام والفُتيا والأحكام» موسوعة طبقات

الفقهاء ٢/ ٢٨٩.

◉ **أبو بصير:**

- [مــردّد بين ليث البختري وهو من أجلّ الرّواة فقهًا وعلمًا ومن ثقات الشـيعة وأعلامهم، ويحيى بن القاسم الأسدي وهو من كبار الفقهاء، ثقة، وجه، أحد السـتة الذين أجمعت الشيعة على تصـديقهم والإقرار لهم بالفقه] موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٦١٥، ٧٢٣.

٣ - عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر [الإمام الباقر] عليه السلام يقول:

«في صـاحبِ هذا الأمرِ أربعُ سُـنَنٍ من أربعةِ أنبياءَ، سُنّةٌ من موسى، وسُنّةٌ من عيسـى، وسُـنّةٌ من يوسـف، وسُـنّةٌ من محمَّد صـلوات الله عليهم أجمعين، فأمّا مِنْ موسـى فخائفٌ يترقَّبُ، وأمّا مِنْ يوسـفَ فالسِّجنُ، وأمّا مِنْ عيسى فيُقالُ له: إنَّه ماتَ ولمْ يَمُتْ، وأمّا مِنْ محمَّدٍ ﷺ فالسَّيفُ» كمال الدين ١: ١٥٢ ب٦/ حديث ١٦.

رجال الإسناد كلّهم ثقات:

◉ **أبو جعفر الصّدوق:**

- شيخ المحدّثين المعروف.

● **عليّ بن الحسين بن بابويه والد الصّدوق:**

- «أحد أعاظم الطائفة الإماميّة - تقدّم».

● **ومحمد بن الحسن بن الوليد:**

- «من أجلّاء الفقهاء الثّقات - تقدّم».

قالا: حدّثنا:

- **عبد الله بن جعفر الحِميري:**

- «من أجلّاء الفقهاء الثّقات».

- **محمد بن عيسى [مردد بين شخصيتين]:**

- **أ- محمد بن عيسى بن عبيد:**

«محدّث جليل، وفقيه كبير، كثير الرواية، حسن التصانيف، من أعيان الإماميّة، ذا منزلةٍ عظيمةٍ عند أصحاب الأئمّة عليهم السلام» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ١١٥٦.

- ب- **محمد بن عيسى بن سعد:**

«شيخ القمّيين ووجه الأشاعرة، ثقة» منتهى المقال ٦/ ٢٨١٢.

- **سليمان بن داوود المنقري:**

- «وثّقه النجاشي، وضعّفه ابن الغضائري وتبعه العلّامة والمجلسي، ولكن في المعجم قال: لا عبرة بتضعيفهم مع توثيق النجاشي» الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ١/ ٢٦١٢.

- **أبو بصير:**

- «من الأجلّاء الثّقات - تقدّم».

٤- عن سعيد بن جبير قال: سمعت سيّد العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام يقول:

«في القائم منّا سُنَنٌ من سبعة أنبياءَ، سُنّةٌ من أبينا آدمَ عليه السلام، وسُنّةٌ من نوح، وسُنّةٌ من إبراهيمَ، وسُنّةٌ من موسى، وسُنّةٌ من عيسى، وسُنّةٌ من أيوبَ، وسُنّةٌ مِن محمّدٍ صلواتُ الله عليهم، فأمّا مِن آدمَ ونوحٍ فطولُ العُمُر، وأمّا مِن

إبراهيمَ فخفاءُ الولادةِ واعتزالُ النَّاسِ، وأمّا مِنْ موسى فالخوفُ والغَيْبَةُ، وأمَّا مِنْ عيسى فاختلافُ النَّاسِ فيه، وأمَّا مِنْ أيوبَ فالفرجُ بعدَ البَلوى، وأمَّا مِنْ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله فالخروجُ بالسَّيفِ» كمال الدين ٢: ٣٢١ ب ٢١/ حديث ٢.

٥-عن أبي بصير قال، قال أبو عبد الله [الإمام الصَّادق] عليه السلام:

«إنّ في صاحب هذا الأمر [سُننًا] من الأنبياء عليهم السلام، سُنَّة مِنْ موسى بن عمرانَ، وسُنَّة مِنْ عيسى، وسُنَّة مِنْ يوسفَ، وسُنَّة مِنْ محمَّدٍ صلوات الله عليهم...

فأمَّا سُنَّةٌ مِنْ موسى بن عمرانَ، فخائفٌ يَترقَّبُ، وأمّا سُنَّةٌ مِنْ عيسى فيُقالُ فيه ما قيل في عيسى عليه السلام، وأمَّا سُنَّةٌ مِنْ يوسفَ فالسّترُ يجعلُ اللهُ بينَه وبينَ الخلقِ حجابًا يرونَه ولا يَعرفونَه، وأمَّا سُنَّةٌ مِنْ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله فيَهتدي بِهُداهُ ويَسيرُ بِسيرَتِه»

كمال الدين ٢: ٣٥٠ ب ٣٣/ حديث ٤٦.

٦ -عن سدير الصيرفي قال:

دخلت أنا والمفضّل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام فرأيناه جالسًا على التراب، عليه مسحٌ خيبريٌّ، مطوّقٌ بلا جيب، مقصّر الكمّين، وهو يبكي بكاء الواله الثكلى، ذات الكبد الحرَّى، قد نال الحزن من وجنتيه، وشاع التغيير في عارضيه، وأبلى الدموع محجريه...

فقلنا: لا أبكى الله يا ابن خير الورى عينيك، من أيّة حادثة تستنزف دمعتك، وتستمطر عبرتك؟

قال: فزفر الصّادق عليه السلام زفرة انتفخ منها جوفه واشتدّ عنها خوفه...

- وتكلّم كلامًا عن الإمام القائم - وغَيْبته وإبطائه وطول عمره، وبلوى المؤمنين في ذلك الزّمان، وتولّد الشّكوك في قلوبهم من طول غَيْبته، وارتداد أكثرهم عن دينهم، وخلعهم ربقة الإسلام عن أعناقهم...

فقلنا: يا ابن رسول الله كرّمنا وفضّلنا [وشرّفنا] بإشراكك إيّانا في بعض ما أنت تعلمه من علم ذلك.

قال عليه السلام: «إنَّ اللهَ تبارك وتعالى أدارَ للقائم منّا ثلاثةً، أدارها في ثلاثة من الرّسل عليهم السلام، قدَّرَ مولِدَهُ تقديرَ مولِدِ موسى عليه السلام، وقدَّرَ غَيْبَتَهُ تقديرَ غَيْبَةِ عيسى عليه السلام، وقدَّر إبطاءَه تقدير إبطاءِ نوحٍ عليه السلام، وجعلَ له مِنْ بعدِ ذلكَ عُمْرَ العبدِ الصالحِ - أعني الخضر عليه السلام - دليلاً على عُمرِهِ... إلى آخر الحديث».

كمال الدين ٢: ٣٥٢ ب ٣٣/ حديث ٥٠.

النقطة الثانية:

إنّ خفاء الحكمة لا يُشكّل مبرّرًا علميًّا للشك والرّفض، وإلّا فسوف تهتزّ الكثير من «المسلّمات الدينيّة» في الذهنيّة الإسلاميّة حيث الغموض في معرفة «الحكم والمصالح»، رغم القناعة الإيمانيّة بتوفّر الحكمة في جميع ما صدر عن الله سبحانه...

المطلوب هو توفّر «القناعة» بصحة الأدلّة المعتمدة لإثبات المتبنّيات العقيديّة والتشريعيّة، وعندها يجب التسليم، وإن اختفت تمامًا وجوه الحكمة والمصلحة.

لا يعني هذا أن يُفرض على العقل «حجرٌ كامل» لكي لا ينطلق في آفاق الاكتشاف والبحث، متى توفّرت إمكانات وأدوات هذا الانطلاق، إلّا أنّ العقل قد يصطدم بمناطق تمثّل «الغيب المطلق» فتسقط كلّ قدرات العقل وأدواته في اكتشاف الأسباب والعلل، وفي إدراك المصالح والحكم، وهنا يُشكّل «الإيمان بالغيب» أحد مكوّنات «الانتماء الإيمانيّ» قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: ٣).

وقد أبقى الله - جلّت حكمته - مساحات في العقيدة والتشريع تتحدّى قدرات العقل البشريّ وهو سبحانه مكوّن العقل وصانعه ومبدعه.

نخلُص إلى القول بأنّ العجز العقليّ عن إدراك الحكم والمصالح والأسرار لا يبرّر التشكيك فيما أثبتته الأحاديث والروايات من عقائد وأفكار وأحكام وإخبارات، نستثني حالات التنافي مع «بديهيّات العقل» فهنا يجب التوقّف، لأنّ الله سبحانه هو الخالق المكوّن لهذا العقل بما يختزنه من «بديهيّات» وهو تعالى وحده الذي يحدّد «التكاليف والأحكام والأوامر والنواهي».

قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. (الأعراف: ٥٤)

وإذا صحّ أن نفهم هذا النصّ القرآنيّ بكون «الخلق» تعبيرًا عن «المساحات التكوينيّة»، وكون «الأمر» تعبيرًا عن «المساحات التشريعيّة».

فلا يُمكن أن يتشكّل تنافٍ بين هاتين المساحتين المحكومتين له سبحانه.

بعد هذا نتساءل:

هل تُشكّل «عقيدة الإمام المهديّ» بكلّ مكوّناتها أيّ تنافٍ مع «ثوابت الدين» و«بديهيّات العقل»؟ من الواضح جدًا أنّها لا تُشكّل ذلك، أمّا كونها تُخالف المألوف فلا يبرّر هذا التشكيك والرفض، وأمّا كونها خفيّة الحكمة والمصالح، فهذا أيضًا لا يُبرّر التشكيك والرفض.

النقطة الثالثة:

بالإمكان - من خلال معالجة علميّة جادّة - أن نُعطي تفسيرًا مقبولًا لظاهرة «العمر الطويل» في حياة «الإمام المهديّ» انطلاقًا من فهم المهمّة الكُبرى الذي تنتظر هذا الإمام.

في البدء نؤكّد أنّ هذا النمط من المعالجات يُخاطب أولئك الذين لا تتسع قناعاتهم لاعتماد «الرؤية الغَيْبيّة» والتي توفّر لمن يُؤمن بها الكثير من الإجابات في مواجهة أعقد الإشكالات والتساؤلات.

وهنا نعرض لمجموعة تفسيراتٍ تتناول ظاهرة «الغَيْبة وطول العمر»:

التفسير الأول: التفسير الاجتماعي..

يتعرّض لهذا التفسير الشهيد السيد محمد باقر الصدر في (بحثه حول المهديّ) حيث عالج هذه المسألة معالجةً اجتماعيّة، واعتبر «امتداد العمر» عاملًا من عوامل نجاح العملية التغييرية المرتقبة في اليوم الموعود.

وذلك لعدّة أسباب[1]:

السبب الأول:

إنّ من شروط عمليّة التغيير الكبرى أن يتوفّر القائد الممارس لها على وضعٍ نفسيٍّ فريدٍ مشحونٍ بالشعور بالتفوق والإحساس بضآلة الكيانات الشامخة التي أُعدّ للقضاء عليها، ولتحويلها حضاريًّا إلى عالمٍ جديد، وبذلك يتمكّن من مواجهتها والانتصار عليها.

ولمّا كان حجم التغيير المُعدّ له هذا القائد كبيرًا جدًا، فالحجم المطلوب من الشعور النفسيّ يجب أن يتناسب مع ذلك.

وحتى يتكوّن هذا الشعور بالتفوّق يُفترض أن يكون هذا الشخص المُعدّ للتغيير ليس من مواليد تلك الحضارة التي يُراد تقويضها، واستبدالها بحضارة العدل والحقّ؛ لأنّ من ينشأ في ظلّ حضارةٍ مهيمنة ممتدّة راسخة يعيش في نفسه الشعور بالهيبة تجاهها وبالضآلة أمامها.

وأمّا الشخص الذي توغّل في التاريخ، وشهد كلّ الحضارات الكبيرة التي سادت العالم ثمّ تداعت وانهارت، فإنّ هذا الشخص تكون له هيبة التاريخ وقوّة التاريخ، وقوّة

(١) محمد باقر الصدر: بحث حول المهديّ، ص ٨٤ – ٨٩.

الشعور بالتفوّق، وبضآلة هذا العملاق الحضاريّ الذي هو وليد يوم من أيام التاريخ، تهيّأت له أسباب فوجد، وستتهيّأ له الأسباب فيزول.

ولعلّ في قصّة أصحاب الكهف التي ذكرها القرآن مثالًا واضحًا لهذه الحقيقة، فالفتية الذين آمنوا بربّهم واجهوا كيانًا وثنيًّا حاكمًا مهيمنًا، فضاقت نفوسهم، ودبّ إليها اليأس، ولجأوا إلى الكهف، فأنامهم الله تعالى ثلاثمائة سنة وتسع سنين، ثمّ بعثهم بعد أن كان الكيان الذي بهرهم بقوّته وظلمه قد تداعى وسقط، وأصبح تاريخًا لا يُرعب، وهكذا رأوا مصرع ذلك الباطل وانتهاءه وتصاغر في أعينهم.

فإذا كانت هذه المدّة من الزّمن قد أعطت هؤلاء الفتية هذا الزخم النفسيّ الكبير، فإنّ الشيئ نفسه يتحقّق للقائد المنتظر من خلال عمره المديد الذي يتيح له أن يشهد العملاق وهو قزم، والشجرة الباسقة وهي بذرة، والإعصار وهو مجرّد نسمة.

السبب الثاني:

إنّ التجربة الطويلة التي يعيشها هذا القائد المرتقب؛ من خلال مواكبة تلك الحضارات المتعاقبة والمواجهة المباشرة لحركتها وتطوراتها، لها أثرٌ كبيرٌ في الإعداد الفكريّ وتعميق الخبرة القياديّة لليوم الموعود.

السبب الثالث:

إنّ عمليّة التغيير الكبرى سوف تعتمد الإسلام أساسًا ومنطلقًا، وهذا يفرض أن يكون القائد المعدّ لذلك قريبًا من مصادر الإسلام الأولى لتتكوّن شخصيّته بعيدًا عن كلّ المؤثّرات الحضاريّة التي يُقدّر لليوم الموعود أن يُحاربها.

وحينما يكون ذلك الشخص مولودًا في كنف تلك الحضارة فإنّه لا يتخلّص غالبًا من رواسبها ومرتكزاتها، وإن قاد حملة تغييريّة ضدّها، فلكي يضمن عدم تأثر القائد المدّخر بالحضارة التي أعدّ لاستبدالها لا بدّ أن تكون شخصيّته قد بُنيت بناءً

كاملًا في مرحلة حضاريّة سابقة هي أقرب ما تكون في الروح العامّة، ومن ناحية المبدأ إلى الحالة الحضاريّة التي يتّجه اليوم الموعود إلى تحقيقها بقيادته.

ملاحظة:

نؤكّد مرّة ثانية: أنّ هذا التفسير الذي قدّمه الشهيد السيد محمد باقر الصدر (رضي الله عنه) يُخاطب أولئك الذين لا يُريدون أن يسمعوا جوابًا (غَيْبيًّا)، ويُطالبون بتفسير اجتماعيّ للموقف على ضوء الحقائق المحسوسة لعمليّة التغيير الكبرى نفسها، والمتطلّبات المفهومة لليوم الموعود.

والّا فإنّ الشهيد الصدر يؤمن كلّ الإيمان بأنّ الأئمّة الاثني عشر (عليهم السلام) مجموعة فريدة متميّزة معصومة قد تمّ إعدادها ربانيًّا، ولا يمكن التعويض عن أيّ واحد من أفراد هذه المجموعة، وهذا ما أشار إليه الشهيد نفسه (بحث حول المهديّ ص ٤١).

التفسير الثاني: التفسير التاريخي السّياسي..

يحاول هذا التفسير أن يُعطي لظاهرة «الغَيْبة» مبرّراتها من خلال «الظروف التاريخيّة السّياسيّة» التي شكّلت «عوامل ضاغطة» فرضت أن تبدأ «مرحلة الغَيْبة».

هل يمكن أن نتوفّر على قراءة تاريخيّة سياسيّة قادرة على أن تُعطي لهذا التفسير مصداقيّته؟

تُحاول بعض الكتابات[1] الرافضة «لفكرة الغَيْبة» التشكيك في صحّة هذا التفسير؛ بدعوى أنّ كلّ «الأوضاع السّياسيّة» في تلك المرحلة التاريخيّة لا تُشكّل «مبرّرات غَيْبة أو اختفاء»، وخلاصة القراءة التاريخيّة السياسيّة التي يطرحها هؤلاء الكتّاب تتمثّل في المعطيات التالية:

---

(١) أحمد الكاتب: تطوّر الفكر السّياسي الشيعي ٢٤٣ - ٢٤٩.

١- ارتباك الواقع السّياسي في تلك المرحلة التاريخيّة، واهتزاز أنظمة الحكم، فكانت الهيمنة والسيطرة على شؤون الخلافة للموالي والأتراك، يُعيّنون من يشاءون ويعزلون.

٢- ونتيجة ضعف الخلافة بدأت تتشكّل دويلاتٍ مستقلّة، انفصلت عن عاصمة الخلافة العباسيّة، كما حدث في الأندلس وشمال أفريقيا وبلاد فارس وبعض مناطق العراق.

٣- وشهدت المرحلة سلسلةً من ثورات الشيعة والعلويّين.

٤- في الوقت ذاته برزت ظاهرة تعاطف بعض الخلفاء العباسيّين مع العلويّين.

في ضوء هذه المعطيات لا يوجد أيّ مبرّر للخوف والتقيّة بحيث يضطّر الإمام العسكريّ إلى إخفاء مولوده والتكتّم عليه، ولم يكن من العسير على (محمد بن الحسن العسكريّ) لو كان موجودًا فعلًا أن يظهر هنا أو هناك، وأن يتحدّى السلطات العباسيّة الضعيفة جدًا، ويُقيم دولته المعهودة، ويؤدّي مسؤوليّاته في إمامة الشيعة والمسلمين[1].

ملاحظات وتعقيبات:

ولنا حول الكلام الآنف الذكر مجموعة ملاحظاتٍ وتعقيباتٍ نوجزها في النقاط التالية:

النقطة الأولى:

من خلال الروايات المشتهرة عن رسول الله (ص) في شأن «الإمام المهديّ» وما أعدّه الله له من دورٍ كبيرٍ في إزالة كلّ مظاهر الظّلم والجور والفساد والانحراف، واقامة حكم الله العادل في الأرض.

(١) تطور الفكر السّياسي الشيعي ص ٢٤٩.

من خلال ذلك كانت الأنظمة الحاكمة الظالمة ترصد هذه الظاهرة، وتُلاحق كلّ الواقع التاريخيّ: خشيةً وخوفًا من ظهور ذلك «الإمام» الذي يُشكّل «التهديد الحقيقيّ» لتلك الكيانات السّياسية المتسلّطة.

ولعلّ سياسة «العنف والإرهاب» التي مارستها أنظمة الحكم عبر التاريخ ضدّ الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، وضدّ أتباعهم وشيعتهم تنطلق في بعض أسبابها من هذا الإحساس بالخوف والفزع من ظهور «الإمام المهديّ».

وفي ظلّ تلك السياسات الإرهابيّة والعنفيّة تُشكّل «الواقع الصعب» في حياة الأئمّة عليهم السلام، وفي حياة أتباعهم.

واستمرّت تعقيدات هذا الواقع في التزايد والاشتداد، ممّا فرض وضعًا قاسيًا حول الأئمّة عليهم السلام.

وفي ما هذا الواقع يتحرّك في الاتجاه الصعب كانت المؤشرات التاريخيّة تؤكّد اقتراب (زمن الإمام المنتظر)، حيث يُشكّل «الثاني عشر» في منظومة الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، كما تحدّثت الأخبار والروايات.

وهنا يبدأ «الهاجس المرعب» عند الأنظمة الحاكمة تتصاعد وتيرته، وتشتدّ تحسّباته، ممّا فرض الكثير من الإجراءات المشدّدة حول الأئمّة عليهم السلام وحول أتباعهم.

النقطة الثانية:

ومن خلال القراءة التاريخيّة للواقع السّياسي في المرحلة التي عاصرت الإمامين الهادي والعسكريّ (عليهما السلام) وبدايات (غَيْبة الإمام المهديّ عليه السلام) نتوفّر على المعطيات التالية:

١) تولّي السلطة السّياسية في هذه المرحلة من الحكّام العبّاسيّين:

١- المعتصم بالله بن هارون الرشيد (ت/ ٢٢٧ هـ).
٢- الواثق بالله هارون ابن المعتصم بالله (ت/ ٢٣٢ هـ).
٣- المتوكّل على الله ابن المعتصم (ت/ ٢٤٧ هـ).
٤- المنتصر بالله ابن المتوكّل (ت/ ٢٤٨ هـ).
٥- المستعين بالله ابن محمد بن المعتصم (ت/ ٢٥٢ هـ).
٦- المعتزّ بالله ابن المتوكّل (ت/ ٢٥٥ هـ).
٧- المهتدي بالله ابن الواثق (ت/ ٢٥٦ هـ).
٨- المعتمد بالله ابن المتوكّل (ت/ ٢٧٣ هـ).

٢) ومن الصفات الواضحة لأنظمة الحكم في هذه المرحلة:

- الظّلم والجور وسفك الدّماء.
- اشتداد الحصار حول الأئمّة (عليهم السلام) والمتابعات القاسية لأتباعهم وشيعتهم، وقد برز ذلك بشكلٍ أكثر قسوة في أيام (المتوكّل العباسيّ).

قال الحافظ السيوطي: «في سنة ستٍ وثلاثين ومائتين أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين [عليه السلام] وهدم ما حوله من الدور، وأن يعمل مزارع ومنع النّاس من زيارته، وخُرّب وبقي صحراء، وكان المتوكّل معروفًا بالنصب»[1].

وقال ابن الأثير: «وفي هذه السّنة (٢٣٦هـ) أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين [عليه السلام]، وأن يُبذر ويُسقى موضع قبره، وأن يُمنع الناس من إتيانه»[2].

٣) وفي هذه المرحلة تمّ تصفية عددٍ كبيرٍ من الشخصيّات البارزة من (آل الرسول صلّى الله عليه وآله)، ومن هذه الشخصيّات:

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٢٦٥.
(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧: ٥٥.

١- الإمام محمد بن عليّ الجواد عليه السلام.
٢- الإمام عليّ بن محمد الهادي عليه السلام.
٣- الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام.
٤- عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الطيّار عليه السلام.
٥- يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الطيّار.
٦- أحمد بن عبد الله بن موسى بن محمد بن سليمان بن داوود بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
٧- عيسى بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام.
٨- جعفر بن محمد بن الحسن بن عليّ بن عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
٩- إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
١٠- أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
١١- الحسين بن محمد بن حمزة بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
١٢- يحيى بن عليّ بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
١٣- محمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
١٤- جعفر بن إسحاق بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن

عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

١٥- موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

١٦- عيسى بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

١٧- محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن أبي الكرام بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

١٨- عليّ بن موسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

١٩- محمد بن الحسين بن عبد الرحمن بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٢٠- عليّ بن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٢١- إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٢٢- عبد الله بن محمد بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٢٣- أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن الحسن بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٢٤- أحمد بن محمد بن جعفر بن الحسن بن عليّ بن عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٢٥- عبيد الله بن عبد الله بن عيسى بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٢٦- عليّ بن إبراهيم بن الحسن بن عليّ بن عبيد الله بن الحسين بن عليّ

بن أبي طالب عليه السلام.

٢٧- محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن عليّ بن عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٢٨- حمزة بن الحسن بن محمد بن جعفر بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام.

٢٩- حمزة بن عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٣٠- محمد بن الحسن بن عليّ بن عبد الله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٣١- إبراهيم بن الحسن بن عليّ بن عبد الله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام.

٣٢- الحسن بن محمد بن زيد بن عيسى بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٣٣- إسماعيل بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام.

٣٤- محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن زيد الأكبر بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٣٥- موسى بن موسى بن محمد بن سليمان بن داوود بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٣٦- محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٣٧- أحمد بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٤) السّياسة المتشدّدة ضدّ الإمامين الهادي و العسكريّ عليهما السلام:

نوجز هذه السّياسة فيما يلي:

١- أمر المتوكّل العباسي يحيى بن هرثمة بإشخاص الإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء بهدف وضعه تحت الرقابة المشدّدة، وخوفًا من تعاظم نفوذه في المدينة المنورة.

يقول يحيى بن هرثمة: «دخلت المدينة فضجّ أهلها ضجيجًا عظيمًا ما سمع الناس بمثله خوفًا على عليّ [الإمام الهادي] وقامت الدنيا على قدم وساق، لأنّه كان محسنًا إليهم، ملازمًا المسجد لم يكن عنده ميلٌ إلى الدنيا، فجعلت أسكّتهم، وأحلف لهم أنّي لم أؤمر فيه بمكروه، وأنّه لا بأس عليه، ثمّ فتشت منزله فلم أجد إلّا مصاحف، وأدعية، وكُتب علم فعظم في عيني...»[١].

وتذكر بعض المصادر التاريخيّة أنّ الإشخاص بسبب وشاية بعض عمّال السلطة العباسيّة - بريحة العبّاسي صاحب الصّلاة بالحرمين -[٢].

وكثيرًا ما يقوم جلاوزة النظام بتفتيش دار الإمام الهادي عليه السلام، وبشكل مباغت، فلا يجدون غير كتب الأدعيّة والعلم والقرآن الكريم[٣].

٢- ولما تولّى السلطة المعتز العباسي مارس سياسةً قاسيةً جدًا ضدّ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وعُرف بالاستبداد والظّلم، وقد قُتل في عهده عددٌ كبيرٌ من العلويّين[٤].

وفي عهده مات الإمام الهاديّ عليه السلام مسمومًا[٥].

٣- وفي عهد المهتدي العباسي قاسى الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام وشيعته الكثير من الظّلم والتعسّف والاضطهاد ومصادرة الأموال والأملاك...

---

(١) سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص ٢٠٢ (على ما في تاريخ الإسلام ٢: ٢٠٨).

(٢) المسعودي: إثبات الوصيّة ١٩٦ - ١٩٧.

(٣) تذكرة الخواص ٣٢٢.

(٤) الأصفهاني: مقاتل الطالبيّين ص ٤٢٤.

(٥) ابن الصبّاغ المالكي: الفصول المهمّة ٢٧٩.

وفي هذا العهد تمّ اعتقال الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، وضيّق عليه في السجن أشدّ تضييق[١].

قال المفيد في الإرشاد:

«دخل العباسيون على صالح بن وصيف [رئيس الأمراء في خلافة المهتدي] عندما حبس أبو محمد [الإمام العسكريّ] عليه السلام فقالوا له: ضيِّق عليه ولا توسّع، فقال لهم صالح: ما أصنع به؟! قد وكّلت به رجلين شرّ من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصّلاة والصيام إلى أمرٍ عظيم، ثمَّ أمر بإحضار الموكَّلين فقال لهما: ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟ فقالا له: ما نقول في رجلٍ يصوم النهار، ويقوم الليل كلّه، لا يتكلّم ولا يتشاغل بغير العبادة، فإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا، فلمّا سمع العبّاسيون انصرفوا خاسئين»[٢].

٤- وفي عهد المعتمد العباسي استمرّت سياسة القمع والإرهاب ضدّ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

وفي هذا العهد استمرّ اعتقال الإمام العسكريّ والتضييق عليه، وقد جرت محاولات لتصفيته وباءت بالفشل، وذلك حينما سُلّم أمر الإمام إلى يحيى بن قتيبة الذي كان يُضيّق على الإمام، وقيل لمّا سُلّم إلى نحرير [من خواصّ خدم بني العباس][٣].

ويذهب بعض الدارسين إلى أنّ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام «قد اغتيل بالسّم من قِبَل السلطة، إذ دَسّ السّم له المعتمد العباسي، الذي قد أزعجه تعظيم الأمّة للإمام العسكريّ وتقديمهم له على جميع الهاشميين من علويين وعباسيين، فجمع رأيه على القتل...»[٤].

---

(١) الإربلي: كشف الغمّة ٢: ٤١٤.

(٢) المفيد: الإرشاد ٢: ٣٣٤.

(٣) الكليني: الكافي ١: ٢٦/٤٣٠، الإرشاد ٢: ٣٣٤، تاريخ الإسلام ٢: ٤٠٢.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام ٣: ٤٤٣ - ٤٤٤.

٥- وشـهدت المرحلة مجموعة ثورات ضدّ السـلطة العباسيّة إلّا أنّ جميع هذه الثورات قد باءت بالفشـل، وتمّ القضـاء عليها من قِبـل النظام، من هذه الثورات:

- ثـورة الزنج بقيادة عليّ بن محمد الذي ادّعى أنّه ينتسـب إلى الإمام عليّ عليه السلام، فكذّب ذلك الإمام العسكريّ[1]، وقد صحب هذه الحركة قتلٌ ونهبٌ وسـلبٌ واحراق، وسـيطرت على عدّة أمصـار، وأخيرًا تمكّنت الدولة من القضاء عليها[2].

- حركة ابن الصّوفي العلوي بقيادة إبراهيم بن محمد وقد ظهر في مصر[3]، ودارت بينـه وبين جيش الدولة معارك وباءت حركته بالفشـل وتمّ القبض عليه[4].

- ثورة عليّ بن زيد في الكوفة (سنة ٢٥٦ هـ) وقد تمكّن من الاستيلاء عليها، إلّا أنّه أخيرًا انهزم وقتل جماعة من أصحابه[5].

- وخرج مساور الخارجي وهزم وتمّ قتله[6].

النقطة الثالثة:

وفي ضـوء هـذه القراءة التاريخيّة للواقع السّياسـي في تلـك المرحلة، هل تبدو الصورة بتلك البساطة التي حاولت الأوراق المرتبكة أن تقدّمها لتوحي للقارئ بتفاهة «المبرّر التاريخيّ والسّياسي» والذي شكّل أحد منتجات «الغَيْبة والاختفاء».

---

(١) الإربلي: كشف الغمّة ٢: ٤٢٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤: ٤٣٠ - ٤٤٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ٥٠٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤: ٤٣٢.

(٥) المصدر نفسه ٤: ٤٤٧.

(٦) المصدر نفسه ٤: ٤٢٩.

المسألة ليست كذلك، فالجو السّياسي الذي عاصر بدايات (الغَيْبة) وما سبقها كان جوًّا مشحونًا بتعقيدات صعبة جدًّا في مواجهة الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، وفي مواجهة «الواقع الشيعيّ» الذي يشكّل «الانتماء» لمدرسة الأئمّة عليهم السلام ولعلّ هذا ما أكّدته بعض أحاديث الغَيْبة، حيث أشارت إلى سببين مهمّين من أسباب الغَيْبة:

السبب الأول: لكي لا تقع في عنق الإمام المهديّ بيعة لأنظمة الحكم الظّالمة.

السبب الثاني: لكي لا يتعرّض الإمام للقتل والتصفية.

نحاول أن نذكر هنا بعض الروايات:

السبب الأول: لكي لا تقع في عنق الإمام المهديّ بيعة لأنظمة الحكم الظالمة:

١- عيون أخبار الرّضا ٢: ٢٤٧ / حديث ٦:

● ● عن الحسن بن عليّ بن فضّال عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام أنّه قال:

«كأنّي بالشيعة عندَ فقدِهم الثالثَ من ولدِي يطلبونَ المرْعى فلا يجِدونَه.

فقلتُ: ولِمَ ذاك يا ابن رسول الله؟

قال: لأنّ إمامَهم يغيبُ عنهم.

قلت: ولِمَ ذاك؟

قال: لئلّا يكونَ في عنقِه لأحدٍ بيعةٌ إذا خرج».

رجال الإسناد كلّهم ثقات أو مرضيّين:

● **أبو جعفر الصّدوق:**

- شيخ المحدّثين المعروف.

⊙ **محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني:**

- «من مشايخ الصّدوق، أكثر من الرواية عنه مترضّيًا ومترحّمًا - تقدّم».

⊙ **أحمد بن محمد الهمداني:**

- [استظهر في المعجم كونه أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة وهو ثقة جليل القدر - تقدّم].

⊙ **عليّ بن الحسن بن فضال:**

- «من أجلّاء الفقهاء والمحدّثين الثّقات - تقدّم».

⊙ **الحسن بن عليّ بن فضّال:**

- «أحد الفقهاء الأجلّاء الثّقات».

٢- كمال الدين ١: ٣٠٣ ب ٢٦ / حديث ١٤:

⊙⊙ عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني عن محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عن عليّ عليه السلام قال:

«للقائم منّا غَيْبةٌ أمدها طويل... - إلى أن قال - إنَّ القائمَ منّا إذا قامَ لمْ يكنْ لأحَدٍ في عنقه بيعةٌ، فلذلكَ تخفى ولادَتُه ويغيبُ شخصُه».

رجال الإسناد: «يُعتمد عليهم ما خلا سهيل بن زياد الآدمي، فقد ضعّفه كثيرون، ووثّقه آخرون لكثرة رواية الأجلّاء عنه، وكونه من شيوخ الإجازة».

منتهى المقال ٣/ ١٤٠٦.

ملاحظة:

الخدشة في الإسناد - هنا - لا تضرّ ما دام المتن مطابقًا لمتون صحيحة الإسناد.

٣- كمال الدين ١: ٣١٦ ب ٢٩ / حديث ٢:

⊙⊙ عن الحسن بن عليّ عليه السلام في حديث قال:

«أمَا علمتُم أنّه ما منّا أحدٌ إلّا وتقعُ في عنقه بيعةٌ لطاغيةِ زمانه إلّا القائمَ الذي يُصلِّي عيسى بن مريمَ خلفَه، وإنَّ اللّه عزّ وجلّ يُخفي ولادَته ويَغيبُ شخصُه لئلّا يكونَ لأحد في عنقه بيعةٌ إذا خرجَ».

الإسناد فيه كلام، إلّا أنّ المتن قريبٌ من متونٍ صحيحة الإسناد.

ملاحظة:

لعلّ المقصود بالبيعة في لسان هذه الروايات أنّهم عليهم السلام يعيشون في ظل أنظمة الجور، وتفرض عليهم سياسات الأنظمة، أمّا الإمام المهديّ عليه السلام فلا تملك الأنظمة الجائرة أن تخضعه لسياساتها، كونه غائبًا مستترًا.

٤- كمال الدين ٢: ٤٧٩ ب ٤٤ / حديث ١:

⊙⊙ عن أبي بصير عن أبي عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام:

«صاحبُ هذا الأمرِ تَعمَى ولادَته على النّاسِ لئلّا يكونَ لأحدٍ في عنقِه بيعةٌ إذا خرجَ».

رجال الإسناد كلّهم ثقات:

⊙ **أبو جعفر الصّدوق:**

- شيخ المحدّثين المعروف.

⊙ **محمد بن موسى بن المتوكّل:**

- «من مشايخ الصّدوق الثّقات - تقدّم في عدّة أسانيد».

⊙ **محمد بن يحيى العطّار:**

- «أحد الفقهاء الأعلام الثّقات».

- **محمد بن عيسى:**

- [مشـترك بين محمد بن عيسى بن سعد ومحمد بن عيسى بن عبيد وكلاهما من الثّقات الأجلّاء - كما تقدّم].

- **محمد بن أبي عمير:**

- «من أوثق الناس وأورعهم وأعبدهم وأنسكهم - تقدّم في أسانيد كثيرة».

- **سعيد بن غزوان:**

- «ثقة روى عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام» رجال النجاشي ج١: ٤١٠/ الرقم ٤٧٧.

- **أبو بصير:**

- «من الثّقات الأجلّاء - تقدّم».

٥- كمال الدين ٢: ٤٨٠ ب٤٤/ حديث ٢:

○○ عن جميل بن صالح عن أبي عبد الله عليه السلام قال:
«يُبعثُ القائمُ وليسَ في عنقه لأحد بيعةٌ».

رجال الإسناد كلّهم ثقات:

- **أبو جعفر الصّدوق:**

- شيخ المحدّثين المعروف.

- **(١) عليّ بن الحسين بن بابويه والد الصّدوق:**

- «أحد أعاظم الطائفة الإماميّة - تقدّم».

- **(٢) ومحمد بن الحسن بن الوليد:**

- «من الفقهاء الأعاظم الثّقات - تقدّم».

كلاهما عن:

- **سعد بن عبد الله:**
- «من فقهاء الطائفة الأجلّاء - تقدّم».

- **محمد بن عيسى:**
- [ابن سعد أو ابن عبيد وكلاهما من الثّقات الأجلّاء كما تقدّم].

- **ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب:**
- «ثقةٌ عينٌ جليل القدر».

كلاهما عن:

- **محمد بن أبي عمير:**
- «من أوثق الناس وأصدقهم وأعبدهم - تقدّم».

- **جميل بن صالح الأسدي:**
- «ثقةٌ وجهٌ روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام» الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ١/ ١٢٤٧.

٦ - كمال الدين ٢: ٤٨٠ ب ٤٤/ حديث ٣:

●● عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال:
«يقومُ القائمُ وليسَ لأحدٍ في عنقِهِ بيعةٌ».

رجال الإسناد كلّهم ثقات:

- **أبو جعفر الصّدوق:**
- شيخ المحدّثين المعروف.

- **عليّ بن الحسين بن بابويه:**

- «أحد أعاظم الطائفة الإماميّة».

◎ **سعد بن عبد الله:**

- «من فقهاء الطائفة الأجلّاء».

◎ **يعقوب بن يزيد:**

- «ثقة صدوق» الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ٢/ ٦٤١٠.

◎ **والحسن بن ظريف:**

- «ثقة» الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ١/ ١٤٧٤.

جميعًا عن:

◎ **محمد بن أبي عمير:**

- «من أوثق الناس وأصدقهم - تقدّم».

○ **هشام بن سالم:**

- «أحد فقهاء الشيعة الأجلّاء الثّقات - تقدّم».

٧ - كمال الدين ٢: ٤٨٠ ب٤٤/ حديث ٥.

◎◎ عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«صاحبُ هذا الأمرِ تَغِيبُ ولادَتُه عنْ هذا الخلقِ، لئلّا يكونَ لأحدٍ في عنقِه بيعةٌ إذا خرجَ، ويُصلِحُ اللهُ عزَّ وجلَّ أمرَهُ في ليلة».

رجال الإسناد كلّهم ثقات.

٨- غَيبة النعماني ٢١١/ حديث ٢٠:

◎◎ عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال:

«يقومُ القائمُ وليسَ في عنقِه بيعةٌ لأحدٍ».

المتن مطابقٌ للمتون السابقة.

السبب الثاني: لكي لا يتعرّض للقتل والتصفية:

١- الكافي ١: ٣٣٧/ حديث ٥:

○○ عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله [الإمام الصّادق] عليه السلام يقول:
«إنَّ للغلام [يعني المهديّ] غَيبةً قبلَ أنْ يقومَ، قال: قلتُ: ولِمَ؟
قال: يخافُ وأومى بيدِهِ إلى بَطنِهِ [يعني يخاف القتل] ثمَّ قال: يا زرارةَ وهو المنتظرُ وهو الذي يُشكُّ في ولادَتِه».

رجال الإسناد:

○ **ثقة الإسلام الكليني:**

- أشهر من أن يُذكر.

○ **عليّ بن إبراهيم:**

- «من أعلام الفقهاء الأجلّاء الثّقات - تقدّم».

○ **الحسن بن موسى الخشّاب:**

- «من فقهاء الإماميّة المعروفين كثير العلم والحديث» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٨٨٤.

○ **عبد الله بن موسى:**

- «روى عنه عليّ بن إبراهيم في تفسيره وروى له أصحاب الكتب الأربعة» الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ١/ ٣٣٩٨.

○ **عبد الله بن بكير:**

- «أحد الفقهاء والمحدّثين الأعلام المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفُتيا

والأحكام. موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٥١٢.

● **زرارة بن أعين:**

- «من مشاهير فقهاء الشّيعة وأجلّائهم وثقاتهم - تقدّم في أسانيد كثيرة».

٢ - ورواه الشيخ الطوسي في كتاب الغَيْبة:

●● قال: روى سعد بن عبد الله عن جماعة من أصحابنا عن عثمان بن عيسى عن خالد بن نجيح عن زرارة بن أعين، وكلّهم ثقات، وطريق الشيخ إلى سعد بن عبد الله في التهذيبين والفهرست صحيح (انظر: الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ٢: الخاتمة/ الرقم ١٦٥).

٣- الكافي ١: ٣٤٠/ حديث ١٨:

●● روى الحديث نفسه بإسناد آخر رجاله كلّهم ثقات ما خلا جعفر بن محمد بن مالك وثّقه الطوسي والمامقاني وضعّفه النجاشي وآخرون...

٤- كمال الدين ٢: ٣٤٢ ب٣٣/ حديث ٢٤:

●● روى الحديث نفسه بإسناد رجاله كلّهم ثقات.

● **أبو جعفر الصّدوق:**

- شيخ المحدّثين المعروف.

● **أحمد بن محمد بن يحيى العطّار:**

- «من مشايخ الإجازة حكم الأصحاب بصحّة حديثه - تقدّم».

● **سعد بن عبد الله:**

- «من الفقهاء الأجلّاء الثّقات - تقدّم».

○ **أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري:**

- «من أجلاء الفقهاء والمحدّثين كبير الشأن، كثير الفضل، وافر الهيبة والجلالة».
- موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٧٩٣.

○ **عثمان بن عيسى:**

- «قال الشيخ في العدّة: عملت الطائفة برواياته لأجل كونه موثوقًا ومتحرزًا عن الكذب، وعدّه ابن شهراشوب من ثقات أبي الحسن عليه السلام» الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ١/ ٣٥٩٧.

○ **خالد بن نجيع:**

- «روى عنه ابن أبي عمير بسند صحيح في طريق الصّدوق إليه» الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ١/ ٢١٣١.

○ **زرارة بن أعين:**

- «من مشاهير الفقهاء وثقاتهم».

٥ - كمال الدين ٢، ٤٨١ ب٤٤ / حديث ٩:

⊙⊙ ورواه بإسناد آخر صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام.

● **أبو جعفر الصّدوق:**

- شيخ المحدّثين المشهور.

● **عبد الواحد بن محمد بن عبدوس:**

- «من مشايخ الصّدوق ترضّى عليه في المشيخة، وصحّح حديثه في العيون، وصحّح العلّامة روايته في التحرير» الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ١/ ٢٤٧١.

⊙ **عليّ بن محمد بن قتيبة:**

- «محدِّثٌ فاضلٌ، اعتمد عليه أبو عمر الكشّي في كتاب الرجال» موسوعة طبقات الفقهاء ٤/ ١٥١١.

⊙ **حمدان بن سليمان:**

- «قال النجاشي: ثقة من وجوه أصحابنا» الموسوعة الرجاليّة الميسّرة ١/ ٢٠٤٤.

⊙ **محمد بن الحسين بن أبي الخطاب:**

- «ثقةٌ عينٌ جليل القدر».

⊙ **الحسن بن محبوب:**

- «من الفقهاء الأجلّاء الثّقات».

⊙ **عليّ بن رئاب:**

- «ثقةٌ جليل القدر - تقدّم».

⊙ **زرارة بن أعين:**

- من مشاهير الفقهاء، وثقاتهم».

٦ - كمال الدين ٢: ٤٨١ ب٤٤/ حديث ١٠:

⊙⊙ عن زرارة عن أبي عبد الله ﷺ قال: «للغلامِ غَيبةٌ قبلَ قيامِهِ، قلتُ: ولِمَ؟ قال: يخافُ على نفسِهِ الذَّبح».

رجال الإسناد ثقات:

⊙ **أبو جعفر الصّدوق:**

- شيخ المحدّثين المعروف.

○ **محمد بن عليّ ماجيلويه:**

- «من مشايخ الصّدوق، روى عنه كثيرًا مترضّيًا مترحّمًا، حكم العلّامة بصحّة طريقٍ هو فيه، وتابعه المشايخ في عدّ روايته صحيحة، وفي الوسيط صرّح بوثاقته» منتهى المقال ٦/ ٢٧٨٠.

○ **محمد بن أبي القاسم عبيد الله:**

- «قال عنه النجاشي والعلّامة: سيّدٌ من أصحابنا القمّيين، ثقةٌ، عالمٌ، فقيهٌ، عارفٌ بالأدب والشعر» رجال النجاشي ج٢: ٢٥١/ الرقم ٩٤٨، الخلاصة ١٥٧/ ١١١.

○ **أحمد بن أبي عبد الله البرقي:**

- «أحد كبار الفقهاء والمحدّثين، واسع الرواية، ثقةٌ في الحديث، عارفٌ بالسِيَر والأخبار، وله باع في علم الرجال» موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٧٨٨.

○ **أيوب بن نوح:**

- «أحد المحدّثين الثّقات، رجلٌ صالح، شديد الورع، كثير العبادة، وكيل الإمامين الهادي والعسكريّ عليهما السلام، عظيم المنزلة عندهما» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٨٣٢.

○ **صفوان بن يحيى:**

- «أحد كبار الفقهاء، وعيون المحدّثين، ورعٌ، غزير العلم، واسع الرواية، كثير التصانيف، ذو منزلة شريفة عند الإمام الرّضا عليه السلام» موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٩٤٧.

○ **عبد الله بن بكير:**

- «أحد المحدّثين والفقهاء الأعلام المأخوذ عنهم الحلال والحرام - تقدّم».

● زرارة بن أعين:

- «من مشاهير الفقهاء الأجلّاء الثّقات».

٧ - علل الشّرائع ١: ٢٤٣/ حديث ١:

● عن أبي عبد الله [الصّادق] عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ:
«لا بدَّ للغلامِ من غَيْبةٍ، فقيل له: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: يخافُ القتلَ».

رجال الإسناد ثقات:

● أبو جعفر الصّدوق:

- شيخ المحدّثين المعروف.

● محمد بن عليّ ماجيلويه:

- تقدّم في الإسناد السابق.

● عليّ بن أبي القاسم ماجيلويه:

- «ثقة، فاضل، فقيه، أديب...» رجال النجاشي ج٢: ٨٨/ ٦٨١.

● أبو عبد الله البرقي:

- [أحمد بن أبي عبد الله البرقي - تقدّم في الإسناد السابق].

● محمد بن أبي عمير:

- «من أوثق الناس وأصدقهم وأعبدهم - تقدّم».

● أبان وغيره:

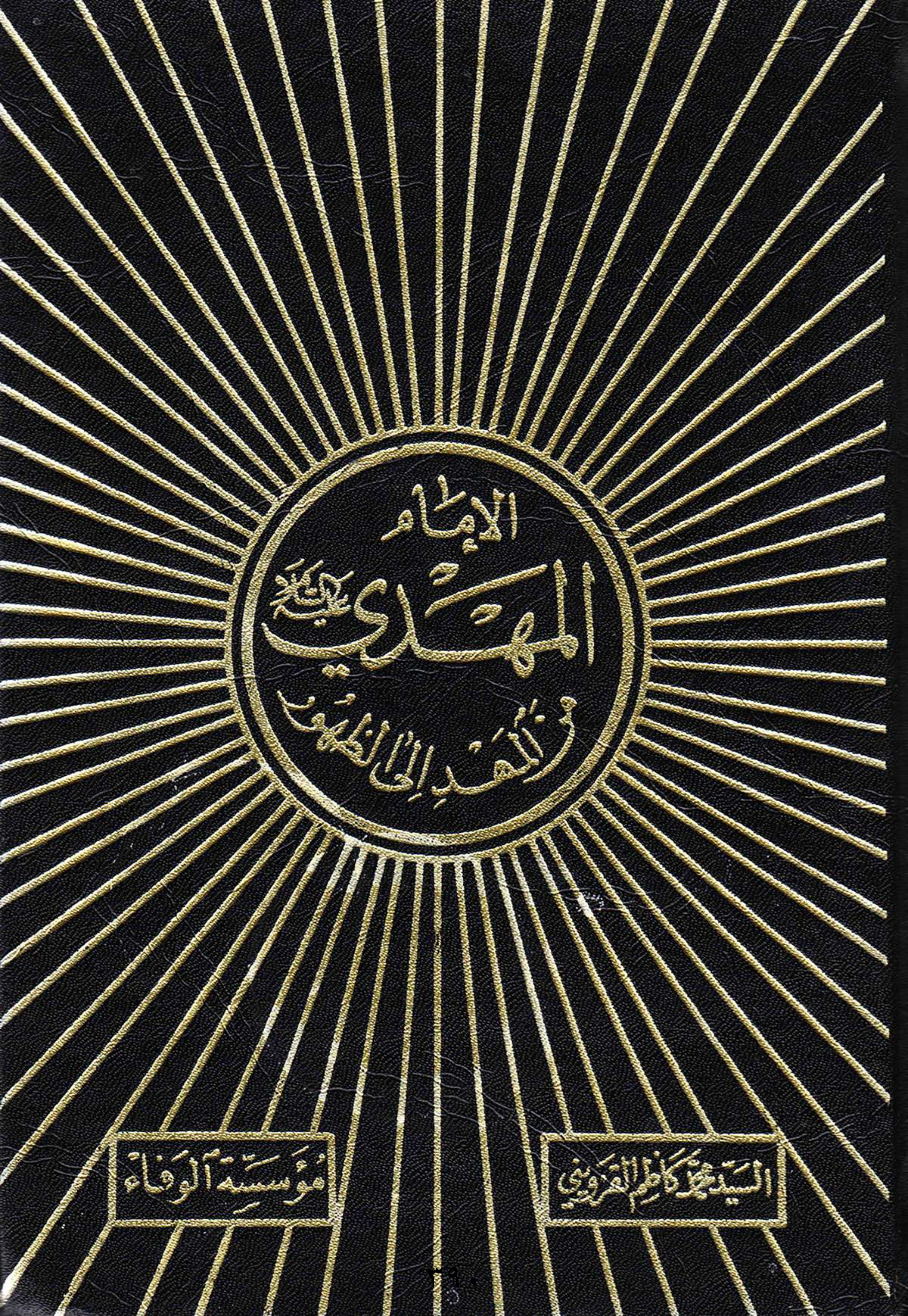
[أبان مشترك بين أبان بن تغلب من الفقهاء الأجلّاء الثّقات وكان قارئًا مفسّرًا لغويًا... وأبان بن عثمان الأحمر محدّثٌ حافظٌ فقيهٌ وهو من أصحاب الإجماع] موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٢٨١، ٢٨٣.

النقطة الرابعة:

من الغباء جدًّا أن نفرض أنّ الواقع الإسلاميّ في تلك المرحلة كان مهيّئًا لدولة الحقّ المرتقبة.

فكلّ المفردات التي أثارتها تلك الكتابات المشكّكة لا تُشكّل ظروفًا موضوعيّةً لقيام مشروع الدولة الإسلاميّة الكبرى المرتقبة على يد الإمام المهديّ المنتظر عليه السلام.

ولكي نكتشف مستوى السذاجة في تلك الكلمات القائلة بأنّه «لم يكن من العسير على (محمد بن الحسن العسكريّ) لو كان موجودًا فعلًا أن يظهر هنا أو هناك، وأن يتحدّى السلطات العباسيّة الضعيفة جدًا ويُقيم دولته المعهودة....» لا بدّ أن نُعطي تصورًا عامًا عن تلك الدولة المنتظرة العالميّة والتي تحتاج إلى إعدادٍ طويلٍ وإلى توفّر شروط وظروف واستعدادات صعبة.



الإمام
المهدي عليه السلام
من المهد إلى الظهور
السيد محمد كاظم القزويني
مؤسسة الوفاء

الطَّبْعَة الأولى

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

١٤٠٥ هجرية - ١٩٨٥ ميلادية

مؤسسة الوفاء

تلفون : ٣٨٦٨٦٨ - ص.ب : ١٤٧٥ - بيروت - لبنان

الفصل الثالث عشر

كيفَ عاشَ الى هٰذا اليوم ؟

قبـل كلّ شيء . . إنّني أعتقـد أنَّ المناقشـة والمجادلـة حول مـوضوع طـول عُمـر الامـام المهـدي (روحي لـه الفِـداء) ليست منـاقشـة هـادفـة وبنّاءة ، بل هي تجاهُل العـارِف ، ونوعٍ مِن العِنـاد ، بدليـل أنّنا لا نجـد أحـداً يُناقش في طـول أعمار المـلائكة ، أو طـول عُمر إبليس (لَعنـه الله) أو طـول عمر الخِضـر (عليه السـلام) الذي شـرب مِن مـاء الحيـاة وبقي حيّاً من عهد النبي موسىٰ (عليه السلام) الى يومنا هذا[1] وإنّمـا المناقشـات

---

(١) لقـد ورَد في الحديث عن الإمـام علي بن مـوسىٰ الرضـا (عليه السـلام) أنّه قـال « إنَّ الخِضـر (عليـه السـلام) شـرب مِن مـاء الحيـاة ، فهـو حيٌّ لا يمـوت حتى يُنفَـخ في الصُـور ، وإنّه لَيحضَـر المـوسِم كـلَّ سنـة، ويَقِف بعَـرَفـة فيؤمِّن عـلى دعـاء المؤمنين (أي : يقول آمين) وسيؤنس الله بـه وحشة قـائمنا في غيبتـه ، ويَصِلُ بـه وحدَته » . إكمال الدين ج ٢ ص ٣٩٠ ـ ٣٩١ .

ورُويَ عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنّه قال : « . . . وأمّا العبـد الصالـح أعني الخضـر (عليه السـلام) ، فانَّ الله ـ تبـارك وتعالىٰ ـ مـا طوَّل عُمـرَه لِنُبوَّةٍ قـدَّرَهـا لـه ، ولا لِكتـابٍ يُنـزِّلـه عليـه ، ولا لشـريعةٍ يَنسَـخ بهـا شـريعـة مَن كـان قبله مِن الأنبياء ، ولا لإمامةٍ يُلزِم عبادَه الإقتـداء بها ، ولا لِـطاعةٍ يَفـرضهـا لـه ، بلىٰ . . إنَّ الله ـ تبـارك وتعالىٰ ـ لمّـا كان في سابق عِلمه أن يُقـدِّر من عُمر القـائم (عليـه السـلام) في أيّـام غيبته مـا يُقدِّر ، وعَلمَ مـا يكون مِن إنكـار عباده بمقـدار ذلك العمـر في الطـول ، طـوَّل عُمرَ العبـد الصالـح مِن غير سبب أوجَبَ ذلـك . . إلّا لِعِلَّة الإستدلال بـه عـلى

والشُبهات كلُّها حول طول عُمر صاحب الزمان (عليه السلام) !

فلماذا هٰذا التهريج والتجاهل والإستهزاء ؟؟ !!.

هل هو بدافع البُغض والعِداء لِآل رسول الله ؟ !

أم أنَّه إستِبْعادٌ لقُدرة الله تعالىٰ ؟ !

وما قيمة الإستبعاد المنبعث مِن الجهل ـ أو العِناد ـ أمام الأمر الواقع ؟ ؟ !.

أتذكَّر عندما نزل رُوّاد الفَضاء على سطح القمر ، انتشر هذا الخبر في شرق الأرض وغربها ، وتحدَّثت عنه جميع الإذاعات والصُحف، وظهَرت صورة رُوّاد الفضاء ـ ساعةَ نزولهم علىٰ سطح القمر ـ على شاشة التلفزيون ، ونقلتها الأقمار الصناعيَّة الى كلِّ مكان ، وبالرغم مِن كلِّ ذلك رأيتُ كثيراً ممَّن أعرفهم يستهزؤ ن بهذا الحادث ويعتبرونه مِن أكذَب الأساطير ، حتى قال لي أحدهم : إنَّني أتعجَّب منك كيف تُصدِّق هذا الخبر ؟ ! وكيف يُمكن للنصارىٰ والكفّار أن ينزلوا على القمر ؟ !

فهل انَّ استبعادهم وانكارهم يمنع حقيقة الوصول الى القمر ؟ !

طبعاً . . لا .

إنَّ طول عُمر الإمام المهدي (عليه السلام) حقيقة ثابتة لا مجال

= عُمر القائم (عليه السلام) ، وليَقطع بذلك حُجَّة المعاندين لِئلاّ يكون للناس على الله حُجَّة » إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٣٥٧ ، وبحار الأنوار للشيخ المجلسي ج ٥١ ص ٢٢٢ .

لإنكارها أو التشكيك فيها ، وإنَّ جميع الشُبُهات ـ حول هذا الموضوع ـ لا قيمة لها ، لأنَّها مِن قبيل التشكيك في حرارة النار ، ونور الشمس في مُنتصَف النهار ، وغير ذلك مِن الحقائق الثابتة .

بعد هذه المقدّمة ، نأتي الآن لنبحث حول موضوع طول العُمر على ضوء القرآن الكريم ومِن الناحية العقائديَّة وعلى ضوء العلم الحديث .

طول العمر على ضوء القرآن الكريم

إذا عرضنا مسألة طول العُمر على القرآن الكريم نجد نماذج مِن البشر قدَّر الله تعالىٰ لهم أن يعيشوا قروناً طويلة ، وعند ذلك يكون طول عُمر الإمام المهدي (عليه السلام) أمراً عادياً ، بل يكون طول عمر أيِّ إنسان ـ قدَّر الله له أن يعيش طويلاً ـ أمراً عادياً .

والآن إليك نموذجاً مِن القرآن الحكيم :

قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فَلَبِثَ فيهم ألفَ سنة إلّا خمسين عاماً فأَخَذَهم الطوفان وهم ظالمون** ﴾[1] .

إنَّ هذه الآية الكريمة تقول : إنَّ الفترة التي دعا فيها نوح (عليه السلام) الى الله تعالى هي ٩٥٠ سنة ، فكم كان عمره يوم أرسله الله نبياً ؟ وكم عاش بعد الطوفان ؟

لقد ورَدَ في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنَّه قال : « عاش نوح ألفي سنة وثلاثمأة سنة ، فمنها ثمانمائة وخمسون سنة قبل أن

---

(١) سورة العنكبوت الآية ١٤ .

يُبعَث ، وألف سنة إلاّ خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم ، وخمسمائة بعدما نَزَل مِن السفينة ونَضَب الماء[1] فمصَّر الأمصار ، وأسكن وُلده البُلدان . . »[2] .

وفي رواية أُخرى : إنَّ نوحاً عاش ألفين وخمسمائة سنة ، وعلى كلٍّ حال فمن الواضح أنَّ نوحاً (عليه السلام) عاش هذه القرون الطويلة بقدرة الله تعالىٰ وقد رُويَ عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنه قال : « في القائم سُنَّة مِن نوح ، وهي طول العُمر »[3] .

وَتتجلّىٰ القُدرة الإلهيَّة في تحقيق مشيئته وارادته ، وإخضاع الطبيعة، في قصَّة النبي يونس (عليه السلام) الذي ﴿ **إلتَقَمَه الحوتُ وهو مُليم ، فلولا أنَّه كَان مِنَ المُسبِّحين للبث في بَطنِه الى يوم يبعثون** ﴾[4] فالظاهر مِن هذه الآية أنَّ يونس لو لم يَكن مِن المسبِّحين في بطن الحوت للبث حيّاً في بطن الحوت الى يوم القيامة .

وأمّا ما ذَكرَه بعض المفسِّرين مِن (أنَّ بطن الحوت كان قبراً له ، أي كان يموت ويَبقىٰ جَسَده في بطن الحوت الى يوم يبعثون) فهو خلاف الظاهر .

---

(١) نَضَب الماء : غارَ الماء . مَصَّر الأمصار : بَنى المُدُن .

(٢) تفسير البرهان للبحراني في تفسير الآية ، نقلًا عن كتاب الكافي للشيخ الكليني . إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٥٢٣ .

(٣) كتاب إكمال الدين ج ١ ص ٣٢٢ و ٥٢٤ .

(٤) سورة الصّافات ، الآية ١٤٢ ـ ١٤٤ .

وقد ذكر الزمخشري ـ في تفسيره الكَشّاف ـ ان الظاهر مِن قوله تعالى : ﴿للبث في بطنه﴾ هو لَبثُه فيه حياً إلى يوم القيامة ، ومِثلُه في تفسير البيضاوي .

ولعلّ المعنى ـ والله العالِم ـ أنَّ النبي يونس (عليه السلام) كان يبقى حَياً محبوساً في بطن الحوت ـ مع حياة الحوت ـ الى يوم القيامة ، فيُستفاد مِن هذه الآية أنّ الله تعالىٰ قادرٌ على أن يحفظ إنساناً من الموت في مكانٍ لا هواء فيه ولا طعام ولا شيء مِن لوازم الحياة والبقاء ، بل ويحفظه مِن الهضم في بطن الحوت وصيرورتِه جزءاً من جسد الحوت ، الى ملايين السنين .

أليس الله تعالى بقادر على أن يحفظ وليَّه من الموت ويُعمِّره مئات السنين ؟ ! .

طول العُمر مِن الناحية العقائديَّة :

وإذا نظرنا الى موضوع العُمر من الناحية العقائديَّة وجدناه أمراً عادياً جداً ، لأنَّ كلَّ مؤمن بالله يعتقد أنَّ الآجال بيد الله تعالىٰ ، ومعنى هذا أنَّ الله هو الذي يُقدِّر الآجال لكلِّ نفس ولكلِّ ذي حياة ، والله قادر على إطالة الأعمار كقُدرته على تعجيل الآجال ، فاذا قدَّر الله تعالى لأحد عباده طول العمر فمن البديهي أن يُهيِّىء له الأسباب الماديَّة ، والطبيعيَّة الموجِبة لطول العمر ، ومِن الممكن أن يُسعفه ـ للعمر الطويل ـ بالأمور الطبيعيَّة وبالماورائيّات معاً ، أي ما وراء الطبيعة والمادَّة ، ولا يستلزم مِن ذلك خَرق الطبيعة ولا العادة ، فكما أنَّ هناك وسائل وعوامل لِقِصَر

العمر وتعجيل الأَجَل ، كذلك هناك وسائل لإطالة العمر وتأخير الأجل ، وكلا القسمين من الوسائل في قدرة الله تعالىٰ على حَدٍّ سواء .

ولتوضيح هـذا المعنى نقول : مِن الـواضح أنَّ جسم الإنسـان يتعفَّن ويتَلاشىٰ بعد الموت ، وتتفرَّق أجزاؤه وتَنقلب الى ديدان ، هذا مِن ناحية الطبيعة ، ولكنّنا نجد ـ في مدينة القاهرة ـ عشـرات الأجسام المحنَّـطة ـ مِن عهـد الفراعنـة ـ التي مرَّت عليهـا آلاف السنـين وهي لا تـزال مُتمـاسكـة الأعضاء والأجزاء ، فلا يُقال : هذا خرق الـطبيعة ، بـل الطبيعـة ناقضت الطبيعة ، يعني انَّ التحنيط يُناقض ويمانع تعفّن البدن وتلاشيه .

وإن تجاوزنا مـرحلة تحنيط الأجسام الى مـرحلة أعلىٰ منهـا ، رأينا مـا يـوجب الدهشـة والعَجَب ، فقد انهَدمت قبـور بعض عباد الله الصـالحين فوُجِدت أجسادهم طريَّة لم يَطرأ عليها أيّ تغيـير ، فقد وُجـد جثمان الشيـخ الصدوق ـ في إحدىٰ ضواحي طهران ـ وقد مرَّ عـلىٰ وفاتـه حوالي تسعمـائة سنة ، وكان جسده طريّاً[(١)] ، وفي زماننا هذا ، أرادوا نَقـل مرقـد الصحّابي الجليل حُذيفـة بن اليَمان مِن شـاطىء نهر دجلة ـ ببغداد ـ الى جـوار مرقـد الصحّابي الجليل سلمان الفارسي ـ بالمدائن ـ فـانهار القبر وظهَـر الجثمان ، فكأنَّه مـات في ذلك اليـوم ولم يتغيَّر جثمـانه ومَـلامحه أبـداً ، وكانت وفـاته سنـة ٣٦ مِن الهجرة ، مـع العلم أنّـه لم يكن مُحنَّـطاً بـالتحنيط المتعـارف ،

(١) تـوفي الشيخ الصـدوق ـ رضوان الله عليـه ـ سنة ٣٨١ ، وقـد جُدِّدَ البنـاء الموجـود على قبره سنة ١٢٣٨ هـ وَوُجِدَ جسده طـرياً حين تجديـد البناء . ذكـرَ ذلك بـالتفصيل الخـونسـاري في (روضـات الجنّـات) والتنكـابني في (قصص العلماء) ، والمـامقـاني في (تنقيح المقال) وغيرهـم .

وإنّما بقي جسَده طريّاً باذن الله تعالىٰ .

والمشهور بين المؤمنين أنَّ مَن واظَبَ على غُسل الجمعة لا يبلىٰ جسده .

إذن : فالطبيعة شيء ، وإرادةُ الله فوق الطبيعة ، ومشيئته فوق المادَّة والماديّات ، لأنّه تعالى خالق الطبيعة والمادَّة ، يُقلِّبها كيف يشاء ويَتصرَّف فيها بما يريد ، فهو الذي مَنح للاشياء طبايعها .

فمن الممكن أن الإمام المهدي (عليه السلام) يُراعي في حياته النواحي الصِحيَّة ، فيَتناول ما ينفع ولا يَضرُّ ، فيعيش سالماً عن جميع الأمراض ، وتكون جوارحه وأجهزة جسمه نشيطة تؤدّي وظائفها على أحسن ما يُرام ، فالشَيب والشيخوخة والضعف والذبُول لا طريق لها الى جسمه (عليه السلام) وإنّما يتمتّع بالطراوة والنضارة ، فكأنّه شاب مُتكامل القوىٰ . . سليم الأعضاء ، كلُّ ذلك بسبب القابليّات والإستعدادات والطاقات التي أودعها الله تعالىٰ في جسم الإمام المهدي (عليه السلام) .

وخلاصة القول : إنَّ الله تعالىٰ هو الحافظ للإمام المهدي (عليه السلام) وهو الذي يَصونه مِن نوائب الدهر وحوادث الزمان ، ويمدُّ سبحانه في عُمره (عليه السلام) بما يشاء، ويُحافظ على سلامة جسمه مِن كلِّ مرضٍ وآفةٍ وعاهة .

طول العمر على ضوء العِلم الحديث

قبل أن نَدخل في هذا البحث ، لا بأس أن نَذكر كلمة بالمناسبة :

مِن المؤسف جداً أنّ بعض الشباب ـ في المجتمع الإسلامي ـ يقتنعون بكلمات الغربيِّين ـ من اليهود والنصارىٰ وغيرهم ـ ويتلقّونها بالتصديق والقبول حتى لو كانت فوق مستوىٰ عقولهم ومَشاعرهم ، ولكنَّهم يتردَّدون في قبول الحقائق الماورائيَّة الغَيبيَّة التي تتجاوز حدود المادَّة والطبيعة ، ويُشكِّكون فيها .

وهذا إن دَلَّ على شيء فانما يَدلُّ على الإستعمار الفكري والثقافي الذي غزىٰ البلاد الإسلاميَّة ، وسَلَب الإيمان واليقين مِن قلوب كثير من الشباب الغافلين ، وأحدَثَ فجوة كبيرة وبَوناً واسعاً بين هؤلاء الشباب وبين الحقائق التي لا ترتبط بالمادَّة .

لقد دفع الإستعمار الشباب الى الإيمان بالماديّات فقط ، والى رفض المعنويّات والغيبيّات .

فإذا قيل : قال المِستر فلان ، وقال المِسيو فلان ، وكَتَبَ البُروفسور فلان ، وقال الفيلسوف فلان ، والمكتشِف فلان، والدكتور فلان ، الألماني أو الفرنسي أو الإمريكي ، أو الأُستاذ بجامعة كذا، أو الكاتب اليهودي ، أو الخبير المسيحي ، أو الزعيم الوَثَني ، فإنَّ أقوال هؤلاء وآراءَهم ونظريّاتهم تُعتبَر ـ عند هؤلاء الشُبّان ـ وحياً يُوحىٰ ، ويتلقّونها بصدور رحبة وبكلٍّ تقدير !

أمّا إذا قلنا : قال الله تعالى ، أو قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أو ذكرنا حديثاً أو معجزة لأحد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ثَقُلَ عليهم تصديقه

وصعب عليهم قبولُه !.

لماذا أيها المسلمون ؟ !.

أما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عالماً حكيماً فيلسوفاً خبيراً مُكتشفاً ، مرتبطاً بالوحي ، مُتَّصِلاً بالمبدأ الأعلىٰ ؟؟ !.

لماذا لا يُقبَل كلامه ولا تُصدَّق أقوالُه وأخبارُه ؟؟!!

إذا قلنا : إنَّ عُمر الإمام المهدي أكثر مِن ألف ومائتي سنة قالوا : كيف يمكن ذلك ؟ وتردَّدوا فيه ، أمّا أذا قيل : إنَّ المستر فلان قال : إنَّ بإمكان الإنسان أن يَعيش ألوف السِنين ، صدَّقوه وقبِلوا منه !! لماذا ؟ !

قليلاً من التفكُّر والإنتباه .
قليلاً مِن الوعي واليقظة .

إنَّنا يجب أن نَفتخر بعظماء الإسلام ، بالنبي العظيم، بالإمام علي العظيم ، بأهل البيت العُظماء ، ويجب أن نرفض الدُخَلاء الذين دَسَّ بهم الإستعمارُ الى مجتمعاتنا وأفكارنا وأذهاننا !

يجب أن لا ننسىٰ أنَّ المسلمين هم رجال العِلم الحديث وأبطاله ، وأنَّهم الذين فتَقوا هذه العلوم وكتَبوا عنها ونشَروها !

ما قيمة الغربيين ؟ ! وما قيمة أقوالهم ونظريّاتهم ؟؟!!

لماذا نسينا أصالتنا ومَجدنا ؟.

إذا ذكروا قولاً أو نظريَّة لداروين اليهودي ، وفرويد اليهودي ، وأينشتاين اليهودي ، وسارتر الوجودي الملحِد، وأمثالهم ـ ممَّن أنكروا

الخالق وجحدوا الصانع ، ورَفَضوا جميع الأديان ، وجاؤا بنَظَريّات فاشلة ، مُضادَّة للإسلام ـ رأيتَ هؤلاء الشباب ، يتلقّون كلمات هؤلاء بالقبول ، ويعتبرونها مِن الحقائق الثابتة التي لا تقبل الشك والجدَل !!

ولهذا ترى كثيراً من المؤلِّفين يَضطرُّون الى الإستشهاد بكلمات الغربيِّين ، لإقناع الشباب بالموضوع الذي يتحدَّثون حوله !.

لماذا يا أبناء الاسلام ؟ !.

لماذا يا شباب القرآن ؟ !.

عودوا إلى إسلامكم ، وافتخِروا به على غيركم .

إرفضوا الغرب ورجَالَه وأفكارَه ، فإنَّه لا يَزيديكم إلاّ وَبالاً وانحرافا .

والآن أعود الى حديثي عن طول العمر على ضوء العلم الحديث :

إن مسألة طول العمر مِن المسائل التي لم يتحقّق تحديدها بالضبط ، فاذا قالوا : فلان عاش مئات السنين أو آلاف السنين ، فليس معنى ذلك أنّه عاش الحدَّ الأقصىٰ مِن العُمر الممكن للبشر أن يُدركه ، لأنَّ العمر الممكن للبشر لَم يتحقّق تحديدُه ـ كما تقول بذلك آخر الإكتشافات العِلميَّة ـ .

وأمّا الأعمار القصيرة ـ في هذا الزمان وقبل هذا الزمان ـ فليست مقياساً تُقاس عليه الأعمار ، لأنَّ الحياة مستلزمة ـ غالباً ـ للحوادث والكوارث والآلام التي تُسبِّب قِصَر العمر ، كسوء التغذية وسوء التَهوية

وعـدم رعايـة التعاليم الصحيَّـة ، والأمـراض الفتّـاكـة ، وتـراكم الهمـوم والاحزان ، التي لها كـل الأثَر في هـدم الحياة والعُقَـد النفسيَّة التي تُسبِّبُ أمراضاً خطيرة على حياة الانسان وغيرها .

وفي هـذا المجال ذُكـر في صفحة ٢٣٩ مِن مجلة المقتَـطَف المِصريَّـة ما نَصُه : (. . . لكن العلماء الموثـوق بعلمهم[1] يقولـون : إنَّ جميع الأنسجـة الرئيسيَّة في جسم الحيوان تَقبل البقاء الى ما لا نهايـة له ، وأنـه في الإمكان أن يَبقى الإنسـان حيّاً أُلـوفـاً مِن السِنـين ، إذا لم تَعـرض عليـه عـوارض تَصرِم حَبل حياته » .

وفي صفحـة ٢٤٠ مـن نفس العدد تقـول: «وغايـة ما ثبت الآن من التجارب المذكورة أنَّ الإنسان لا يموت بسبب بلوغ عمره الثمـانين أو المائة مِن السنين ، بل لأنَّ العوارض تنتاب بعض أعضـائه فتُتلفهـا ، ولإرتباط بعضها ببعض تموت كلُّها ، فإذا استطاع العِلم أن يُزيل هذه العوارض أو يمنع فِعلها ، لم يَبق مانع مِن استمرار الحياة مئات السنين[2] .

ولم نَقـرأ في كتاب أو تقـريـر ، ولم نَسمـع مِن أيِّ طبيب أو حكيم أو فيلسـوف أنَّ عُمر البَشـر قد تَمَّ تحـديده ، وأنَّـه لا يمكن أن يتجـاوز عمـرُه ذلك الحَدّ ، أو أنَّ مِن المستحيل أن يعيش الإنسان ألف سنة مثلاً .

(١) ليس المقصود مِن كلمة (العلماء) ـ هنا ـ الفقهاء وعلماء الـدين ، بل المكتَشِفـون وعلماء العلم الحديث .

(٢) مجلة المقتـطف المصريـة ، في الجزء الثـالث الصادر في سنـة ١٣٧٩ هـ . في مقال تحت عنوان « هل يُخلَّد الإنسان في الدنيا ؟ » .

بـل نجد أنَّ الـطب الحديث يـأمل في أن يجـد دواءاً لطول العمـر ، ومنْـع الشيخـوخـة ، وحفظ خـلايـا جسم الإنسـان والغُـدَد التي تُنشِّط الأعضاء ، والمحاولات مبذولة في هذا المجال .

نعم . . العمـر الطويـل ـ في هذا الـزمان ـ غـير مألـوف ، نـظراً الى الأعمـار القصيرة التي يعيشهـا البشر اليوم ، فاذا كـان الشيء غير مـألوف عنـدنا فليس معنـاه أنّه محـال وغير ممكن[1]، فـالناس ـ فيـما مضىٰ ـ كـانـوا يقـطعون مسـافة الف كيلومـتر في شهر ، واليـوم يقطعـون هذه المسـافة في ساعة واحدة بالطائرة ، فلو أنَّ إنسـانـاً كـان يُخبر النـاس ـ قبل مـائة سنـة ـ أنه يمكن قطع هذه المسافة في ساعة واحدة لَما كانـوا يصدّقـونه ، بـل كانـوا يَستبعدون ذلك ، لأنّه خلاف المألوف عندهم ، ولكن الخَبَر صحيح .

إنَّ المجتمعـات البشـريَّـة ـ اليـوم ـ تَعـرف الأشيـاء حسب العـادة الجارية ، لا حسب الأُصـول العِلمية ، وحتى الـذين لهم معرفـة بالأُصـول العلمية لا يدَّعون أنّهم أحاطوا بجميع الأسبـاب والمُسبَّبات ، بـل يَعترفـون أنَّهم لا زالوا في بدايـة الطريق ، ويُقـرُّون بأنَّ الأُصـول العلمية التي خَفِيت عنهم أكثر جداً ممّا ظهرت لهم .

فـالمقاييس العِلميـة ـ في هذا الكـون ـ أكثرهـا مجهولـة ، ولم يستـطع البشـر أن يُحيط بها عِلماً ، وإنّمـا استطاع أن يُـدرِك أشياء ظـاهرة بـدون أن يعـرف أسبابهـا وعِلَلها ، فكـلُّ شيء لـه سبب ، وذلـك السبب أيضـاً لـه

(١) رُوِيَ عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال : « كانت اعمار قوم نوح (عليه السلام) ثلاثمائة سنة . . ثلاثمائة سنة » اكمال الدين ج٢ ص ٥٢٣ .

سبب ، وهكذا تجد الأسباب والمسبَّبات متسلسلة ولا تستطيع أن تعرف السبب الأول ـ الذي يُقال له (عِلَّة العلل) ـ إلّا أن تقول : انّها قُدرة الله سبحانه وإرادته . . لا غيرها .

المُعمَّرون :

في تاريخ البشر توجد أسماء كثيرين مِن الذين عاشوا في هذه الحياة قروناً طويلة ، وقد تعرَّض المؤرِّخون الى ذكر أسمائهم وبعض قضاياهم ، كما أفرد بعض العلماء ـ في كُتُبهم ـ فصَلاً خاصّاً لهم تحت عنوان « أخبار المعمَّرين » وذكروا فيه بعض ما يتعلَّق بهم ، ممّا يَدلّ على أنَّ طول العمر ليس أمراً غريباً في حياة الإنسان ، بل كان شيئاً طبيعيّاً في بعض الأزمنة .

ونحن نَذكر ـ هنا ـ أسماء بعضهم ، مع رعاية الإختصار :

١ ـ النبي آدم (عليه السلام) عاش ٩٣٠ سنة .

٢ ـ النبي سليمان بن داود (عليهما السلام) عاش ٧١٢ سنة .

٣ ـ لقمان الحكيم عاش ٤٠٠٠ سنة وقيل ٤٠٠ سنة .

٤ ـ الربيع بن الضبع الفزاري عاش ٣٨٠ سنة .

٥ ـ شدّاد بن عامر عاش ٩٠٠ سنة .

٦ ـ عمر بن عامر عاش ٨٠٠ سنة .

٧ ـ قس بن ساعدة الأيادي عاش ٦٠٠ سنة .

٨ ـ عزيز مصر عاش ٧٠٠ سنة .

٩ ـ الريّان ـ والد عزيز مصر ـ عاش ١٧٠٠ سنة .

١٠ ـ لقمان العادي عاش ٥٦٠ سنة[١].

وهناك الكثيرون ـ ممّن سجّل التاريخ أسماءهم ـ الذين عاشوا مئات السنين ، ولا أرىٰ حاجة الى ذِكرهم ، وقد اكتفينا بالقرآن العظيم وقصّة نوح (عليه السلام) وفيها الكفاية .

(١) وإن أردتَ المزيد مِن التفصيل فراجع كتاب إكمال الدين ج ٢ ص ٥٢٣ وما بعده، وكتاب بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٢٥ وما بعده .

البراهين الاثني عشر

على

وجود الإمام الثاني عشر عليه السلام

الجزء الثالث

تأليف

آية الله السيد الطيب الجزائري دام ظله

مؤسسة دار الكتاب الجزائري

٤٠٦



هوية الكتاب

اسم الكتاب: .... البراهين الاثنا عشر على وجود الامام الثاني عشر

المؤلف: .... آية الله السيد طيب الموسوى الجزائرى

تحقيق: .... مؤسسة علوم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ـ قم

صفّ الحروف: .... مؤسسة دارالكتاب (قسم الكمبيوتر) تليفون: ٧٤٣٣٠٠

الفلم والزنك: .... تيزهوش

المطبعة: .... امير ـ قم

الطبعة الاولى: .... شعبان المعظم ١٤١٧ هـ. ق

العدد: .... ١٥٠٠ نسخة

الناشر: .... مؤسسة دارالكتاب (الجزائرى)

شارع ارم، قم، ايران ـ تليفون: ٧٤٢٤٢٨ فاكس: ٧٤٤٥٦٨

حقوق الطبع و الترجمة و التصوير محفوظة للمؤلف

الاعتراض الرابع

أنّ طول عمره الى الآن ـ و هو ألف سنة و أزيد ـ خلاف الطبيعة لا يقبله من أُوتي لبّاً قويماً و عقلاً سليماً .

(الجواب) أقول : انّ عدم قبول الانسان طول عمر المهدي عليه السلام ليس الّا من أجل اتكائه على عقله و علمه الناقصين ، و هو غير صحيح ، أمّا نقصان عقله فلعدم احاطته بحقائق أشياء العالم ، و أمّا نقصان علمه فدلّ عليه قوله تعالى : ﴿ **و ما أُوتيتم من العلم الا قليلاً** ﴾[1] .

(ألاترىٰ) أنّ الانسان كان يستبعد سابقاً طيرانه في الهواء و يحسبه محالاً ، و الآن صار ممكناً.

و كذلك كان يحسب محالاً أن يسمع صوتاً من بعد آلاف كيلومترات ، و الآن صار ممكناً.

و كذلك كان يحسب محالاً أن يرىٰ صورته من بعدٍ شاسع ، و الآن يراها .

و كذلك كان يحسب محالاً أن يرقى الى القمر ، و الآن قد عرج اليه و الى غير ذلك من الأمثلة .

كذلك طول حياة الانسان بل كل ذي روح محالٌ بالنسبة الى عقولنا النّاقصة و الحال انّه غير محال فى الحقيقة .

---

١ - سورة الاسراء ١٧ : ٨٥



طول الحياة ممكن عقلاً

انّا لا نعلم دقيقاً ما هو سبب تحوّل الانسان و الحيوان من الطفولية الى الشباب و من الشباب الى الهرم و من الهرم الى الموت . فهل هو مجرد كرّ الغداة و مرّ العشي كما قال الشاعر:

أشاب الصغير و أفنى الكبيـ ـر كـرّ الغـداة و مـرّ العشـي

أو هو من سبب خارجيّ كحرارة الشمس و برودة الشتاء فمن أجل تـوارد الحرارة و البرودة على جسم واحد حيّ تضمحل الخليّات الى أن تفقد عملها فترد الشيخوخة ثم الموت عليها ، فلو بقي هذا الجسم على حالة واحدة بدون أن يـطرأ عليه هذه المؤثرات المغيّرة لأمكن بقاؤه أزيد من الحياة الطبيعة .

(و من هنا) ذهب بعض خبراء علم الحياة (بيولوجيا) الى أنّ الجسم الحيواني اذا قلّلت حرارته ثم جعل في جوف كتلة من الثّلج ، ثم جعل هذه الكتلة في مكان درجة حرارته تحت الصفر لكي لا تذوب ، بقي هذا الجسم كما كان على مرّ سنين ، و لا يطرأ عليه تغيّرات الطبيعة ، و يبقى الى مدة طويلة ولو بعد مرور ألف سنة أو أزيد ، فلا يفقد حياته فيقوم حيّاً كلّما اعيدت عليه الحرارة اللازمة ، بل انّا سمعنا أ نّهم قد بدؤا هذا الاختبار عمليّاً أيضاً في أميركا .

قال في كتاب عقائد الامامية : « قد ثبت في علم الحياة و علم منافع الأعضاء و علم الطب امكان طول عمر الانسان اذا واظب على رعاية قواعد حفظ الصحّة ، و انّ موت الانسان ليس سببه أنه عمر تسعين أو ثمانين سنة أو غيرهما ، بل لعوارض تمنع عن استمرار الحياة ، و قد تمكّن بعض العلماء من اطالة عمر بعض الحيوانات ٩٠٠ ضعف عمره الطبيعي ، فاذا اعتبرنا ذلك في الانسان و قدّرنا عـمره الطـبيعي

٨٠ سنة يمكن اطالة عمره (٧٢٠٠٠) ، و من أراد تفصيل ذلك فليراجع الى مجلة الهلال الجزء الخامس من السنة ٣٨ (ص ٦٠٧ مارس ١٩٣٠) .

قد كتب الشيخ الطنطاوي الجوهري في الجزء ١٧ من تفسيره الذي سمّاه بالجواهر ص ٢٢٤ في تفسير قوله تعالى: ﴿ **و من نعمّره ننكّسه في الخلق** ﴾[1] مقالة نشرتها « مجلة كل شئ» تحكي عن امكان اطالة العمر و تجديد قوى الشيوخ ، و انّ الدكتور فوردنوف الذي طار اسمه في كل ناحية لاكطبيب ، بل كمبشّر بامكان اطالة الأعمار الى ما فوق المائة ، و بامكان عود الشباب بعد إجراء تجارب ذلك في الحيوانات .

قال : قد عملت الى الآن ٦٠٠ عملية ناجحة ، و أقول الآن عن اقتناع أنه لا ينصرم القرن العشرون حتى يمكن تجديد قوى الشيوخ و ازالة غبار السنين عن وجوههم ـ الى أن قال ـ إنّ المرء يولد مستعدّاً للحياة قرنين من حيث تركيب بنيته و نظام قواه قياساً على ما نراه في الحيوانات ، أليس الانسان حيواناً مثلها .

على أ نّه لم ينفرد في هذا الرأي فكل الذين يدرسون طبائع المخلوقات يرون رأيه و يرون طلائع النور من أبحاثهم بامكان اطالة العمر ـ الى أن قال ـ و يدعم هذا الرأي ما تراه من حياة بعض الانسان الذين عاشوا أعماراً طويلة ، إنّ هنري فيكس الانجليزي الذي ولد في ولاية بورك بانكلترا عاش ١٦٩ سنة ، و لما بلغ كان يحارب في معركة فلورفيلد .

و جون بافن البولندي عاش ١٧٥ سنة و رأى بعينه ثلاثة من أولاده يتجاوزون المائة من أعمارهم .

---

١ – يس ٣٦ : ٦٨

و يوحنّا سور الذي توفي سنة ١٧٩٧م عاش ١٦٠ سنة ، وكان بين أولاده من هو في المائة و خمس سنوات .

و طوزمابار عاش ١٥٢ سنة ، وكورتوال ١٤٤ سنة .

على أن أكثر من عاش بين البشر حديثاً على ما يعرف هو زنجيّ بلغ ٢٠٠ سنة ، و الإحصاءات تدلّ على أنّ أعمار الناس أطول في اسوج و نروج و انكلترا منها في فرانسا و ايطاليا وكل جنوب اوروبا .

و الغرض من ذلك كله أنّ مسألة طول العمر ليس من المسائل التي وقعت موقع انكار العلماء و أرباب المذاهب و الأديان ، بل قدر كل واحد منهم من طريق فنّه أو من طريق دينه و مذهبه ، فكل ما كان الانسان بقواعد حفظ صحة البدن أعرف ، يكون عمره أطول .

و من هنا قال بعض الأطباء : « الموت ينشأ عن المرض لا عن الشيخوخة »[1].

طول الحياة ثابت عقيدةً

كل من كان معتقداً بقدرة الله تعالى كما وصف به نفسه : ﴿ **انّ الله على كل شي قدير** ﴾[2] (كرّر هذا القول في القرآن ٣٥ مرة) لايشكّ فى أنّ الله سبحانه و تعالى قادرٌ على أن يطيل عمر أيّ انسان الى ما يشاء ، و لا تمنعه من ذلك قوانين الطبيعة ، لأنّه هو جاعلها و فاعلها .

---

١ – **عقائد الامامية** ج ١ ص ٢٣٨

٢ – **البقرة** ٢ : ٢٠

و قد نصّ القرآن بامكان طول حياة البشر بارادة الله الى يوم القيامة حيث يقول في قصّة النبي يونس عليه السلام ﴿ **فلولا انّه كان من المسبّحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون** ﴾[١].

و قد نطق القرآن أيضاً بوجود «عين الحياة» في هذه الدنيا، التي من شرب منها عصم من الموت الى أن يميته الله كما قال في قصة موسىٰ و الخضر: ﴿ **و اذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حُقُباً * فلمّا بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً** ﴾[٢].

قال الزمخشري فى تفسير هذه الآية: «إنّ يوشع حمل الحوت و الخبز في المكتل فنزل ليلة على شاطىء عين تسمى «عين الحياة» و نام موسىٰ فلمّا أصاب السمكة برد الماء و روحه عاشت، و قيل توضّأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش و وقع في الماء»[٣].

و من هذا (أي من قدرة الله) نرىٰ أنّ عديداً من الأنبياء قد عاشوا طويلاً مثل نوح النبي عليه السلام فانه قد عاش بعد الطوفان ألف سنة الا خمسين عاماً كما نطق به القرآن الحكيم ﴿ **فلبث فيهم ألف سنة الّا خمسين عاماً** ﴾[٤]. و قبله ثلاثمائة و خمسين سنة فعلى هذا القول يكون مبلغ عمر نوح ألفاً و ثلاثمائة سنة[٥].

و منهم من هو حيٌّ الى الآن مثل ادريس والياس و الخضر عليهم السلام قد صرّح في

---

١ - **الصافّات** ٣٧ : ١٤٤

٢ - **الكهف** ١٨ : ٦١

٣ - **تفسير الكشّاف** ج ٢ ص ٣٩٥

٤ - **العنكبوت** ٢٩ : ١٤

٥ - **قصص الانبياء للثعلبي** ص ٥١

كتب التاريخ بحياتهم[١].

وكذلك عيسى بن مريم الذي نطق القرآن الكريم بحياته في قوله تعالىٰ: ﴿ **و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبّه لهم** (الى قوله) **بل رفعه الله اليه** ﴾[٢] و قوله تعالى: ﴿ **و ان من أهل الكتاب الا ليؤمننّ به قبل موته** ﴾[٣].

فبعد ثبوت الحياة لهؤلاء المعصومين لا يبقىٰ مجالٌ للاشكال على حياة المهدي عليه السلام و هو أفضل منهم لأنه خاتم الوصيين لخاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

---

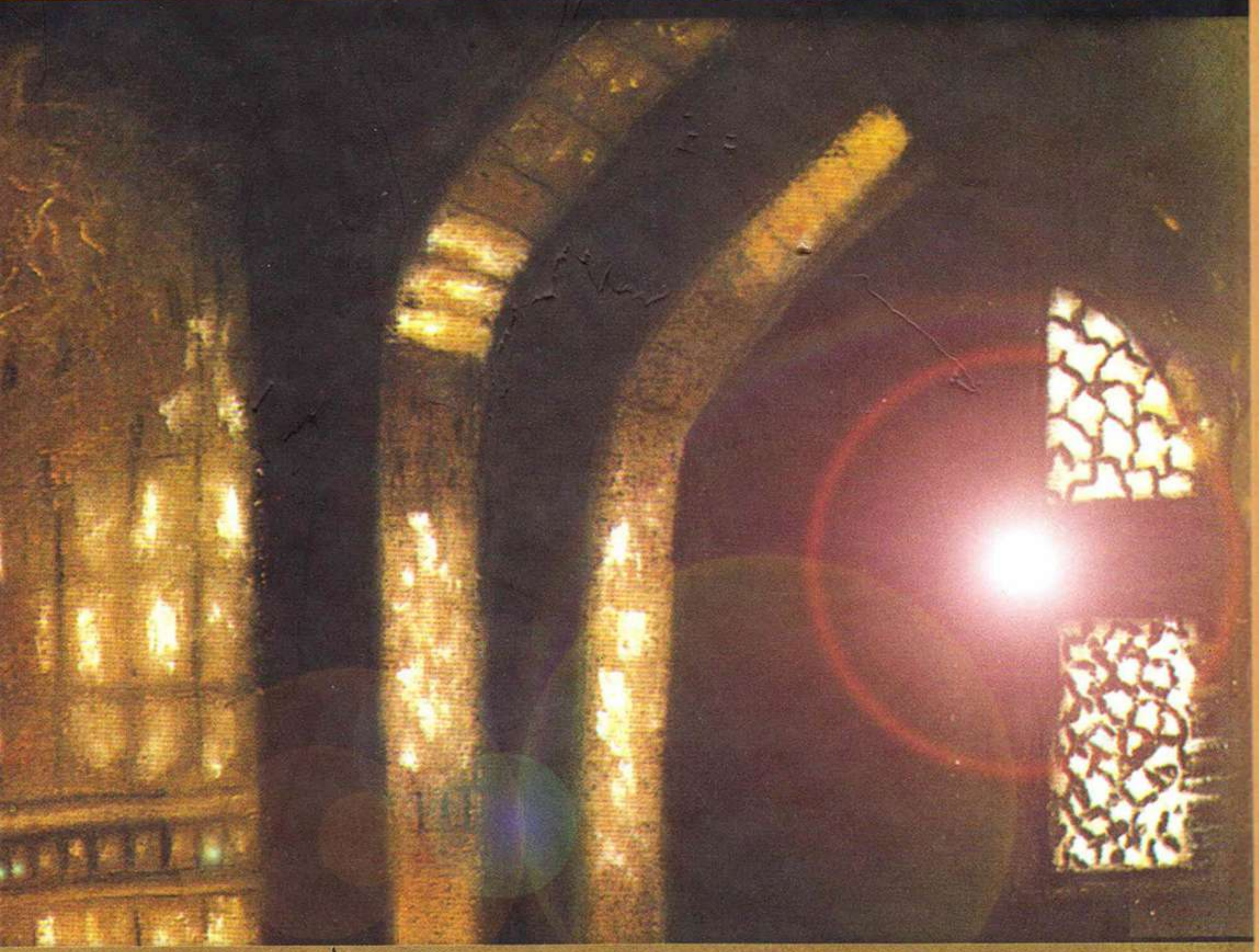
١ - المصدر ص ١٩٨ و ٢٣٠

٢ - النساء ٤ ـ ١٥٨

٣ - النساء ٤ : ١٥٩

الرجعة

على ضوء الأدلة الأربعة



العلامة المحقق
الشيخ عبد اللطيف البغدادي

الدار الإسلامية

اسم الكتاب : الرجعة على ضوء الأدلة الأربعة

المــؤلــف : سماحة الشيخ الخطيب عبد اللطيف البغدادي

النــاشــر : الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع

تاريخ الطبع: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م

جميع حقوق الطبع محفوظة



حارة حريك - شارع دكاش - مقابل مدرسة الليسيه أميكال مودرن

هاتف: ٠١/٥٥٣٨٦٣ - ٣٨٩١٦٦ /٠٣ - ص.ب: ١٤/٥٦٨٠

WWW-DARALISLAMIA.COM   INFO@DARALISLAMIA.COM

الفصل السادس

الإمام المهدي(ع) وغيبته وظهوره

إمامة المهدي عليه السلام في صباه، وطول عمره في غيبته

يا ليلة النصف من شعبان طوباكِ ... ربّ السماء بعين الطف يرعاكِ
مَن يحض فيكِ يفز في كل مكرمة ... مقره الخلد من بالذكر أحياكِ
فيكِ الزيارة للسبط الشهيد غدت ... هذا لعمركِ من إحدى مزاياكِ
حويت أفضل ما يأتي الزمان به ... لَمّا تولّدَ فيكِ الحجّة الزّاكي[1]

الإمام الثاني عشر من أئمة الهدى إمامنا الحجة المهدي عليه السلام المسمّى باسم جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمكنى بكنيته (أبو القاسم محمد) وهو ابن الحسن العسكري وأمه أمّ ولد واسمها نرجس، ويقال لها صقيل ولد عليه السلام بسر من رأى ليلة الجمعة في النصف من شهر شعبان ـ وهي ليلة من ليال الإحياء المفضّلة ـ عند طلوع الفجر سنة مائتين وخمسٍ وخمسين من الهجرة على المشهور[2] في خلافة المعتمد العباسي، ولم يخلف أبوه الحسن العسكري ولداً لا ظاهراً ولا باطناً سواه فهو واحد لأبيه.

---

(١) الآبيات للشيخ الخطيب عبد الرضا شريف(ره) أحد خطباء المنبر الحسيني وكان معاصرا لنا.

(٢) نص على ذلك شيخنا الكليني في (الكافي كما في شرحه الشافي) ج٤ ص٦٧١، ورواه الصدوق في (إكمال الدين) ص٤٠٦ والطوسي في (الغيبة)، والطبرسي في كتابه (إعلام الورى) ص٣٩٣، والمفيد في الإرشاد) وابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) ص٢٧٤ ونقل رواياتهم وغيرهم في ذلك المجلسي في (البحار) ج٥١ ص٢، ٤، ١٧، ٢٨.

وكانت وفاة أبيه سنة مائتين وستين، فعلى هذا يكون عمر الإمام المهدي حين قام بالإمامة بعد وفاة أبيه خمس سنين ـ ونظراً إلى بقائه عليه السلام حياً في غيبته حتى الآن ـ يكون عمره في هذا العام ـ الذي هو عام ألف وأربع مائة وست عشرة هجرية ـ ألفاً ومائة وإحدى وستين سنة، وهنا يرد سؤالان يفرض كل منهما نفسه السؤال الأول ما قد يقال:

هل يجوز أن يقوم أحد بالإمامة والخلافة وهو صبي صغير لم يبلغ الحلم؟ والسؤال الثاني ما قد يقال:

وهل يجوز أن يعمّر إنسان في هذه الحياة الدنيا أكثر من ألف ومائة وستين سنة؟ ولا يعلم إلى كم سيبقى في غيبته، وكم سيبقى بعد ظهوره؟

وهاتان مسألتان كلاميتان ونجيب عنهما مجملاً، أما الجواب عن السؤال الأول: هل يجوز أن يقوم أحد بالإمامة والخلافة وهو صبي لم يبلغ الحلم نقول: نعم وذلك بناءً على ما هو الحق من أنّ أمر الإمامة والخلافة بيد الله سبحانه وتعالى، وليس لأحد من الناس فيه اختيار، يجوز ذلك عقلاً ولا مانع منه مطلقاً.

أمر الإمامة بيد الله تعالى لا بيد خلقه

وكون أنّ أمر الإمامة بيد الله لا بيد خلقه يؤيده قوله تعالى في الآيتين التاليتين: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ اللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [القصص/ ٦٨ و٦٩].

وإليك مفاد الآيتين:

عند وفاة أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الحكمة، ويُسمّى القائم المنتظر.. الخ.

وقال الشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة) ص٤٥٢ عند ذكر الإمام المهدي عليه السلام نقلاً عن (فصل الخطاب): وقالوا: آتاه الله تبارك وتعالى الحكمة وفصل الخطاب في طفولته وجعله آية للعالمين كما قال تعالى: ﴿**يايَحْيَى خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**﴾ وقوله تعالى ﴿**كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾.. الخ.

وذكر هذا المعنى أيضاً ابن الصباغ في الفصول المهمة ص١٧٣ في الفصل الثاني عشر فهذا الجواب عن السؤال الأول، وأما الجواب عن السؤال الثاني: هل يجوز أن يعمر إنسان في هذه الحياة الدنيا أكثر من ألف ومائة وخمسين سنة؟

نجيب عنه بمثل ما أجبنا عن السؤال الأول فنقول: لما كانت الأعمار طولها وقصرها بيد الخالق المتعال لا بيد خلقه لا مانع من أن يطول الله عمر من شاء من عباده عند اقتضاء الحكمة إلى ألوف السنين أو مئاتها إذ لا عجز في قدرته، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر/ ١١].

طول عمر نوح والخضر وعيسى بن مريم عليهم السلام

ولنا أصدق شاهد وأعدل حاكم على ذلك طول عمر نوح والخضر وعيسى بن مريم عليهم السلام أما نوح فيصرح القرآن المجيد في أنه لبث في قومه بعد بعثته رسولاً إليهم تسعمائة وخمسين سنة قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت/ ١٤]، هذا عمره بعد بعثته بالرسالة وقبل نزول الطوفان بقومه المتمردين الظالمين، وإذاً كم كان عمره حين بُعثَ بالرسالة؟ وكم عاش بعد

إنجائه والمؤمنين معه من الطوفان؟ وكم كان مجموع عمره من ولادته إلى حين وفاته؟

تكفل بالجواب على هذه التساؤلات الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام الذي رواه شيخنا الصدوق في كتابيه (الأمالي) ص٣٠٦، وفي (إكمال الدين) ص٤٨٧ بسنده عن هشام بن سالم عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: عاش نوح ألفي سنة وخمسمائة سنة منها ثمانمائة وخمسون سنة قبل أن يبعث وألف إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم (إلى الله) وسبعمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء فمصر الأمصار، واسكن ولده البلدان ثم أنّ ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال: السلام عليك فرد نوح عليه السلام وقال له: ما جاء بك يا ملك الموت؟ فقال: جئت لقبض روحك، فقال له: دعني أتحول من الشمس إلى الظل؟ فقال له: نعم، فتحول نوح عليه السلام ثم قال: يا ملك الموت فكأنّ ما مر بي في الدنيا مثل تحولي من الشمس إلى الظل فأمض لما أُمرت به فقبض روحه.

ونقله عن الصدوق القطب الراوندي في (قصص الأنبياء)، ونقله عن المصادر الثلاثة المجلسي في (البحار) ج١١ ص٢٨٥ ـ ص٢٨٦، كما نقله أيضاً الطبرسي في (مجمع البيان).

ونقل المجلسي أيضاً في (البحار) ج١١ ص٢٨٧ عن القطب الراوندي في (قصص الأنبياء) بإسناده عن عبد العظيم الحسني قال: سمعت علي بن محمد العسكري (أي الإمام الهادي عليه السلام) يقول: عاش نوح عليه السلام ألفين وخمسمائة سنة... الخ. فهذا ما ورد عن الإمامين الصادق والهادي عليهما السلام من طرقنا في عمر نوح.

وأما ما ورد من طرق أهل السنة فقد روى السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) ج٥ ص١٤٣ قال: وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال: كان عمر

نوح عليه السلام قبل أن يبعث إلى قومه، وبعد ما بعث ألفاً وسبعمائة سنة.

وقال أيضاً: وأخرج ابن جرير (أي الطبري) عن عون بن أبي شداد قال: أن الله أرسل نوحاً عليه السلام إلى قومه وهو ابن خمسين وثلاثمائة سنة، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة سنة ورواه ابن كثير الدمشقي في (تفسيره) ج٣ ص٤٠٧ وقد نقله عن ابن أبي حاتم، وابن جرير وقال السيوطي: واخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (ذم الدنيا) عن أنس بن مالك قال: جاء ملك الموت إلى نوح عليه السلام فقال: يا أطول النبيين عمراً كيف وجدت الدنيا ولذتها قال: كرجل دخل بيتاً له بابان فوقف وسط الباب[1] هنيئة ثم خرج من الباب الآخر.

وقول ملك الموت له: (يا أطول النبيين عمراً يريد ـ على الظاهر ـ أطول عمراً من النبيين الذين سبقوه بالنبوة، إذ جاء بعده من كان أطول منه عمراً ومنهم الخضر عليه السلام.

والمستفاد من مجموع ما جاء في ترجمة الخضر عليه السلام أنه كان أحد أنبياء الله ورسله، وأنه هو الذي التقى به موسى بن عمران حينما كان معه فتاه وهو وصيه يوشع بن نون وذكر هذا اللقاء القرآن المجيد بقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف/ ٦٥].

وروى الصدوق في كتابه (علل الشرائع) ص٥٩ بسنده عن جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه عمارة عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: إن الخضر كان نبياً مرسلاً بعثه الله تبارك وتعالى إلى قومه فدعاهم إلى توحيده والإقرار بأنبيائه ورسله وكتبه وكانت آيته أنه لا يجلس على خشبة يابسة ولا أرض بيضاء إلا أزهرت خضراً (أي بنور أخضر) وإنما سمّيَ خضراً لذلك وكان

---

(١) ولعل الصحيح وسط البيت.

اسمه باليا بن ملكان بن عابر (أو عامر) بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام (أي كان بينه وبين نوح أربعة أظهر) ثم يشرح الإمام الصادق عليه السلام كيفية التقائه بموسى بن عمران وسببه، وما جرى بينهما مما ذكره القرآن المجيد، وأوضحه الإمام عليه السلام في حديثه من خرق السفينة، وقتل الغلام وإقامة الجدار، والعلل لهذه الأفعال وتأويلاتها، وإن كل ما قام به لم يفعله عن أمره وإنما فعله عن أمر الله عز وجل.

نقله عن (العلل) المجلسي في (البحار) ج١٣ ص٢٨٦ كما أنه كان معاصراً لذي القرنين وهو أحد أصحابه المقربين لديه.

فهذا الخضر عليه السلام الذي اتفق علماء الخاصة والعامة على طول عمره، وحتى نقل ابن حجر العسقلاني في (الإصابة) ج١ ص٤٣٠ باب ما ورد في تعميره عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن كتاب (المعمرين) له أنه قال: أجمع أهل العلم بالأحاديث والجمع لها أن الخضر عليه السلام أطول آدمي عمراً، وقال أيضاً ص٤٣٢.

وأما اجتماعه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعزيته لأهل بيته وهم مجتمعون لغسله فروي من طرق صحاح، ثم ذكر بعض تلك الطرق فراجع (ذكر الأخبار) التي وردت أن الخضر كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم بعده إلى الآن من ص٤٣٥ ـ ٤٣٨، من الإصابة وباب (ما جاء في بقاء الخضر بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم) ومن نقله عنه أنه رآه وكلمه من ص٤٣٨ ـ ص٤٤٧.

فالخضر عليه السلام حي موجود إلى زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد التقى به مراراً، وجاء إلى داره بعد وفاته معزياً أهل بيته به على ما ذكره الفريقان وهو حي موجود أيضاً أيام الأئمة الطاهرين من أهل بيته عليهم السلام ولا يموت إلى النفخ في الصور، أو حتى يسأل من الله الموت ولكن الله جل وعلا أخفاه على الناس كما أخفى أشخاصاً آخرين ومنهم الإمام المهدي عليه السلام في غيبته، وتدل بعض

الأخبار أنهما يجتمعان معاً ويأنس كل واحد منهما بالآخر كما سيأتي وتذكر الأخبار أيضاً سبب بقائه طيلة هذه المدة وهو أن الله أطلعه على عين الحياة وشرب منها ولذلك أبقاه الله حياً ومن تلك الأخبار ما جاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام وغيرهم فقد روى الصدوق في كتابه (إكمال الدين) ص٣٧١ بسنده عن الحسن بن علي بن فضال قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: إن الخضر عليه السلام شرب من ماء الحياة فهو حي لا يموت حتى يُنفخ بالصور، وإنه ليأتينا فيسلم علينا فيُسمع صوته ولا يُرى شخصه، وإنه ليحضر حيث ما ذكر، فمن ذكره منكم فليسلم عليه، وإنه ليحضر الموسم كل سنة فيقضي جميع المناسك ويقف بعرفة فيؤمن على دعاء المؤمنين وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته ويصل به وحدته. نقله عنه المجلسي في (البحار) ج١٢ ص٢٩٩، وج٥١ ص١٥٢.

وروى الصدوق أيضاً في كتابه (إكمال الدين) ص٣٦٨ بسنده عن عبد الله بن سليمان قال: قرأت في بعض كتب الله عز وجل إن ذا القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله حجة على عباده ولم يجعله نبياً، فمكن الله له في الأرض وآتاه من كل شيء سبباً فوصفت له عين الحياة وقيل له: من شرب منها لم يمت حتى يسمع الصيحة، وأنه خرج في طلبها حتى انتهى إلى موضع فيه ثلاثمائة وستون عيناً، وكان الخضر عليه السلام على مقدمته، وكان صالحاً وقال لهم: ليغسل كل رجل منكم حوته في عين فانطلقوا وانطلق الخضر إلى عين من تلك العيون فلما غمس الحوت في الماء حيى وانساب في الماء، فلما رأى الخضر ذلك علم أنه قد ظفر بماء الحياة فرمى بثيابه وسقط في الماء فجعل يرتمس فيه ويشرب منه، فرجع كل واحد منهم إلى ذي القرنين ومعه حوته، ورجع الخضر وليس معه الحوت فسأله عن قصته فأخبره فقال له: أشربت من ذلك الماء؟ قال: نعم، قال: أنت صاحبها، وأنت الذي خلقت لهذه العين فأبشر بطول البقاء في هذه الدنيا مع الغيبة عن الأبصار إلى النفخ في الصور.

نقله عن الصدوق أيضاً المجلسي في (البحار) ج١٣ ص٢٩٨ .

وروى القطب الراوندي في كتابه (قصص الأنبياء)، مخطوط، بسنده عن أبي جعفر (أي الباقر عليه السلام) ما يقارب هذا الحديث في مضامينه، ونقله عنه أيضاً المجلسي في (البحار) ج١٣ ص٣٠٠، وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل رواه الكثير من الخاصة والعامة: أن عين الحياة هي أول عين ماء خلقها الله تعالى وإنها هي التي انتهى إليها موسى بن عمران وفتاه (وهو يوشع بن نون) فغسل فيها السمكة المالحة فأحياها الله، ثم قال عليه السلام: وليس من ميت يصيب من ذلك الماء إلا أحياه الله، وكان الخضر على مقدمة ذي القرنين يطلب عين الحياة فوجدها الخضر وشرب منها ولم يجدها ذو القرنين. . . الخ .

وهكذا جاءت أحاديث عديدة من طرق أخرى في أن الخضر عليه السلام أطلعه الله على عين الحياة وشرب منها فكانت السبب في بقائه حياً إلى الآن وإلى ما شاء الله .

هنا نقول: إذاً ما المانع في أن الله تعالى يُطلِع الإمام المهدي أيضاً على تلك العين ويشرب منها فتكون سبباً لطول عمره من ولادته وحتى الآن وإلى ما شاء الله، والله هو مسبب الأسباب ولا يُعجُزه سبب مطلقاً .

وورد أن الحكمة والعلة في إطالة عمر الخضر عليه السلام هي الاستدلال بها على إطالة عمر الإمام المهدي عليه السلام على ما جاء هذا صريحاً عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث له بقوله في آخره وأما العبد الصالح الخضر عليه السلام فإن الله تبارك وتعالى ما طَول عُمرهُ لنبوةٍ قدرها له، ولا لكتابٍ يُنزلهُ عليه ولا لشريعةٍ ينسخ بها شريعة مَن كان قبله من الأنبياء ولا لإمامة يُلزم عباده الإقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بلى إنّ الله تبارك وتعالى لما كان في سابق علمه أن يقدر من عمر القائم عليه السلام في أيام غيبته ما يقدر، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول طَوّلَ عمر العبد الصالح من غير سبب أوجب ذلك

إلا لعلة الاستدلال به على عمر القائم عليه السلام وليقطع بذلك حجة المعاندين لئلا يكون للناس على الله حجة، راجع الحديث في (إكمال الدين) ص٣٤٠ ـ ص٣٤٤، ونقله عنه، وعن كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي المجلسي في (البحار) ج٥١ ص٢١٩، ورواه أيضاً الطبرسي في (إعلام الورى) ص٤٠٦.

وأما عيسى بن مريم فإن اليهود كانت تدّعي أنها قتلته، وكذلك النصارى تظن أن اليهود قد قتلته بالصلب، ولكن القرآن المجيد يرد إدعاء كل من اليهود والنصارى ويصرح بالتأكيد بأنه لم يقتل ولم يُصلب، بل أن الله رفعه إليه قال تعالى حاكياً زعم اليهود بقتلهم له: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ﴾ أي أن الله ألقى شبهه على غيره وقتلوا ذلك الغير دونه، ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء/ ١٥٧ ـ ١٥٩]، والذي يعطيه ظاهر هذه الآيات، وبالأخص الآية الأخيرة أنه حي عند الله وإنه لن يموت حتى يؤمن به أهل الكتاب فعيسى حي موجود منذ ولد وحتى الآن، وينزله الله من السماء عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام ويكون من أصحابه ويصلي خلفه كما جاء ذلك في الأحاديث الشهيرة من طرق الفريقين وإليك تفسير الآية الأخيرة ومعناها:

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

كلمة (إن) بمعنى ما النافية والمبتدأ محذوف منها ويدل عليه الكلام في سياق النفي والتقدير وإن أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به كقوله تعالى في آية أخرى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [مريم/ ٧١].

وتقديرها وإن أحد منكم إلا واردها، والضمير في قوله: به وقوله:

(يكون) راجع إلى عيسى بالإجماع، وأما الضمير في قوله: (قبل موته) ففيه خلاف حيث يحتمل بعض المفسرين أن الضمير راجع إلى المبتدأ المقرر وهو (أحد) وعلى هذا يكون معنى الآية وما يكون أحد من أهل الكتاب يخرج من الدنيا إلا ليؤمن قبل موته بعيسى عليه السلام أي يظهر للكتابي قبيل موته عند احتضاره ما يرى به من جزاء عقيدته وعمله ويعلم أن عيسى كان عبداً لله ورسولاً منه إلى عباده حقاً فيؤمن به حينئذ، وأن هذا الإيمان منه إيماناً لا ينتفع به، فمثله كمثلِ إيمان فرعون حين أدركه الغرق ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس/ ٩٠]، ويكون عيسى شهيداً عليهم جميعاً يوم القيامة سواء آمنوا به إيماناً ينتفع به أو إيماناً لا ينتفع به كمن آمن به عند موته فقط.

واحتمل آخرون من المفسرين أن الضمير في قوله تعالى (قبل موته) راجع إلى عيسى كبقية الضمائر، وهذا هو المؤيد بظاهر الآية الكريمة ويدل عليه السياق أيضاً حيث إنها جاءت بعد قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وبعد قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ فهذا السياق يدل على أن الآية ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أنها في مقام بيان أنه لم يمت وأنه حي بعد، وإن كل واحد من أهل الكتاب يؤمن به قبل موته عليه السلام إيماناً اختيارياً كان كمن يؤمن به بعد نزوله من السماء أيام الإمام المهدي عليه السلام ودولته الحقة، أو إيماناً اضطرارياً كمن يؤمن به عند موته فحسب وبالجملة الذي يفيده التدبر في سياق الآيات هو أنّ عيسى لم يتوف بقتل أو صلب أو موت حتف الأنف على نحوما نعرف من مصداقه نعم أن هناك بعض الآيات لا تخلو من إشعار بخلاف ذلك كقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ . . . الخ [آل عمران/ ٥٦].

ولكن المراد من التوفي هل هو الموت؟ وهذا غير معلوم لأن معنى التوفي هو أخذ الشيء أخذاً تاماً، وإنما يستعمل في بعض الآيات بمعنى الموت، لأن الله يأخذ عند الموت نفس الإنسان من بدنه، وقد أطلق سبحانه في القرآن المجيد لفظ التوفي على النوم كما أطلقه على الموت في عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الإنعام/ ٦٠]، أي يقبض أرواحكم عند النوم بالليل، و(يعلم ما جرحتم) أي ما كسبتم بالنهار، ومنها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر/ ٤٢].

أي أن الله تعالى يأخذ النفس ويقبضها عند موتها، والتي لم تمت يتوفّاها الله أي يأخذها في منامها، (فيمسك التي قضى عليها الموت) أي يبقيها محفوظة عنده، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، أي يرجعها بعد النوم إلى البدن إلى وقت أجلها المسمى عنده.. الخ.

فالتوفي معناه أخذ الشيء واستلامه، وذكر المفسرون في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ عدة أقوال: أحدها أن المراد به إني قابضك برفعك من الأرض إلى السماء من غير وفاة بموت، وهذا وارد عن الحسن وكعب، وابن جرير، وابن زيد، والكلبي، ومطر الوراق، وغيرهم، ويكون معنى التوفي أما إني قابضك ورافعك إلى السماء واقياً لم ينالوا منك شيئاً كقولهم: توفيت كذا واستوفيته أي أخذته تاماً، وإني متسلمك كقولهم: توفيت منه كذا أي تسلمته، وهذا قول لبعض المفسرين وهو المشهور.

والقول الثاني: متوفيك وفاة نوم ورافعك إليّ (أي إلى كرامتي) في النوم، وهذا وارد عن الربيع وغيره كثير قالوا: رفعه نائماً ويدل عليه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ أي يقبض أرواحكم عند نومكم، وكان

رسول الله ﷺ يقول إذا قام من النوم: أحمد الله الذي أحيانا بعد أن أماتنا، وشبه ﷺ النوم بالموت في عدة أحاديث.

والقول الثالث: إني متوفيك وفاة موت، وهذا وارد عن ابن عباس، ووهب بن منبه ولكنهما قالا: توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه. راجع تفسير الآية في (مجمع البيان) ج١ ص٤٤٩، و(مفاتيح الغيب) ج٢ ص٤٦٤، و(الدر المنثور) ج٢ ص٣٦، و(تفسير ابن كثير) ج١ ص٣٦٦ وغيرها.

وتصريح القولين الأوليين للمفسرين أن عيسى حي لم يمت وأنه رفع إلى السماء أما حالة اليقظة، أو في حالة النوم هذا التصريح تؤيده (بالإضافة إلى ظاهر الآيات ـ الأحاديث الشهيرة من طرق الفريقين التي تنص على أن عيسى حي لم يمت، ومن تلك الأحاديث قول النبي ﷺ: إن عيسى بن مريم لم يمت، وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة.

رواه الطبرسي في (مجمع البيان) م١ ص٤٤٩ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج١٤ ص٣٤٤.

ومنها ما رواه السيوطي في (الدر المنثور) ج٤ ص٢٣٩ قال: وأخرج ابن شاهين عن خصيف قال: أربعة من الأنبياء أحياء اثنان في السماء عيسى وإدريس واثنان في الأرض الخضر والياس... الخ.

ورواه بن حجر العسقلاني في (الإصابة) من طريقٍ آخر ج١ ص٤٣٩ في باب، ما جاء في بقاء الخضر بعد النبي ﷺ وفي هذا الباب روى أحاديث كثيرة في من رآه وكلمه، ومجيئه إلى أهل البيت معزياً لهم بوفاة النبي ﷺ وتصريح القول الثالث للمفسرين الوارد عن ابن عباس، ووهب، أيضاً يدل على حياته حيث إنهما قالا: توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه، وقال

الفخر الرازي في (مفاتيح الغيب) ج٢ ص٤٦٤ : وقد ثبت الدليل أنه حي، وورد الخبر أنه سينزل ويقتل الدجال، ثم أنه يتوفاه بعد ذلك.



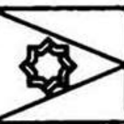


السيد نذير الحسني

الطبعة الثانية ١٤٢٩



مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية



اسم الكتاب: المصلح العالمي من النظرية إلى التطبيق

المؤلف: السيد نذير يحيى الحسني

الناشر: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية

الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ. ٢٠٠٣م

الطبعة الثانية: ١٤٢٤ هـ. ٢٠٠٤م

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

حقوق الطبع محفوظة للمؤسسة

١٤٢٤ هـ. ٢٠٠٤م



الشبهة الرابعة: طول العمر

من الشبهات التي أثيرت أمام مسألة حياة الإمام هي طـول عـمره الشـريف وقابلية خلايا جسمه على الاستمرار والمداومة والعبور إلى مئات بل الآلاف من السنين، وعدم خضوعها إلى قانون الشيخوخة الصارم الذي لا يستثني أحداً كما نشاهده عياناً.

وهذه الشبهة أصبحت ملاذاً ومرتعاً خصباً لكل أولئك الذين آمنوا بالمهدي ولم يؤمنوا بوجوده، بل أصبحت علماً يُرفع للتشهير بمن يؤمن بالموجود والمـوعود معاً، فاكتفىٰ أولئك بالمهدي بالموعود ووضعوا أمام أُعينهم حجاباً كي لا يؤمنوا بالمهدي الموجود.

وقد تطرح هذه الشبهة على مستويين: نظري، وعقلي، وبالتدبر والمناقشة لم تستقر على مستوى من تلك المستويات.

أما على المستوى النظري، فإن العلم قد أخضع خلايا الكائن الحي إلى تجارب متعددة، واستطاع أن يتوصل إلى أن بامكان العلم التلاعب بحياة تـلك الخـلايا إيجاباً أو سلباً، وهذا ما أقّره الاستاذ (ريمند بول) وهو أحد أساتذة جامعة جونس هبكتس في الولايات المتحدة الأمريكية عندما قال:

«يظهر من بعض التجارب العلمية أن أجزاء جسم الإنسان يمكن أن تحيا إلى أي وقت اريد، وعليه فمن المحتمل أن تطول حياة الانسان إلى مائة سنة وقد لا يوجد مانع من إطالتها إلى ألف سنة».

وهذا إنما يكشف عن صدق النظرية القائلة، بأن خلايا جسم الإنسـان إنـما

تتصرم نتيجة الاحتكاك بالعوامل الخارجية وليس كما قيل إن هذه الخلايا تحمل بذرة فنائها فيها، فإذا استطاع العلم أن يوّفر لخلايا الكائن الحي الموانع التي تمنع العوامل الخارجية من التأثير فيها، يمكن إطالة عمر تلك الخلايا واستمرارها.

أما على المستوى العملي، فإننا نجد مجموعة كبيرة من الناس على مرّ العصور استطاعوا البقاء في هذه الدنيا لفترات طويلة جداً، فمن يؤمن بالله والقرآن يكفيه أن يطالع حياة نوح ولقمان والخضر وعيسىٰ وغيرهم من الأنبياء الذين عمّروا طويلاً.

وأما من لا يؤمن بذلك فلا يستطيع ان ينكر الوقائع الخارجية التي تنقل من قِبل العلماء من الطرف الآخر، فقد صدر كتاب بعنوان «حقائق أغرب من الخيال» جاء فيه:

«توفي (بيريرا) في عام ١٩٥٥م في وطنه الأم مونتريا في سن ١٦٦ عاماً وقد شهد على عمره أصدقاؤه وسجلّات مجلس البلدية، وبيريرا نفسه الذي استطاع أن يتذكر بوضوح كبير معركة (كاراجينا) التي حدثت عام ١٨١٥م وفي نهاية حياته أُحضر إلى نيويورك حيث فحصه جمع من الأطباء المختصين... وجدوه محتفظاً بضغط دم رجل شاب ونبض شرياني صحيح وقلب جيد وعقل شاب»(١).

وجاء في الكتاب أيضاً أن (توماس بار) عاش ١٥٢ عاماً، وهذا مصداق من مصاديق كثيرة جداً متحققة، حتىٰ أن بعض العلماء ألّف كتاباً بعنوان «المعمرون» ذكر فيه أعمار تجاوزت خمسمائة سنة، ألا وهو السجستاني صاحب كتاب السنن.

فإذا كان الأمر متحققاً على مستوىٰ النظرية والتطبيق فلماذا الاستنكار في

---

(١) حقائق أغرب من الخيال: ص ٢٤، نشر مؤسسة الايمان، بيروت، ودار الرشيد، دمشق.

قضية رجل أُريد له أن يُغيِّر وجه المعمورة من الفساد والظلم إلى القسط والعدل.

واخيراً ننقل ما كتبه الرازي في الموضوع إذ قال:

قال بعض الإطباء، العمر الإنساني لا يزيد على مائة وعشرين سنة والآية تدل على خلاف قولهم والعقل يوافقها فإن البقاء على التركيب الذي في الانسان ممكن لذاته وإلّا لما بقي، ودوام تأثير المؤثر فيه ممكن لأن المؤثر فيه إن كـان واجب الوجود فظاهر الدوام وإن كان غيره فله مؤثر ويـنتهي إلى الواجب وهـو دائـم فتأثيره يجوز أن يكون دائماً فإذن البقاء ممكن في ذاته، فإن لم يكن فلعارض، لكن العارض ممكن العدم وإلّا لما بقي هذا المقدار، لوجود العارض المانع فظهر أن كلامهم على خلاف العقل والنقل[1].



(١) التفسير الكبير: الرازي: ج٢٥، ص ٤٢.



تأليف

آية الله العظمى المرحوم
السيد صدر الدين الصدر
"قدس الله سره"

مكتبة المنهل
طباعة . نشر . توزيع
كتب اسلامية . ادبية . علمية
قرطاسية . تجليد
الكويت

حقوق الطبع محفوظة

١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨ م

المهدي وطول عمره

قد ثبت بحسب الاخبار المتقدمة ان المهدي المنتظر الذي يظهر في آخر الزمان ويملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا هو ابو القاسم محمد بن الحسن العسكري وانه قد ولد ليلة النصف من شعبان سنة مائتين وست وخمسين ولازم ذلك طول عمره الشريف وانه قد مضى عليه حتى الآن اكثر من الف ومائة سنة والله اعلم بزمان ظهوره وأوان وفاته وطول العمر كذلك وان كان خلاف العادة الجارية بين الناس الا انه من الامور الممكنة بحسب النواميس الطبيعية وقد دل الدليل على طول عمره الشريف وحياته حتى يظهر وبعبارة اخرى ان طول عمره من الامور الممكنة وقد دل الدليل عليها فلا بد من القبول والاذعان .

تذكرة الامة ، قال : وعامة الامامية على ان الخلف الحجة موجود وانه حي يرزق ويحتجون على حياته بأدلة منها ان جماعة طالت اعمارهم كالخضر والالياس فانه لا يدري كم لهما من السنين وانهما يجتمعان كل سنة فيأخذ هذا من شعر هذا وهذا من شعر هذا وفي التوراة ان ذا القرنين عاش ثلاثة آلاف سنة والمسلمون يقولون الفا وخمسمائة وقال محمد بن اسحق عاش عوج بن عناق ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة ولد في حجر آدم وعناق امه وقتله موسى بن عمران وابوه سبحان وعاش الضحاك وهو بيورسب الف سنة وكذلك طهمورث واما من الانبياء فخلق كثير بلغوا الالف وزادوا عليها كآدم ونوح وشيث ونحوهم وعاش قيناذ

تسعمائة سنة وعاش مهلائيل ثمانمائة سنة وعاش نفيل بن عبد الله سبعمائة وعاش سطيح الكاهن واسمه ربيعة بن عمرو ستمائة سنة وعاش عامر بن الضرب خمسمائة سنة وكان حاكم العرب وكذا يتم الله بن ثعلبة وكذا سام بن نوح وعاش الحرب ابن مضاض الجرهمي اربعمائة سنة وهـو القائل كأن لم يكن بين الجحون الى الصفا وكذا ارفخشد وعاش قس بن ساعدة ثلاثمائة وثمانين سنة وعاش كعب بن جمخة (جممخ) الدوسي ثلاثمائة وتسعين سنة وعاش سلمان الفارسي مائتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمائة في خلق يطول ذكرهم . انتهى .

مطالب السؤل ، قال : واما عمره فانه ولد في ايـام المعتمد على الله خاف فاختفى والى الآن فلم يمكن ذكر ذلك اذ من غاب وانقطع خبـره لا توجب غيبته وانقطاع خبره الحكم بمقدار عمره ولا بانقضاء حياتـه وقدرة الله واسعة وحكمه والطافه بعباده عظيمة عامة ولوازم عظمـاء العلماء ان يدركوا حقائق مقدوراته وكنه قدرته لم يجدوا الى ذلـك سبيلا ولانقلب طرف تطلعهم اليه حسيرا وحده كليلا واملأ عليهم لسان عجزهم عن الاحاطة به وما اوتيتم من العلم الا قليلا وليس ببـدع ولا استغرب تعميم بعض عباد الله المخلصين ولا امتداد عمره الى حين فقد مد الله تعالى اعمار جمع كثير من خلقه من اصفيائه واوليائه ومن مطروديه واعدائه فمن الاصفياء عيسى (ع) ومنهم الخضر وخلق آخرون مـن الانبياء طالـت اعمارهم حتى جـاز كل واحد منهم الف سنة او قاربهـا كنوح (ع) وغيره واما من الاعداء المطرودين فابليس والدجال ومـن غيرهم كعاد الاولى كان فيهم من عمره ما يقارب الالف وكذلك لقمـان صاحب اليد وكل هذه لبيان اتساع القدرة الربانية في تعمير بعض خلقـه فأي مانع يمنع من امتداد عمر الصالح الخلف الى ان يظهر فيعمل ما حكم الله له به . انتهى .

لا اشكال في ان رعاية قوانين حفظ الصحة وما قرره الشرع والطب في معيشة الانسان وتدرجه في الحياة لها دخل عظيم في صحة مزاجه وطول عمره وهكذا العكس ولذا نرى ان الوفيات في هذا الزمـان في بعض الممالك اقل من السابق والمعمرين فيها اكثر من ذي قبل ، وما هو الا لشدة مراعاة مقررات حفظ الصحـة فعـلا اكثر مـن السابـق ومن هنـا اسسـت شركات مهمة تضمـن حيـاة الانسان الى امد معلوم وزمـان معـين تحت مقررات خاصة وحدود معينـة جارية على قوانـين حفـظ الصحة ، ونرى اثرها بالوجـدان خارجـا ولو لم يكن لها اثر لما توجـه اليه العقلاء .

اذا كانت رعاية قوانين حفظ الصحة ومقرراتها توجـب صحـة الانسان وطول عمره فكلما ازدادت كانت الصحة اتم والعمر اطول ومـا نشاهده بالوجدان من اختلاف الصحة وطول الاعمال وقصرها باختلاف كيفية المعيشة والمكان الذي يعيش فيه اعدل شاهد واصدق حـاكم على ما قلنا .

فلو فرض اجتماع موجبات الصحة واسباب حـال الانسـان من كل وجـه طال عمره الى ما شاء الله واصول هذه الاسباب والموجبـات ثلاثة :

الاول : يكون الانسان حيث كان مادة صرفة في صلـب ابيه وساعة انتقاله الى رحم امه ونموه في بطنهـا ورضاعه في حجرها فان رعايـة الوالدين لاسباب الصحة في هذا الدور هو الحجر الاول لحفظ صحـة ولدهما فكم من ولد وابن غالته المنية في طفوليته او زمان شبابه وليس هناك سبب الا مرض الاب او الام او عدم محافظتهما على اسباب حفظ

الصحة وترك مراعاتهما لموجباتها فالجناية في امثال المقـام من الوالدين ومسؤولية حرمان الولد من الحياة الطبيعية عليهما وليت الآباء والامهات فرضوا على انفسهم هذه الرعاية واخرجوها عن المسؤولية .

الثاني : الهواء الذي يستنشقه والطعام الذي يأكلـه والمائعـات التي يشربها والالبسة التي يلبسها والمحيط والمكان الذي يعيش فيـه فان رعاية موجبات الصحة ومقرراتها في كل واحد من هذه الامـور الخمسة من حيث الكم والكيف والعمر والسن والقوة والضعف والزمان والمكان من اهم ما يدخل في موجبات صحة الانسان وطول عمره فـكم من انسان اخترمته المنية ومات قبل اوانـه الطبيعي وفقد الحياة المحبوبة عند كل ذي حياة بالذات لعدم مراعاة ما ذكرنا في احـد هذه الامـور الخمسة وقد صرح جماعة من الاطباء والدكاترة بان اكثر الذين يموتون ليس بالاجل الطبيعي بل لعوارض خارجية نشأت من عدم رعاية مقررات حفظ الصحة في احد هذه الامور وقد نقل كلمات بعضهم حضرة الفاضل فريد وجدي افندي في دائرة المعارف .

الثالث : العوارض الخارجية والحوادث الكونية والواردات القهرية من الحر والبرد الخارجين عن المتعارف او من الآلام والاسقام او مـن المصائب والمؤلمات او من الهموم والغموم أو من الاعمال والحركات فان لها الاثر التام في حفظ صحة الانسان وانحرافها وطول عمره وقصره فكم من انسان قتله الحر والبرد او أماته شدة الألم والسقام او سلب حياتـه وقع المصائب والمؤلمات او ابلى جديده تأثير الهموم والغموم او انحـل جسمه من شدة الاعمال والحركات ، ولولا ذلك لعاش طويلا .

لو فرض الانسان رعاية مقررات حفظ الصحة في الاصول الثلاثـة المتقدمة فما هو المانع من ان يعيش الى ما شاء الله ويتنعم في هـذه الحياة مئات من السنين بل ألوفا . اني كلما افكر في هـذا الموضـوع

وأراجع بعض الكتب المناسبة لا أرى مانعا ودليلا يدل على الخلاف بل ربما كان الواجد ان يشهد بوجود المقتضى فضلا عن عدم المانع .

ان اسرار الحياة والقوى المودعة في الانسان لم تزل غامضة خفية والطب مع رقيه اليوم لم يقف عليها تماما ولم يعرف حقيقتها على ما هي عليها كما صرح به بعض احبابنا من الاطباء .

قال : وطالما دعيت الى عيادة مريض فرأيته بحسب القواعد الطبيــة قريبا من الموت بل احتمال حياته واحد في المائة فخرجت من عنده وانــا آيس من حياته وعدته ثانيا بعد ساعات او في اليوم الثاني فرأيته صحيحا واحتمال الموت فيه واحد في المائة وربما دعيت الى عيادة مريض فشاهدت عكس الاول . نعم ، ان طول عمر الانسان مئات من السنين خلاف العادة بمعنى ان اجتماع موجبات حفظ الصحة من جميع الجهات والخصوصيات التي اشرنا اليها سابقا امر نادر جدا ولم يتفق لغــالب الناس في غالــب الامكنة في غالب الازمنة ولكن لو فرض اجتماعها فطول العمر بلغ ما بلغ جاريا على وفق العادة والنواميس الطبيعية والمخالفة انما هي في اجتماع الاسباب لا في موجبات طول العمر .

وانت اذا احطت خبرا بما ذكرنا ووقفت على ما سيأتي من مقــال المقتطف تعرف ان قوله سبحانه وتعالى في سورة الصافات في ذيــل قصة يونس على نبينا وآله وعليه السلام (فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون) جرى مجرى العادة وانــه يمكن ان يعيش الانسان بل الحيوان في قعر البحر الى يوم البعث كيف لا وان الله على كل شيء قدير .



٥١٥

أحاديث أهل البيت عليهم السلام

من مسند أحمد بن حنبل ٢٤١ هـ

تأليف

السيد حسن الحسيني آل المجدد الشيرازي

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

الكتاب: أحاديث المهدي (ع) من مسند أحمد بن حنبل

إعداد: السيد محمّد جواد الحسيني الجلالي

الموضوع: حديث **اللغة:** عربي

عدد الأجزاء: جزء واحد **عدد الصفحات:** ٧٨ صفحة

الناشر: مؤسّسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

الطبع: مطبعة مؤسّسة النشر الاسلامي

الطبعة: الخامسة **المطبوع:** ٢٠٠٠ نسخة

التاريخ: ١٤٠٩هـ.ق

الباب الخامس والعشرون*

في الدلالة على جواز بقاء المهدي عليه السلام حيًّا باقيًا منذ غيبته الى الآن

ولا امتناع في بقائه بدليل بقاء عيسى والياس والخضر من اولياء الله تعالى وبقاء الدجال وابليس الملعونين من اعداء الله تعالى، وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة، وقد اتفقوا عليه ثم انكروا جواز بقاء المهدي وها انا ابين بقاء كل واحد منهم فلا يسمع بعد هذا لعاقل انكار جواز بقاء المهدي عليه السّلام.

وانما انكروا بقاءه من وجهين «احدهما» طول الزمان «والثاني»: انه في سرداب من غير أن يقوم احد بطعامه وشرابه وهذا ممتنع عادة.

قال مؤلف الكتاب محمد بن يوسف بن محمد الكنجي: بعون الله نبتدئ. واياه نستكفي وماتوفيقي إلا بالله جلاله:

أما عيسى عليه السّلام، فالدليل على بقائه قوله تعالى: «وَإِنَّ من أَهْلِ الكتاب إِلّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ» (١) ولم يؤمن به احد مذ نزول هذه الآية الى

(١) سورة النساء الآية ١٥٩.

يومنا هذا، ولابد ان يكون ذلك في آخرالزمان.

وَأمّاالسنة فمارواه مسلم في صحيحه عن زهيربن حرب باسناده عن النواس بن سمعان في حديث طويل في قصة الدجال ـ قال: فينزل عيسى بن مريم عندالمنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين (١) واضعاكفيه على أجنحة ملكين(٢).وايضاً ماتقدم من قوله صلّى الله عليه وآله: «كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم»(٣).

واما الخضر والياس: فقد قال ابن جرير الطبري: الخضر والياس باقيان يسيران في الأرض.

وايضاً:فمارواه مسلم في صحيحه كما اخبرنا الحافظ محمد بن ابي جعفر القرطبي والعدل الحسن بن سالم بن علي، وغيرهما بدمشق قالوا: اخبرنا ابوعبدالله محمد بن علي بن صدقة، اخبرنا ابوعبدالله محمدبن الفضل، اخبرنا ابوالحسين عبدالغافر، اخبرنا ابو احمد محمد، اخبرنا ابراهيم بن محمد، اخبرنا الحافظ ابوالحسين مسلم بن الحجاج، حدثني عمروالناقد، والحسن الحلواني، وعبد بن حميد قالوا: حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد، حدثنا ابوصالح، عن ابن شهاب، اخبرني عبيدالله بن عبدالله بن عتبة: أن ابا سعيدالخدري قال: حدثنا رسول الله صلّى الله عليه وآله يوما حديثاً طويلاً عن الدجال فكان فيما حدثنا قال: يأتي وهو محرّم عليه ان يدخل نقاب

(١) المهرودتين: بالدال المهملة والمعجمة وهما ثوبان مصبوغان بورس ثم بزعفران.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ج١٨ ص٦٧ ضمن حديث (كنزالعمال ١٨٧:٨،فيض القدير١٧:٦ «أ»)

(٣) قد سبق هذاالحديث في الباب السابع من هذاالكتاب (مسند احمد بن حنبل٢: ٣٣٦ وج٣: ٣٦٧، تذكرة الخواص: ٣٦٤ «أ»).

المدينة فينتهي الى بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج اليه يومئذ رجل هو خيرالناس ـأو: من خير الناس- فيقول له: اشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلّى الله عليه وآله حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم ان قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا. فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ماكنت فيك قط أشد بصيرة من الآن، قال: فيريد الدجال أن يقتله ثانيا فلا يسلط عليه.

قال ابواسحاق -وهوابراهيم بن محمدبن سعد- :يقال أن هذاالرجل هوالخضر.

قلت: هذا لفظ مسلم في صحيحه(١) كما سقناه سواء.

واما الدليل على بقاء الدجال: اخبرنا ابواسحاق ابراهيم بن بركات ابن ابراهيم، قال: اخبرنا المقري ابوالفضل عتيق بن ابي الفضل بن سلامة السلماني، قال: اخبرنا محدث الشام الحافظ ابوالقاسم بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر، اخبرنا فقيه الحرمين ابوعبدالله محمد بن الفضل الصاعدي الفراوي، اخبرنا ابوالحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي اخبرنا ابو احمد محمد بن عيسى بن عمرويه الجلودي، اخبرنا ابواسحاق ابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه، اخبرنا الحافظ ابوالحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابوري، حدثنا عبدالوارث بن عبدالصمد بن عبدالوارث، وحجاج بن الشاعر، وكلاهما عن عبدالصمد.واللفظ لعبدالوارث بن عبدالصمد ـقال: حدثني ابي عن جدي عن الحسين بن ذكوان،حدثنا ابن بريدة،حدثنا عامر بن بن شراحيل الشعبي -شعب همدان- انه سأل فاطمة بنت قيس اخت الضحاك بن قيس وكانت من

---

(١) شرح صحيح مسلم ج١٨ ص٧١.

المهاجرات الأول ـ فقال: حدثيني حديثاً سمعتيه من رسول الله صلّى الله عليه وآله لا تسنديه الى أحد غيره، فقالت: لئن شئت لافعلن فقال لها: أجل حدثيني فقالت: نكحت ابن المغيرة وهو من خيار شباب قريش يومئذ فاصيب في أول الجهاد مع رسول الله صلّى الله عليه وآله فلما تأيمت(١) خطبني عبدالرحمن بن عوف في نفر من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وخطبني رسول الله صلّى الله عليه وآله على وليّه اسامة بن زيد، وكنت قد حُدّثت أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: من احبني فليحب اسامة. فلما كلّمني رسول الله صلّى الله عليه وآله فقلت: امري بيدك فانكحني من شئت. فقال: انتقلي الى أم شريك ـ وأم شريك امرأة غنية من الانصار عظيمة النفقة في سبيل الله تنزل عليها الضيفان ـ فقلت: سأفعل. قال: لا تفعلي إن ام شريك كثيرة الضيفان، فاني اكره أن يسقط عنك خمارك وينكشف الثوب عن ساقيك فيرى القوم منك بعض ما تكرهين، ولكن انتقلي الى ابن عمك عبدالله بن عمرو بن أم مكتوم ـ وهو رجل من بني فهر ـ فهر قريش ـ وهو من البطن الذي هي منه ـ فانتقلت اليه فلما انقضت عدتي سمعت نداء المنادي ـ منادي رسول الله صلّى الله عليه وآله ـ ينادى الصلاة جامعة فخرجت الى المسجد فصليت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله فلما فرغ رسول الله صلّى الله عليه وآله من صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال: ليلزم كل انسان مصلّاة ثم قال: هل تدرون لم جمعتكم؟ فقالوا: الله ورسوله اعلم. قال: اني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلا نصرانياً فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثاً وافق الذي كنت احدثكم عن المسيح الدجال.

(١) اي صرت ايماً بلا زوج..

حدثني: أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهراً في البحر ثم ارفوا إلى جزيرة في البحر حين مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة اهلب كثير الشعر لايدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا: ويلك ما انت؟ قالت: أنا الجساسة قالوا: وما الجساسة؟ قالت: ايها القوم انطلقوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق. قال: لما سمّت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانه قال: انطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه اعظم انسان رأيناه خلقاً وأشده وثاقا مجموعة يداه الى عنقه مابين ركبتيه الى كعبيه بالحديد قلنا: ويلك ما انت؟ قال: قد قدرتم على خبري فاخبروني ما انتم؟ قلنا: نحن اناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم(١) فلعب بنا الموج شهراً، ثم ارفينا الى جزيرتك هذه فجلسنا في اقربها فدخلنا الجزيرة، فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر لايدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك ما انت؟ فقالت: انا الجساسة قلنا: ما الجساسة؟ قالت: اعمدوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق فاقبلنا اليك سراعاً وفزعنا منها ولم نأمن ان تكون شيطانة فقال: اخبروني عن نخل ببستان قلنا: عن اي شأنها تستخبر؟ قال: اسألكم عن نخلها هل يثمر؟ فقلنا له: نعم.قال: أما انه يوشك ان لايثمر، قال: اخبروني عن بحيرة: الطبرية. قلنا: عن اي شانها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء قال: اما ان ماءها يوشك أن يذهب، قال: اخبروني عن عين زغر(٢)

---

(١) الغلمة: شهوة الضراب،وغلم العير:هاج من شدة،واستعماله في البحر من باب الاستعارة أي هاج وجاوز حده المعتاد.

(٢)عين زغر: بزاي وغين معجمتين وراء مهملة بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام.

قالوا: عن اي شانها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ هل يزرع اهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم هي كثيرة الماء واهلها يزرعون من مائها، قال: اخبروني عن نبي الاميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج مهاجراً من مكة ونزل يشرب قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فاخبرناه انه ظهر على من يليه من العرب فاطاعوه، قال لهم: قد كان ذاك؟ قلنا: نعم، قال: اما ان ذاك خير لهم أن يطيعوه واني مخبركم عني انا المسيح الدجال، واني اوشك أن يؤذن لي في الخروج فاخرج فاسير في الارض فلا ادع قرية إلا هبطتها في اربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان عليّ كلتاهما، كلّما اردت ان ادخل واحدةً منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها وان على كل نقب(١) منها ملائكة يحرسونها، قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة يعنى المدينة الأهل كنت احدثكم ذلك؟ فقال الناس: نعم. فانه اعجبني حديث تميم انه وافق الذي كنت احدثكم عنه وعن المدينة ومكة، إلّا انه في الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو؟ وأومى بيده الى المشرق قال: فحفظت هذا من رسول الله صلّى الله عليه وآله.

قلت: هذا حديث صحيح متفق على صحته، وهذا سياق مسلم وهو صريح في بقاء الدجال.

واما صاحب الكشف المخفي في مناقب المهدي(٢) فقد استدل على

---

(١) النيقب: الطريق.

(٢) نقل عنه السيد ابن طاووس أيضاً في الطرايف وعنه في البحار ج٥١ ص١٠٥ وثمة تعريف بفهرسة احاديثه فراجعه.

وجود الدجال بحديث ابن الصياد وانه رآه الرسول صلّى الله عليه وآله وحلف عمر وقال: والله انك الدجال.وهو حديث صحيح متفق عليه، لكن لايدل على وجود الدجال لأن الرسول صلّى الله عليه وآله لم يجزم على ابن الصياد انه الدجال بدليل قوله صلّى الله عليه وآله لعمر ان يكنه فلا تسلط عليه، و ان لم يكنه فلاخير لك في قتله، واما يمين عمر فانه كان على غلبة الظن، والذي يدل على ان ابن الصياد لم يكن هوالدجال انه اخبر صلّى الله عليه وآله انه مكتوب بين عينيه «ك ف ر» ولم ينقل عن ابن الصياد ذلك.

والجمع بين الحديثين عندي هو ما اخبرني به الحافظ مفتي الشام ابوعمرو عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان المعروف بابن الصلاح بدمشق، والحافظ مؤرخ العراق ابوعبدالله محمدبن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار ببغداد بالمدرسة الشريفة، قالا: اخبرنا الشيخ المقرئ ابوالحسن بن محمد بن علي الطوسي قراءة عليه، ونحن نسمع بنيسابور اخبرنا ابوعبدالله محمد بن الفضل، اخبرنا ابوالحسين عبدالغافر، اخبرنا ابواحمد محمداخبرنا ابواسحاق ابراهيم، اخبرنا ابوالحسين مسلم، حدثني زهير بن حرب واسحاق بن منصور قالا: حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن مالك ،عن ابي الزناد، عن الاعرج، عن ابي هريرة، عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله صلّى الله عليه وآله (١).

فلاوجه للجمع بينهما عندي الا هذا وان يكن ابن الصياد أحد

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ج١٨ص٤٥.

الـدجـالين فـيـجـب حمـلـه عـلـى هذا لـئلا يلـزم الـنـقض في كـلام الرسول صلّى الله عليه وآله لأنه رأى ابن الصياد قال: اخبرني تميم الداري انه رآه.

واما الذي استدل على وجود الدجال بحديث ابن الصياد فقد زل ولم يكن علم الحديث من فنه وقد قال صلّى الله عليه وآله فيما رواه مسلم في صحيحه «ليس ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق اكبر من الدجال»(١).

واخبرنا محمد بن احمد الحافظ الامام بجامع دمشق وغيره، اخبرنا ابوعبدالله محمد بن علي، اخبرنا ابوعبدالله محمد بن الفضل، أخبرنا ابوالحسين عبدالغافر، اخبرنا ابواحمد محمد، اخبرنا ابو اسحاق ابراهيم، اخبرنا ابوالحسين مسلم الحافظ، حدثنا منصور بن ابي مزاحم، حدثنا يحيى بن حمزة عن الاوزاعي، عن اسحاق بن عبدالله عن عمه انس بن مالك أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة.

قلت: هذا حديث متفق على صحته وهذا سياق مسلم(٢).

واما الدليل على بقاء ابليس اللعين فآي الكتاب نحو قوله تعالى: «قالَ ربِّ أنظِرْني إلى يَوم يُبْعَثُونَ قالَ إنَّكَ مِنَ المُنْظَرين» (٣)

و اما بقاء المهدي عليه السلام: فقد جاء في الكتاب والسنة.

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ج١٨ ص٨٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ج١٨ ص٨٥.

(٣) سورة الاعراف الآية ١٥.

اما الكتاب: فقد قال سعيد بن جبير في تفسير قوله عزوجل: «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّين كُلِّهِ وَلَوْكَرِهَ الْمُشْرِكُون»(١) قال: هوالمهدي من عترة فاطمة عليها السلام.

وأما من قال: انه عيسى عليه السلام فلا تنافي بين القولين اذ هو مساعد للامام على ماتقدم.

و قد قال مقاتل بن سليمان ومن شايعه من المفسرين في تفسير قوله عزوجل: «وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ» (٢). قال: هوالمهدي عليه السلام يكون في آخرالزمان و بعد خروجه يكون قيام الساعة واماراتها.

واما السنة: فما تقدم في كتابنا من الاحاديث الصحيحة الصريحة.

واما الجواب عن طول الزمان: فمن حيث النص والمعنى.

أما النص: فما تقدم من الاخبار على انه لابد من وجود الثلاثة في آخر الزمان وانهم ليس فيهم متبوع غير المهدي، بدليل انه امام الأمة في آخرالزمان وان عيسى عليه السّلام يصلي خلفه كما ورد في الصحاح ويصدقه في دعواه والثالث هوالدجال اللعين وقد ثبت انه حي موجود.

واما المعنى في بقائهم لايخلو من احد قسمين، اما ان يكون بقاؤهم في مقدور الله أولايكون، ومستحيل ان يخرج عن مقدور الله، لأن من بدأ الخلق من غير شيء وأفناه ثم يعيده بعدالفناء لابد أن يكون البقاء في مقدوره.

واذا ثبت ان البقاء في مقدوره تعالى فلا يخلو ايضاً من قسمين، اما ان

(١) سورة التوبة الآية ٣٣ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٦١.

يكون راجعا الى اختيار الله تعالى او الى اختيار الامة، ولا يجوز ان يكون الى اختيار الامة لأنه لوصح ذلك منهم لصح من احدنا ان يختار البقاء لنفسه ولولده، وذلك غير حاصل لنا غير داخل تحت مقدورنا، فلابد من أن يكون راجعاً الى اختيارالله سبحانه، ثم لايخلو بقاء هؤلاء الثلاثة من قسمين ايضاً، اما ان يكون لسبب اولا يكون لسبب فان كان لغير سبب كان خارجاً عن وجه الحكمة، وماخرج عن وجه الحمكة لايدخل في افعال الله تعالى، فلابد من أن يكون لسبب تقتضيه حكمة الله تعالى.

قلت: وسنذكر بقاء كل احد منهم على حدته.

أما بقاء عيسى عليه السّلام: لسبب وهو: قوله تعالى «وَإِنْ مِن أَهْلِ الكِتَابِ إِلاّ لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ» ولم يؤمن به منذ نزول هذه الآية الى يومنا هذا احد فلابد أن يكون هذا في آخر الزمان.

واما الدجال اللعين: لم يحدث حدثا مذ عهد الينا رسول الله(ص) انه خارج فيكم الأعور الدجال وان معه جبال من خبز تسير معه الى غير ذلك من آياته، فلابد أن يكون ذلك في آخرالزمان لامحالة.

واماالامام المهدي عليه السّلام: مذ غيبته عن الابصار الى يومنا هذا لم يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما تقدمت الاخبار في ذلك، فلابد أن يكون ذلك مشروطاً بآخرالزمان، فقد صارت هذه الاسباب لاستيفاء الأجل المعلوم، فعلى هذا اتفقت اسباب بقاء الثلاثة لصحة أمر معلوم في وقت معلوم وهما صالحان نبي وامام، وطالح عدوالله وهوالدجال، وقد تقدمت الاخبار من الصحاح بما ذكرناه في صحة بقاءالدجال مع صحة بقاء عيسى عليه السّلام فما المانع من بقاء المهدي عليه السلام؟! مع كون بقائه باختيار الله تعالى وداخل تحت مقدوره سبحانه وهوآية الرسول(ص)، فعلى هذا هو

أولى بالبقاء من الا ثنين الاخرين، لأنه اذا بقي المهدي عليه السلام كان امام آخرالزمان يملأالارض قسطاً وعدلاً على ماتقدمت الأخبار فيكون بقاؤه مصلحة للمكلفين ولطفاً لهم في بقائه من عند رب العالمين.

والدجال اذا بقي فبقاؤه مفسدة للعالمين، لماذكر من ادعائه الربوبية وفتكه بالامة، ولكن في بقائه ابتلاء من الله تعالى ليعلم المطيع منهم والعاصي والمحسن من المسيء والمصلح من المفسد وهذا هوالحكمة في بقاء الدجال.

واما بقاء عيسى عليه السّلام فهوسبب ايمان اهل الكتاب للآية والتصديق بنبوة سيدنا محمد سيدالانبياء وخاتم النبيين ورسول رب العالمين صلّى الله عليه وآله ويكون بيانا لدعوى الامام عند اهل الايمان ومصدقا لما دعا اليه عند اهل الطغيان، بدليل صلاته خلفه ونصرته إيّاه(١) ودعائه إلى الملة المحمدية التي هوإمام فيها فصار بقاء المهدي عليه السلام اصلا، وبقاء الا ثنين فرعا على بقائه، فكيف يصح بقاء الفرعين مع عدم بقاء الاصل لهما؟!!، ولو صح ذلك لصح وجود المسبب من دون وجود السبب، وذلك مستحيل في العقول.

وانما قلنا ان بقاء المهدي اصل لبقاء الا ثنين لأنه لايصح وجود عيسى عليه السّلام بانفراده غير ناصر لملة الاسلام وغير مصدق للامام، لأنه لوصح ذلك لكان منفرداً بدولة ودعوة، وذلك يبطل دعوة الاسلام من حيث اراد ان يكون تبعاً فصار متبوعا، واراد ان يكون فرعا فصار اصلا، والنبي صلّى الله عليه وآله قال: لانبي بعدي، وقال صلّى الله عليه وآله: الحلال ما

(١) في المخطوطة: وتصديقه اياه وفي الهامش في نسخة: وبيعته اياه.

احل الله على لساني الى يوم القيامة، والحرام ما حرم الله على لساني الي يوم القيامة، فلابد من ان يكون عوناً وناصراً ومصدقا واذا لم يجد من يكون له عونا ومصدقا لدعواه لم يكون لوجوده تأثير، فثبت ان وجود المهدي عليه السّلام اصل لوجوده، وكذلك الدجال اللعين لايصح وجوده في آخرالزمان ولا يكون للامة امام يرجعون اليه ووزير يعولون عليه، لأنه لوكان الأمر كذلك لم يزل الاسلام مقهوراً ودعوته باطلا، فصار وجود الامام اصلا لوجوده على ما قلنا. واما الجواب عن انكارهم بقاءه في سرداب(١)من غيراحديقوم بطعامه وشرابه فعنه جوابان:

احدهما: بقاء عيسى عليه السّلام في السماء من غير أحد يقوم بطعامه وشرابه وهو بشرمثل المهدي عليه السّلام فكما جاز بقاؤه في السماء والحالة هذه فكذلك المهدي عليه السّلام في السرداب.

فان قلت: إن عيسىَ عليه السّلام يغذيه رب السماء من خزائن غيبه.

قلت: لا تفنى خزائنه بانضمام المهدي عليه السّلام اليه في غذائه.

فان قلت: ان عيسى عليه السّلام خرج عن طبيعة البشرية، قلت: هذه دعوى باطلة لأنه تعالى قال لأشرف الأنبياء ((قُلْ إِنَّما أَنَابَشَرٌ مِثْلُكُمْ))(٢).

فان قلت: اكتسب ذلك من العالم العلوي قلت: هذا يحتاج الى توقيف ولا سبيل اليه.

والثاني: بقاء الدجال في الدير على ما تقدم بأشدالوثاق مجموعة يداه الى عنقه مابين ركبتيه الى كعبيه بالحديد، وفي رواية في بئر موثوق، واذا

---

(١) لم تقل الشيعة ببقائه في سرداب وقد رد عليه الاربلي في كشف الغمة كما سيأتي.

(٢) سورة الكهف الآية ١١٠

كان بقاء الدجال ممكناً على الوجه المذكور من غير أحد يقوم بطعامه وشرابه فما المانع من بقاء المهدي مكرّماً من غير الوثاق!؟ اذ الكل في مقدور الله تعالى فثبت انه غير ممتنع شرعاً ولا عادة (١) هذا آخر ابواب كتاب البيان وهذا آخر الباب الخامس والعشرين(٢)منه،(٣) والحمدلله اولاً وآخراً وصلىّ الله على النبيّ محمّدوآله وسلّم.

---

(١) قال علي بن عيسى الاربلي في كتابه كشف الغمة ص ٣٣٠ هذه الابحاث لا تثبت لنا حجة ولا تقطع الخصم ولا تضره لمايرد عليها من الايرادات، وتطويله في اثبات بقاء المسيح عليه السّلام وابليس والدجال فهي مثل الضروريات عند المسلمين فلا حاجة الى التكلف لتقريرها. والجواب المختصر ماذكرته آنفا وهو ان النقل قد ورد به من طرق المؤالف والمخالف والعقل لايحيله فوجب القطع به فأمّاقوله ان المهدي عليه السّلام في سرداب وكيف يمكن بقاؤه من غير أحد يقوم بطعامه وشرابه فهذا قول عجيب وتصور غريب فان الذين انكروا وجوده عليه السّلام لايوردون هذا والذين يقولون بوجوده لايقولون انه في سرداب، بل يقولون انه حي موجود يحل ويرتحل ويطوف في الارض ببيوت وخيم وخدم وحشم وابل وخيل وغير ذلك وينقلون قصصا في ذلك واحاديث يطول شرحها».

(٢) في المخطوطة: من الكتاب المذكور. وبعده مايلي: والحمدلله اولاً وآخراً بيدالحقير الفقيرعلي بن المرحوم زين العابدين البارجيني اليزدي بسرعة الكتابة في مدة يومين والحمدلله على التوفيق. في الثاني عشر من شهر محرم الحرام سنة ١٣٢٧ في مشهد الحسين عليه السلام.

(٣) الى هنا تم ما هومطبوع من كتاب البيان ويظهر من كلام تلميذ المؤلف الشيخ الجليل علي بن عيسى الاربلي رحمه الله ان هناك اخباراًذكرها المؤلف بعد هذا الكلام فقد قال في ص ٣٣٠ من كتابه كشف الغمة «ثم ذكر-اي المؤلف-بعد هذه الابحاث خبرسطيح (١) وأنا اذكر منه موضع الحاجة اليه ومقتضاه انه يذكر الذي جدن الملك (٢) وقايع وحوادث تجري وزلازل ←

---

(١) سطيح: اسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي وهو من غسان، ولد وليس له مفصل ولاعظم الاالجمجمة فكان يدرج كمايدرج الثوب ويقال ان وجهه كان في صدره، وكان في عصره من اشهرالكهان واخباره في السير والتاريخ كثيرة، وهو من المعمر بن ولد زمن سيل العرم ومات يوم ولادة النبي صلّى الله عليه وآله.

وكانت الملوك تفزع اليه في تفسير الحوادث وأخبار الملاحم، وهوصاحب تفسير الحوادث الغريبة التي كانت ليلة ميلاد رسول الله صلّى الله عليه وآله فسرها لابن اخته عبدالمسيح بن بقيلة الغساني حين قدم عليه الشام من قبل كسرى حين اضطرب لارتجاس ايوانه وسقوط اربع عشرة شرفة منه في ليلة مولد النبي صلّى الله عليه وآله والخبر طويل ومسطور في كتب السيرة والتاريخ.

(٢) هو ذو جدن علس بن اليشرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قيل من اقيال حمير، وهو اول من غنى باليمن ولذلك لقب بسببه، لأن الجدن حسن الصوت.

من فتن، ثم انه ذكر خروج المهدي عليه السلام وانه يملأ الارض عدلا وتطيب الدنيا واهلها في ايام دولته عليه السلام، وروي عن الحافظ محمد بن النجار انه قال هذا حديث من طوالات المشاهير الذي كذا ذكره الحفاظ في كتبهم ولم يخرج في الصحيح آخر البيان في حديث صاحب الزمان عليه السلام والذي ذكر الاربلي رحمة الله قدلا يساعد عليه السياق فان المؤلف ختم كلامه صريحاً كعادة المؤلفين في نهاية كتبهم ومنهم المؤلف في كتابه (كفاية الطالب) ولعلّه ألحقّ به بعد نهايته أخباراً هي التي الاربلي فذكرها.

واتماما للفائدة نذكر خبر سطيح حسب ما ورد في كتاب بحار الانوار ج١٣ «في باب نادر فيما اخبر به الكهنة واضرابهم» فقد جاء روى البرسي في مشارق الانوار عن كعب بن الحرث قال: ان ذا جدن الملك ارسل الى سطيح لأمر شك فيه، فلما قدم عليه اراد ان يجرب علمه قبل حكمه فخبأ له ديناراً تحت قدمه، ثم أذن فدخل فقال له الملك: ما خبأت لك يا سطيح؟ فقال سطيح: خلفت بالبيت والحرم، والحجر الأصم، والليل اذا اظلم والصبح اذا تبسم وبكل فصيح وأبكم لقد خبأت لي ديناراً بين النعل والقدم. فقال الملك: من اين علمك هذا يا سطيح؟ فقال: من قبل اخ لي جني ينزل معي أنّى نزلت.

فقال الملك: اخبرني عما يكون في الدهور؟

فقال سطيح: اذا غارت الاخيار، وقادت الاشرار، وكذب بالاقدار، وحمل المال بالاوقار وخشعت الأبصار لحامل الأوزار، وقطعت الارحام وظهرت الطغام المستحلي الحرام في حرمة الاسلام، واختلفت الكلمة وخفرت الذمة، وقلت الحرمة، وذلك عند طلوع الكوكب والذي يُفزع العرب، وله شبيه الذنب، فهنالك تنقطع الأمطار، وتجف الانهار وتختلف الأعصار وتغلو الاسعار في جميع الاقطار، ثم تقبل البربر بالرايات الصفر على البراذين البترحتى ينزلوا مصر، فيخرج رجل من ولد صخر، فيبدل الرايات السود بالحمر فيبيح المحرمات، ويترك النساء بالثدايا معلقات، وهو صاحب نهب الكوفة فرب بيضاء الساق مكشوفة، على الطريق مردوفة، بها الخيل محفوفة، قتل زوجها، وكثر عجزها، واستحل فرجها فعندها يظهر ابن النبي المهدي وذلك اذا قتل المظلوم بيثرب وابن عمه في الحرم، وظهر الخفي فوافق الوشمي فعند ذلك يقبل المشوم بجمعه الظلوم، فتظاهر الروم بقتل القروم، فعندها ينكسف كسوف اذاجاء الزخوف وصف الصفوف، ثم يخرج ملك من صنعاء اليمن، ابيض كالقطن اسمه حسين أو حسن، فيذهب بخروجه غمر الفتن، فهناك يظهر مباركا زكيا وهاديا مهديا وسيداً علويا فيفرح الناس اذا أتاهم بمن الله الذي هداهم، فيكشف بنوره الظلماء، ويظهر به الحق بعد الخفاء، ويفرق الاموال في الناس بالسواء، ويغمد السيف فلا يسفك الدماء، ويعيش الناس في البشر والهناء، ويغسل بماء عدله عين الدهر من القذى، ويرد الحق على اهل القُرى، ويكثر في الناس الضيافة والقرى، ويرفع بعدله الغواية والعمى كأنه كان غبار فانجلى، فيملأ الأرض قسطا وعدلا، والايام هناء وهو علم للساعة بلا امتراء (١. هـ).

الفهرس